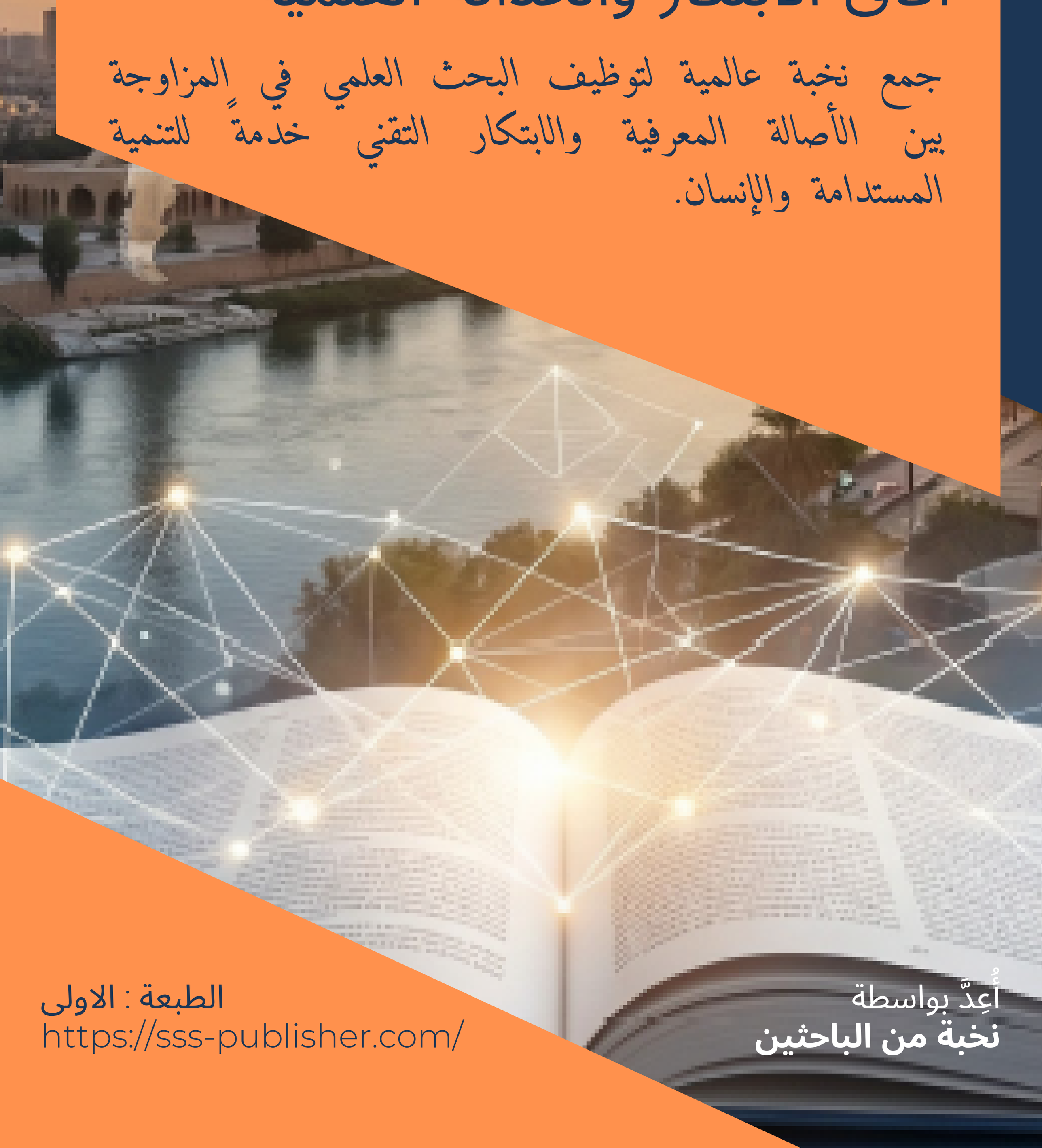
تركيب الرقيم السومري للنشر والتوزيع

2026

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

جمع نخبة عالمية لتوظيف البحث العلمي في المزاوجة بين الأصالة المعرفية والابتكار التقني خدمةً للتنمية المستدامة والإنسان.



الطبعة : الاولى
https://sss-publisher.com/

أُعِدَّ بواسطة
نخبة من الباحثين

كتاب وقائع
المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري

الموسوم

من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

الجزء السادس

المنعقد بالتعاون مع عدد من الجامعات والمؤسسات الأكاديمية

في رحاب كلية ابن خلدون الجامعة بغداد - العراق للمدة من 23 ولغاية 24 آب 2026

التنضيد والتصميم والإشراف الفني: مؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم

الناشر: دار الرقيم السومري للنشر والتوزيع

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري

الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

برعاية كريمة وبإشراف السادة الأفاضل:

الأستاذ الدكتور أسامة إسماعيل المشهداني رئيس جامعة نينوى.

الأستاذ الدكتور كوسار محمد علي رئيس جامعة السليمانية.

الأستاذ الدكتور وسام صلاح عبد الحسين رئيس جامعة قرطبة.

الأستاذ الدكتور حاتم هذال عبدالحميد مدير عام دائرة البحوث والدراسات.

الأستاذ رباح إبراهيم آل جعفر مدير عام دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية.

الأستاذ الدكتور صالح عبد المهدي الخالدي عميد كلية ابن خلدون الجامعة.

الأستاذة الدكتورة سوزان صابر حيدر عميد كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة السليمانية.

الدكتور علي مهدي كاظم عميد كلية العلوم – جامعة قرطبة.

الدكتور علاء ثابت جاسم رئيس مؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم.

الأستاذ المساعد الدكتور علي عبودي نعمة المدير التنفيذي لمؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم.

الدكتور أحمد جميل مجيد المدرس مدير مركز وعي للاستشارات وبناء القدرات.

ديباجة المؤتمر

انطلاقاً من الدور المحوري للبحث العلمي ونشر الأبحاث العلمية في معالجة القضايا الراهنة وتقديم الحلول المستقبلية وسعياً نحو تعزيز الحوار الأكاديمي البنّاء بين مختلف التخصصات يسرنا أن نعلن عن عقد هذا المؤتمر العلمي الدولي. يهدف المؤتمر إلى جمع نخبة من الباحثين والأكاديميين من مختلف أنحاء العالم لتبادل الرؤى والخبرات العلمية والبحث في كيفية المزاوجة بين "الأصالة الإنسانية" التي تمثل الجذور المعرفية العميقة وبين "آفاق الابتكار" التي تفرضها متطلبات الحداثة العلمية والتقنية إن هذا المحفل العلمي يسعى لتجسير الفجوة بين التراث المعرفي والتقنيات المعاصرة لخلق توازن يدعم التنمية المستدامة ويواجه التحديات العالمية بمنظور علمي مبتكر يضع الإنسان وقيمه في صلب التطور التكنولوجي.

الجهات الراعية والمنظمة للمؤتمر

عُقد المؤتمر في رحاب كلية ابن خلدون الجامعة في العراق – بغداد بالتعاون مع جامعة نينوى وجامعة السليمانية وجامعة قرطبة ودائرة البحوث والدراسات ودائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية ودار نور العلم للطباعة والنشر والتوزيع – إربد الأردن ومركز الخيميائي للتدريب والاستشارات – العقبة الأردن ومركز وعي للاستشارات وبناء القدرات ومؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم – العراق للفترة (23 – 24 / 8 / 2026).

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

(الجزء السادس):

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية :(الجزءا السادس)

نخبة من الباحثين

التصنيف : الدراسات القرآنية والإسلامية والفقهية

ISBN: 978-9922-7963-38

DOI: 10.62909/978.9922.7963.38



دار تركيب الرقيم السومري للطباعة والتوزيع والنشر الالكتروني

العراق – ديالى – بعقوبه – شارع الاوقاف

هاتف : 07775262892

manager@sss-publisher.com

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو وساطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية :(الجزء السادس)

نخبة من الباحثين



2026



تنضيد الكتاب

معهد الترجمة والكتاب

«ماليزيا»

مراجعة لغوية

الدكتور محمد محمد كاظم

«العراق»

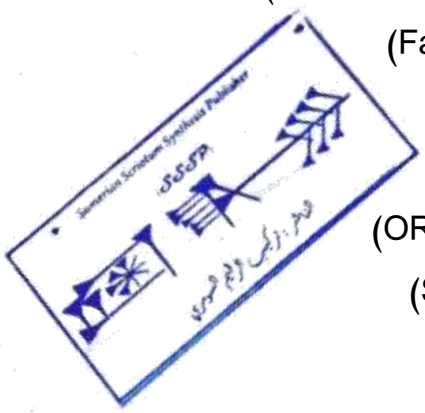
تصميم الغلاف

معهد التكنالوجيا

«الهند»

التوزيـــع والنشـــر الإلكترونـــي ، تمـــت فهرســـة هـــذا الكتـــاب فـــي عـــدد مـــن الفهارس والمنصات الدولية، منها:

كروس ريف	(CrossRef)
أوبن ألكس	(OpenAlex)
مؤشر الاقتباس المفتوح الأوكراني	(OUCI)
سجل مستودعات الوصول المفتوح	(ROAR)
سيمنتك سكولار	(Semantic Scholar)
دايمنشنز	(Dimensions)
ريسرش غيت	(ResearchGate)
فات كات	(Fatcat)
المعيار الدولي للترقيم	(IAS)
مؤشر الاستشهاد العلمي	(SCI)
أوركيد	(ORCID)
سايليت	(Scilit)



الموقع الرسمي لدار النشر الرقيم السومري للنشر والتوزيع

يتوفر هذا الكتاب عبر الموقع الرسمي لدار النشر، مع تخصيص مُعرّف رقمي دائم (DOI) خاص به: https://doi.org/10.62909/978.9922.7963.38

978-9922-7963-38

فهرس المحتويات

اسم المؤلف	عنوان البحث	ر–ص
دعاء فياض خشن	النص القرآني بين التحليل البشري والتحليل الآلي/ دراسة في إمكانات الذّكاء الاصطناعي وحدوده	1–46
زهير طاهر شنيتر	الخبر بين الوظيفة النحوية ورسالة الخطاب في سورة الرحمن	47–77
أحمد علي دايح الفهداوي	اخْتِلَافُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى – فِي سُورَةِ الضُّحَى: أُنْمُوْذَجًا	78–108
اسراء فاضل لفته صافي	مادة (عقل) في القرآن الكريم دراسة دلالية نحوية	145–168
مهند سعد مهدي	عَوْدُ الضَّمِيرِ الْمُفْرَدِ عَلَى مُتَعَدِّدِ المَرْجِعِ فِي النَّظْمِ القُرْآنِيّ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ فِي ضَوْءِ نَظَرِيَّةِ العُدُولِ	169–217
Mahmood Adil Fadhil Alrubaye	The Effect of Nursing Health Education on Glycemic Control Among Adult Patients with Type 2 Diabetes	218–266
عبد الكريم كامل حسين عبد	ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية: رؤية تأصيلية في آفاق الحداثة المعاصرة	267–287
سارة نوري حواس	التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي الأبعاد المقومات والتطبيقات المعاصرة	288–308
زياد تالي لفته	أسلوب المنهج الأخلاقي في التعبير القرآني	309–343
أحمد رشيد علي محمد – . إبراهيم علي محمد	مراعاة القيم الاجتماعية في أحاديث صحيح البخاري كتاب الزكاة– دراسة تحليلية	344–380

النص القرآني بين التحليل البشري والتحليل الآلي/ دراسة في إمكانات الذّكاء الاصطناعي وحدوده

دعاء فياض خشن

جامعة النهرين . كلية هندسة المعلومات . عمادة الكلية – daalghrawy610@gmail.com

Between Human and Automated Analysis \ A The Quranic Text Study of the Capabilities and Limitations of Artificial Intelligence

Duaa Fayyad Khashan

Nahrain University - College of Information Engineering - Office of the Al Dean, daalghrawy610@gmail.com

ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف آفاق التحليل المعرفي والمنهجي للنص القرآني في ظل التحول الرقمي، من خلال الموازنة بين التحليل البشري القائم على التدبر، والمأثور، وأصول اللغة العربية، وقواعد التفسير، وبين التحليل الآلي المعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية (NLP)، وانطلقت الدراسة من فرضية مفادها أنّ التطور التقني أتاح أدوات متقدمة لخدمة الدراسات القرآنية، إلا أنّ الإفادة منها تستلزم تقويم قدراتها وحدودها في التعامل مع خصوصية النص القرآني.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن، فتناولت الأسس التراثية للتحليل التفسيري، مع عرض أبرز التقنيات الرقمية، ومنها النماذج اللغوية، وخوارزميات التعلم الآلي، وقواعد البيانات، والأنطولوجيا القرآنية، كما أجرت تطبيقًا مقارنًا على نموذجين، هما المتشابه اللفظي في آيتي الإملاق، ودلالة لفظ **القروء** في سياق الأحكام، بهدف اختبار قدرة أدوات الذكاء الاصطناعي على فهم السياق اللغوي والبلاغي والشرعي.

وأظهرت النتائج أنّ الذكاء الاصطناعي يتميز بسرعة المعالجة، والقدرة على تحليل كميات كبيرة من البيانات، واستخراج الأنماط والعلاقات الدلالية، مما يجعله أداة فعالة لدعم البحث القرآني، وفي المقابل، كشفت الدراسة عن قصور منهجي يتمثل في محدودية فهمه للمجاز، والعدول البلاغي، والمقاصد الشرعية، وأسباب النزول، فضلًا عن تعرضه لظاهرة الهلوسة الرقمية التي قد تؤدي إلى إنتاج معلومات غير دقيقة إذا لم تخضع للمراجعة العلمية.

خلصت الدراسة إلى أنّ الذكاء الاصطناعي يمثل أداة مساندة لتطوير البحث القرآني وتيسير إجراءاته، ولا يمكن أنْ يكون بديلًا عن المفسر المؤهل، بل ينبغي توظيفه ضمن إطار تكاملي يجمع بين الكفاءة التقنية والخبرة العلمية، بما يضمن سلامة النتائج ويحفظ خصوصية النص القرآني ،كما تؤكد الدراسة أهمية تطوير أدوات ذكاء اصطناعي متخصصة تراعي الضوابط اللغوية والتفسيرية، بما يعزز دقة التحليل وموثوقية نتائجه.

الكلمات المفتاحية :التحليل القرآني، التحليل الآلي، الذكاء الاصطناعي، معالجة اللغات الطبيعية(NLP) ، المشترك اللفظي.

Abstract:

This study explores the cognitive and methodological dimensions of Qur'anic text analysis in the era of digital transformation by comparing traditional human-based interpretation, grounded in contemplation (*tadabbur*), transmitted exegesis, Arabic linguistic principles, and established interpretive methodologies, with machine-based analysis driven by Artificial Intelligence (AI) and Natural Language Processing (NLP). The study is based on the premise that recent technological advancements have introduced sophisticated tools capable of supporting Qur'anic studies; however, their effectiveness depends on evaluating both their capabilities and methodological limitations when dealing with the unique linguistic, rhetorical, and legal characteristics of the Qur'anic text.

The research adopts a descriptive, analytical, and comparative approach. It examines the classical foundations of Qur'anic interpretation alongside contemporary digital technologies, including large language models, machine learning algorithms, Qur'anic databases, and semantic ontologies. Two case studies were conducted: the verbal similarities in the verses concerning *imlāq* (poverty) and the interpretation of the term *qurū'* in legal

contexts, in order to assess AI's ability to understand linguistic, contextual, and juristic nuances.

The findings indicate that AI systems excel in processing large volumes of textual data, identifying linguistic patterns, and performing comprehensive statistical analyses, making them valuable tools for supporting Qur'anic research. Nevertheless, they remain limited in comprehending figurative language, rhetorical subtleties, legal objectives, and contextual interpretation. They are also susceptible to AI hallucinations, which may generate inaccurate or fabricated interpretations without scholarly verification.

The study concludes that AI should be regarded as a supportive research tool rather than a substitute for qualified Qur'anic interpreters. Its effective use requires integration with human scholarly expertise to ensure methodological accuracy, preserve the sanctity of the Qur'anic text, and enhance the quality of contemporary Qur'anic studies.The study also emphasizes the importance of developing specialized artificial intelligence tools that take into account linguistic and exegetical principles, thereby enhancing the accuracy and reliability of Qur'anic text analysis.

K**eywords**: Quranic Analysis, Automated Analysis, Artificial Intelligence (AI), Natural Language Processing (NLP), Homonymy .

مقدمة:

شهدت مناهج تحليل النص القرآني تحولات معرفية ومنهجية عميقة، تُجسّد في جوهرها مسار تطور العقل التفسيري الإسلامي في كيفية مقاربته للنص الشرعي المعجز من طور التلقي المباشر زمن التنزيل، إلى طور التقعيد العلمي في عصر التدوين، ثم إلى طور التخصصات الدقيقة التي راكمت أدواتها عبر علوم العربية والبلاغة وأصول الفقه ومقاصد الشريعة، وصولاً إلى طور جديد فرضته الثورة الرقمية يتمثل في التحليل الآلي المعتمد على الحوسبة والنمذجة الرياضية وأنظمة الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية (NLP)، وهذه النقلة ليست مجرد انتقال في الوسيلة، بل تحوّل في طبيعة آلية الفهم نفسها من فهم يتشكل داخل وعي بشري مؤهل بضوابط العلم والتلقي والتزكية، إلى معالجة حسابية تتوسل البيانات والأنماط والاحتمالات دون امتلاك ذاتٍ مكلّفة أو مقصد تعبدي أو حسٍّ أخلاقي ذاتي.

ومنذ عصر النزول، تضافرت جهود التحليل البشري القائمة على المأثور واللغة والتدبر لاستنطاق النص، فكان الوحي يُفهم في ضوء سياق التنزيل وأسباب الورود وبيان النبي (ﷺ) وتفسير الصحابة والتابعين، ثم تطور هذا الفهم تدريجياً إلى مدارس تفسيرية متعددة تشتغل على مستويات متفاوتة: تفسير بالمأثور يحفظ المعنى ضمن دائرة النقل الموثوق، وتفسير لغوي يشتبك مع دلالات الألفاظ والاشتقاق والاستعمال، وتفسير بلاغي يقرأ أسرار النظم والإعجاز، وتفسير فقهي/أصولي يستخرج الأحكام بضوابط الاستدلال، وتفسير مقاصدي يُراعي علل التشريع وغاياته، وبهذا كانت العقلانية التفسيرية عقلانيةً منضبطة لا تكتفي بتجميع المعاني، بل تربطها بشرط السند، وبميزان اللغة، وبسياق الخطاب، وبالترتيب المعرفي الذي يُميز بين القطعي والظني، وبين المحكم والمتشابه، وبين الدلالة اللغوية والدلالة الشرعية.

ومع بزوغ الثورة الرقمية المعاصرة ظهرت طفرة جديدة تمثلت في التحليل الآلي، حيث صار النص القرآني يُقارب بوصفه بيانات يمكن تفكيكها إلى وحدات قابلة للمعالجة: جذور وأوزان، تكرارات وإحصاءات، شبكات ترابط دلالي، خرائط موضوعات، علاقات إحالة بين الآيات، ونماذج تعلّم عميق قادرة على التلخيص، والبحث الدلالي، والتصنيف

الموضوعي، واستخراج الكيانات والمفاهيم، وقد فتح هذا التحول آفاقاً واسعة للبحث؛ إذ أمكن إنشاء قواعد بيانات ضخمة للنص القرآني وقراءاته وتفاسيره، وبناء محركات بحث تتجاوز المطابقة الحرفية إلى الاسترجاع الدلالي، وتصميم أنطولوجيات تربط الألفاظ بمفاهيمها ضمن بنى معرفية، فضلاً عن توظيف النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) في توليد شروح أولية أو اقتراح علاقات بين المواضع المتشابهة أو تقديم إجابات فورية للباحثين.

غير أنّ هذا التحول التقني، على اتساع فوائده، يفرض ضرورة علمية ملحّة لدراسة إمكانات الأدوات الذكية وحدودها المعرفية والمنهجية؛ لأنّ معالجة القرآن ليست كمعالجة أي نص لغوي، فالقرآن نصٌّ هادٍ مُتشعّب الطبقات، تتداخل فيه الدلالة مع المقصد، والبيان مع التشريع، واللغة مع السياق، والنظم مع الإعجاز، وتاريخ التلقي مع شروط الفهم؛ ومن هنا تتحدد قضية الدراسة في بيان مساحات التقاطع والفجوات المنهجية بين عقل المفسر البشري، الذي يعمل ضمن منظومة أهلية علمية ومسؤولية شرعية، وبين الذاكرة الاصطناعية التي تُحسن التعرف على الأنماط لكنها تفتقر إلى شرط التكليف، وإلى إدراك مقامات الخطاب، وإلى الحسّ التعبدي الذي يضبط مقصد التعامل مع النص المقدس.

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسعى إلى بناء وعي نقدي متوازن اتجاه التحول الرقمي في حقل التفسير، لا يكتفي بالانبهار بقدرات التقنية ولا يقف موقف الرفض المطلق، بل يُخضعها للتقويم العلمي والشرعي ،ويمكن تفصيل هذه الأهمية في ثلاث دوائر مترابطة:

1) أهمية معرفية: إذ تعمل الدراسة على تأصيل التحول من التحليل البشري التقليدي ـ بأطيافه التجزيئية واللغوية والموضوعية ـ إلى التحليل الرقمي المعاصر، وتتبع جذور هذا الانتقال بوصفه امتداداً لتاريخ طويل من تطوير الأدوات في خدمة الفهم، مع إبراز الفرق بين تطوير الأداة (كالمدوّنات والمعاجم والفهارس قديماً) وبين نقل مركز الفهم إلى أنظمة توليدية قد تنتج خطاباً تفسيرياً دون تحقّق من شروطه العلمية.

2) أهمية تقنية وتطبيقية: لأنّ الدراسة تفحص كفاءة تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعامل مع البنية البيانية للنص القرآني: مثل خوارزميات التصنيف الموضوعي، وبناء الأنطولوجيا القرآنية، والبحث الدلالي، ونماذج تضمين الكلمات (Embeddings)، وأساليب اكتشاف التشابه النصي، كما تُقيّم طبيعة ما تُحسنه هذه الأدوات (الحصر، الاستخراج، الربط، الفهرسة، الاسترجاع) وما تعجز عنه أو تُعرّضه للالتباس (التأويل، الترجيح، استحضار المقاصد، تقدير السياق والقرائن، التفريق بين المحتمل والراجح).

3) أهمية حمائية وشرعية: وهي من أبرز دوافع الدراسة، إذ تُبيّن الحدود الذاتية والمنهجية للآلة والتحذير من مخاطر الهلوسة الرقمية؛ أي إنتاج معلومات تفسيرية تبدو صحيحة في ظاهرها لكنها غير مُحكمة السند أو مضطربة المنطق أو ملفّقة الإحالات، كما تُبرز خطر غياب الوعي الأخلاقي والتعبدي لدى الأنظمة الذكية، مما يستوجب بناء ضوابط استعمال تحمي قداسة النص من التفسيرات المشوّهة أو الاستنتاجات المتسرعة، وتُعيد تأكيد أنّ التقنية وظيفة خادمة ضمن إطار أهلية بشرية مسؤولة.

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة إلى الانتقال من الطرح العام إلى التحليل المنهجي عبر أهداف محددة أبرزها:

– رصد التطور التاريخي والمفاهيمي لآليات تحليل النص القرآني بشرياً وآلياً، مع بيان كيف انتقل الاهتمام من حفظ المعنى عبر الرواية واللغة، إلى بناء نماذج رقمية تسعى إلى تمثيل المعنى حسابياً.

– استعراض التقنيات الرقمية والآليات المستخدمة في تحليل البيانات القرآنية الضخمة، مثل أدوات التعليق الصرفي والنحوي ، وبناء الشبكات الدلالية، واسترجاع المعلومات، وتعلم الآلة، ومقارنة طرق تمثيل النص بين الترميز اللغوي التقليدي والتمثيل المتجهّي في النماذج الحديثة.

– إجراء موازنة تطبيقية بين مخرجات النماذج اللغوية الكبيرة ومخرجات العقل التفسيري البشري المتخصص، خصوصاً في القضايا التي تُظهر الفرق بين المعالجة والفهم: كالمتشابه اللفظي، والمشترك الدلالي، وتعارض الاحتمالات، ومقامات الخطاب، ومباحث الترجيح الأصولي.

أسئلة الدراسة

تنطلق الدراسة من سؤال رئيس يُعدّ محوراً جامعاً:

– ما هي إمكانات الذكاء الاصطناعي وحدوده المنهجية والمعرفية في تحليل النص القرآني مقارنة بالتحليل البشري؟

ويتفرع عنه أسئلة تفصيلية تُحوّل المحور العام إلى مسارات بحث قابلة للاختبار:

– كيف تطورت مفاهيم التفسير والتحليل القرآني وصولاً إلى ما يُسمّى اليوم بالتفسير الرقمي؟

– ما أبرز التقنيات الرقمية في معالجة النص القرآني، وما مزاياها وتحدياتها عند التعامل مع الإعجاز البياني وتعدد القراءات واحتمالات الدلالة؟

– ما طبيعة الفجوة المنهجية بين التحليلين الآلي والبشري عند التطبيق على النماذج التفسيرية والبلاغية والتشريعية، وكيف تظهر هذه الفجوة عملياً في مسائل الاختلاف الدلالي والترجيح؟

فرضيات الدراسة :

تقوم الدراسة على فرضيتين متقابلتين تُشكلان إطاراً تفسيرياً لنتائجها المتوقعة:

– الفرضية الأولى: يمتلك التحليل الرقمي والذكاء الاصطناعي قدرة فائقة وغير مسبوقة على الاستقصاء الشمولي والحصر الإحصائي والربط الدلالي ومطابقة النصوص بسرعة عالية، بما يفتح إمكانات بحثية لم تكن متاحة بالطرق التقليدية، كالتنقيب في الأنماط والأساليب والتراكيب، وتعقّب الجذور والاستعمالات، واكتشاف العلاقات بين المواضع المتشابهة.

– الفرضية الثانية: يظل الذكاء الاصطناعي عاجزاً بنيوياً عن تذوّق الأسرار البلاغية الدقيقة (كالمجاز والعدول والالتفات ومراعاة مقتضى الحال وغيرها)، وقاصراً عن استنباط المقاصد الشرعية والأحكام الفقهية وفق ضوابط الاستدلال؛ لغياب الوعي الوجودي والأهلية العلمية والتكليف والوازع الأخلاقي لديه؛ الأمر الذي يجعل منه أداة خادمة للمفسر لا بديلة عنه، وأنّ أي محاولة لإسناد وظيفة الإفتاء التفسيري للآلة دون رقابة علمية تفتح باب التشويش والتحريف غير المقصود.

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة منهجاً مركباً يجمع بين التحليل النظري والمقارنة التطبيقية، فمن جهة أولى، استُخدم المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك المفاهيم المركزية المرتبطة بالتحليل الرقمي (كالتمثيل الدلالي، والاسترجاع، والتصنيف، والأنطولوجيا)، وعرض المكونات التقنية ومزاياها وتحدياتها، مع بيان ما تُنتجه من قيمة علمية فعلية للباحث القرآني، ومن جهة ثانية، استُخدم المنهج المقارن التطبيقي عبر إخضاع نماذج لغوية ذكية لاختبارات تفسيرية حية في قضايا مشهورة بإظهارها للفروق المنهجية، مثل آيتي الإملاق (واختلاف السياق بين النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر وبين واقع الفقر)، وآية القروء لما تتضمنه من اشتراك دلالي مؤثر في الحكم الفقهي، وتقوم المقارنة هنا على مبدأ قياس مخرجات النموذج الآلي على تحليلات بشرية رصينة مُؤصّلة في أمهات التفاسير وكتب اللغة والأصول؛ بهدف إبراز الفجوة المعرفية بصورة ملموسة: أين تُحسن الآلة الجمع والاستحضار، وأين تتعثر في الترجيح، وأين قد تُنتج إجابة مقنعة لفظياً لكنها غير منضبطة منهجياً؛

وبهذا تتأسس الدراسة على رؤية متوازنة تُقرّ بأنّ الذكاء الاصطناعي إضافة نوعية في أدوات خدمة القرآن من حيث البحث والفهرسة والاسترجاع والتحليل الإحصائي، لكنها في الوقت ذاته تؤكد أنّ التعامل مع النص القرآني لا ينفصل عن شروط الفهم الشرعي والملكة اللغوية والأهلية العلمية والالتزام الأخلاقي، وهي عناصر لا تُختزل في خوارزمية ولا تُستبدل بنموذج توليدي، وإنما تُدار عبر عقلٍ بشريٍ مسؤول يُحسن توظيف الأداة ويمنعها من تجاوز مقامها.

المبحث الأول: المفاهيم المتعلقة بالدراسة

شهدت مناهج تحليل النص القرآني تحولات معرفية ومنهجية عميقة، تعكس آليات تطور العقل التفسيري في تعاطيه مع النص الشرعي، ويمتلك هذا التطور أبعادًا مفاهيمية تتأرجح بين مجهودات **التحليل البشري** القائم على المأثور واللغة والتدبر، و**التحليل الرقمي** القائم على الحوسبة والأنظمة الذكية، ويمكن رصد هذا التطور عبر المستويات المنهجية التالية:

المطلب الأول: مفهوم التفسير البشري

أولاً: التفسير التقليدي

يُمثّل التفسير التقليدي المنهج الأم والركيزة الأساسية للتحليل البشري؛ حيث يتأسس مفاهيميًا على البيان المنهجي لمعاني كلام الله تعالى عبر استنطاق المأثور من الوحيين وأقوال الصحابة والتابعين، مستعينًا بالأدوات اللغوية العربية وأصولها الاستنباطية ، ويقوم هذا المنظور على تقديم الرواية والنقل كأولوية منهجية تسبق الاجتهاد العقلي لحماية التأويل من الانحراف، وكان التحليل في الغالب تجزيئيًا يتبع الترتيب المصحفي سورة بسورة وآية بآية، معتمدًا على الجهد الذهني الفائق للمفسر البشري في استحضار الشواهد، مما جعل الإحاطة بكل جوانب النص أمراً يختص به كبار الأئمة فقط (الزركشي، د.ت، ج1، ص 45).

- **المصادر والآليات البشرية الأساسية:**
  - **تفسير القرآن بالقرآن** :ويعد أعلى مراتب التحليل الدلالي، ومثاله تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾(النبأ: 10) بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّاومَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان :47) (الشنقيطي ، 1980م، ج9،ص10.9).
  - **السنة النبوية** :لكونها المبينة للقرآن، كحديث النبي (ﷺ) في تفسير الظلم بالشرك في سورة الأنعام (البخاري، 2012م، حديث رقم 32 مج1،ص212)(الأنعام:82) .

- **أقوال الصحابة والتابعين** :كأطروحات ابن عباس في تفسير الزينة الظاهرة بالوجه والكفين، وامتداداتها عند تلامذته (السيوطي ، دت، ج6،ص180)

- **أعلام المنهج البشري التقليدي وجهودهم:**

- **الإمام الطبري (ت 310هـ)** :في كتابه جامع البيان، ويعد المرجع الأضخم للتفسير بالمأثور، حيث ناقش الروايات بعمق منهجي ونقدي فريد .

- **الزمخشري (ت 538هـ)** :في الكشاف، الذي برع في الجمع بين المأثور والجانب البلاغي واللغوي.

- **ابن كثير (ت 774هـ)** :في كتابه تفسير القرآن العظيم، حيث تميز باعتماد منهجية صارمة في إيراد الأحاديث بأسانيدها.

ثانياً: التفسير الموضوعي (مفهوم التحليل البنائي البشري)

مع تطور العلوم، ظهرت الحاجة إلى التفسير الموضوعي: الذي يعيد بناء النص عبر جمع شتات الموضوع الواحد من سور القرآن المختلفة ليدرسها في نسق دلالي ومعرفي واحد (مثل: قضية المرأة، أو الأخلاق، أو السنن الكونية) (سعيد ،1991،ص3ـ 9)، (الحميضي ،2020، ص 5ـ 6) هذا المنهج مهد الطريق مفاهيميًا للتحليل الرقمي؛ لأنه غرس فكرة الربط الموضوعي العابر للحدود النصية الضيقة، وهو ما تحاول التقنيات الحديثة اليوم أتمتته وتطويره بالكامل .

ثالثاً: التحليل اللغوي (التحليل البنيوي)

ركز هذا المنهج البشري على تشريح المفردة القرآنية من حيث اشتقاقها، وصرفها، وموقعها الإعرابي، وأثر ذلك في المعنى، وقد تطور هذا التحليل من المعاجم اللغوية التقليدية إلى دراسة السياق والنظم البلاغي (الزرقاني، 1995، ص 12ـ 13)، ويُعد التحليل اللغوي بمثابة المادة الخام التي تنطلق منها خوارزميات معالجة اللغة الطبيعية المعاصرة لإدراك الفروق الدقيقة والعميقة بين المترادفات القرآنية (شاشه وآخرون ، 2022،ص59)

المطلب الثاني: التحليل الرقمي

إنّ فكرة التحليل الكمي أو الإحصائي للقرآن ليست وليدة العصر الرقمي فحسب، بل لها جذور عميقة في التراث الإسلامي؛ فقد اعتنى العلماء قديماً بحصر ألفاظ القرآن وإحصائها (مثل جهود الفراهيدي في كتاب العين، والزركشي والسيوطي في علوم القرآن)، إلا أنّ هذا الاهتمام كان يتم بأدوات تقليدية يدوية، حتى حدث التحول النوعي في النصف الثاني من القرن العشرين مع ظهور الحواسيب، مما أدى لظهور التفسير الرقمي الذي يُعد امتداداً تقنياً لتلك الجهود التراثية .

ويُعرف التفسير الرقمي بأنه المنهج الذي يستخدم أدوات التكنولوجيا الحديثة (تطبيقات، مواقع، ذكاء اصطناعي) لعرض وتحليل معاني القرآن الكريم، حيث يعتمد على تقنيات الحاسوب وقواعد البيانات لحصر الألفاظ وتتبع تكرارها ورسم العلاقات الدلالية بينها، مما قد يكشف عن معانٍ وعلاقات قد تغيب عن الاستقصاء البشري المجرد (حكيم، 2025، ص12)، ويمكن رصد مراحل التطور التاريخي للتفسير الرقمي على النحو التالي (يونس ،1447هـ ،ص35):

1. **مرحلة الجذور التراثية** :اهتمام المتقدمين بعدد الآيات والحروف (مثل كتاب إحصاء الكلمات للداني).
2. **مرحلة الإعجاز العددي (القرن 20)** :ظهور دراسات بسام جرار وعبد الرزاق نوفل، والتي شكلت الأرضية الأولى للربط بين الرقم والنص.
3. **مرحلة الفهرسة الحاسوبية (السبعينيات – التسعينيات)** :ظهور المصحف الإلكتروني وبرامج البحث النصي التي سهلت الوصول السريع للجذور اللغوية.
4. **مرحلة التفسير الذكي المعاصر (من 2000م إلى اليوم)** :استخدام الذكاء الاصطناعي، والشبكات العصبية، والبيانات الضخمة لتحليل السياقات القرآنية بعمق .

ويمثل التحليل الرقمي ذروة التطور المنهجي، حيث انتقل فيه البحث من الذاكرة البشرية إلى الذاكرة الاصطناعية، ويتميز هذا التحول بقدرته الفائقة على (بشير وآخرون، 2023، ص 68):

1. **الشمولية الاستقصائية** :مسح شامل لكل موارد المعرفة القرآنية في ثوانٍ.
2. **الارتباط التشعبي الدقيق** :ربط النص بالرسم، والصوت، والمعنى، والسبب في واجهة واحدة.
3. **تجاوز الانحياز البشري** :تقديم نتائج إحصائية مجردة تدعم المفسر في ترجيح الأقوال بناءً على قوة الشواهد العددية والدلالية .

وتعتمد هذه المنظومة الرقمية على أدوات تقنية تشمل الموسوعات الإلكترونية :مثل المكتبة الشاملة ومكتبة نور، والتطبيقات والمنصات الذكية: مثل جامع التفاسير، ومنصة Tafsirweb ، بالإضافة إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي القائمة على خوارزميات تحاكي القدرات الذهنية البشرية في التعلم والاستنتاج، وتوظيف تعلم الآلة \Machine) (Learningلاستخراج الأنماط، ومعالجة اللغات الطبيعية (NLP) لفهم السياق (عفيفي، 2025، ص 24).

المطلب الثالث: التقنيات الرقمية المستخدمة في تحليل النص القرآني

يمثل التحول نحو التقنيات الرقمية في تحليل النص القرآني انتقالة من أدوات الاسترجاع البسيطة إلى أدوات التحليل المعقدة ، ويمكن حصر هذه التقنيات في أربعة محاور أساسية تشكل البنية التحتية للتفسير الرقمي المعاصر:

1. **المعالجة اللغوية الطبيعية(NLP)** : تعد هذه التقنية حجر الزاوية في تمكين الحاسوب من فهم وتفكيك البنية اللغوية للقرآن الكريم، وتبدأ هذه العملية بـ المعالجة المسبقة (Preprocessing) التي تشمل تقسيم النص إلى وحدات (Tokenization) وإرجاع الكلمات إلى أصولها (Stemming) وربطها بجذورها المعجمية، ورغم التحديات التي تفرضها اللغة العربية ؛بسبب غناها الصرفي والتركيبي، إلا أنّ هذه التقنية تتيح اليوم إجراء

دراسات إحصائية ومورفولوجية دقيقة تقارن بين الصيغ المختلفة في الآيات المتشابهة بدقة متناهية (بشير وآخرون، مصدر سابق، ص 68؛ عبد الخالق وآخرون ،2024،ص32).

2. **تقنيات الذكاء الاصطناعي(AI)** : لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة فهرسة، بل أصبح عنصراً فاعلاً في استخراج الأنماط الكامنة في النص، وتبرز هنا تقنيات التجميع (Clustering) عبر خوارزميات مثل (LDA) التي تقوم بتجميع الآيات المتشابهة دلالياً دون تدخل بشري، وتقنيات التصنيف (Classification) التي تعتمد على خوارزميات مثل (KNN) و (Decision\ Trees) لتصنيف الآيات موضوعياً (عقيدة، أحكام، قصص) بناءً على بيانات معدة مسبقاً، مما يسهم في تطوير أنظمة الفتوى الرقمية ومحركات البحث الذكية (الدعدر،2024، ص 316).

3. **التحليل الدلالي** :(**Semantic\ Analysis**) يتجاوز التحليل الدلالي مطابقة الكلمات حرفياً إلى مستوى المفهوم، ومن خلال استخدام الأنطولوجيا(Ontologies) ، يتم بناء شبكات دلالية تربط بين الكلمات ومرادفاتها وأضدادها وسياقاتها المختلفة فتتيح هذه التقنية للباحث استكشاف الحقول الدلالية في القرآن الكريم، وربط المفاهيم الموزعة في سور شتى بناءً على الوحدة الموضوعية والمعنوية، مما يفتح آفاقاً جديدة للتفسير الموضوعي (الكلفا،2015،ص288 ؛ بشير وآخرون،مصدر سابق،ص 68).

4. **قواعد البيانات القرآنية** :(**Quranic\ Databases**) تُعد قواعد البيانات الوعاء الرقمي الذي يجمع النص القرآني بالرسم العثماني ويربطه بكتب التفسير، وأسباب النزول، وعلوم القرآن، وحتى الملفات الصوتية، وإنّ تطوير قواعد بيانات رقمية دقيقة للنص القرآني هو ما سمح بظهور بيئات بحثية متكاملة تتيح المطابقة النصية (Text\ Matching)والبحث المتقدم في مختلف الصيغ الاشتقاقية، مما يضمن للباحث الشمولية المنهجية وسرعة الوصول إلى المعلومة الموثقة (الدعدر، مصدر سابق، ص 315).

إنّ التكامل بين هذه التقنيات الأربع قد حول النص القرآني في البيئة الرقمية من نص ساكن إلى نص تفاعلي قادر على الإجابة على استشكالات الباحثين وتوليد رؤى معرفية تدعم المفسر البشري وتؤكد على إعجاز النص القرآني وصلاحيته لكل زمان وأداة.

المبحث الثاني: المنهجية التطبيقية للتحليل القرآني في عصر البيانات الضخمة

المطلب الأول: آليات التحليل الرقمي للنص القرآني

تعد عملية التحليل الرقمي للنص القرآني منظومة متكاملة تتجاوز مجرد استخدام البرمجيات الجاهزة، فهي عملية هيكلة معرفية تهدف إلى تحويل القداسة النصية إلى كفاءة معلوماتية دون المساس بالجوهر، وتعتمد هذه الآليات على مرتكزات أساسية:

- **المعالجة المسبقة وهيكلة البيانات** :(**Data\ Pre-processing**) تبدأ هذه الآلية بمرحلة تنظيف البيانات؛ حيث يتم جمع النص القرآني من قواعد بيانات معتمدة (مثل مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)، ثم معالجتها تقنياً لإزالة التداخلات التي قد تعيق عمل الخوارزميات، مع الحفاظ على الرسم العثماني كعنصر جوهري في التحليل،وتشمل هذه المرحلة التجزئة(Tokenization) ، حيث يتم تقسيم الآيات إلى وحدات لغوية صغرى، ثم التجذير (Stemming) لإعادة الكلمات إلى أصولها اللغوية، مما يتيح للآلة الربط بين يعلمون، تعلمون، كجذر واحد في دراسة الحقول الدلالية (بشير وآخرون، مصدر سابق، ص 68) .
- **النمذجة الرياضية والشبكات العصبية** :تستند الأسس النظرية هنا إلى النماذج الرياضية التي تحاكي طبيعة الذكاء البشري؛ إذ تعمد هذه النماذج إلى فهم السياق القرآني عبر الشبكات العصبية الاصطناعية \Artificial) (Neural\ Networks: وهي تقنيات برمجية مصممة للتعرف على الأنماط المعقدة (عبد الخالق وآخرون،مصدرسابق،ص30)،وفي الدراسات القرآنية لا تبحث الآلة عن تكرار الكلمة فحسب، بل عن تكرار السياق؛ وهو ما يُعرف بـ التعلم العميق (Deep\ Learning) هذا النوع من التعلم يتيح للنظام معالجة البيانات الضخمة (تفاسير، أحاديث، لغة) لاستنباط علاقات دلالية لم تكن تظهر في الفهارس التقليدية (العريان وآخرون ،2019،ص148. 150؛باكير،2022 ،125) .

- **التحليل الإحصائي والتصويري** :(**Data\ Visualization**) لا تنتهي الآلية عند استخراج الأرقام، بل تمتد إلى تفسير النتائج عبر أدوات التصوير المنظم،إذ يتم تحويل النتائج المعقدة إلى خرائط ذهنية رقمية تظهر تفرع الموضوعات القرآنية وتداخلها (مثل علاقة آيات الجهاد بآيات الصبر والتمكين)، وهذه الآلية تمنح الباحث رؤية بانورامية شاملة للموضوع المدروس، مما يسهل تقديمها للمهتمين بشكل واضح ومنظم (Ul\ Rehman\ .\&\ others,\ 2021)

المطلب الثاني: مزايا التحليل الرقمي وتحدياته في العلوم الشرعية

إنّ الدخول في غمار التقنيات الرقمية لخدمة النص القرآني يفتح باباً واسعاً من الفرص، لكنه في الوقت ذاته يفرض مجموعة من التحديات التي يجب على الباحث الشرعي إدراكها بحذر.

أولاً: المزايا والفرص المعرفية:

- **السرعة الفائقة والشمولية الاستقصائية** :تتيح هذه التقنيات للباحث القيام بعمليات الاستقراء التام في ثوانٍ. فبينما كان المفسر قديماً يقضي سنوات في تتبع لفظة عبر دواوين التفسير واللغة، تقوم الخوارزميات اليوم بمسح ملايين الصفحات بدقة متناهية، مما يضمن للبحث الشرعي الوصول إلى نتائج أكثر شمولية ومنهجية (الدعدر، مصدر سابق، ص 315).
- **تطوير الأنظمة الخبيرة في الفتوى والقضاء** :يمثل الذكاء الاصطناعي أداة مساندة قوية للمفتين والقضاة من خلال الروبوت المفتي أو الأنظمة الخبيرة التي تقدم حلولاً مبنية على استدعاء فوري لكل السوابق الفقهية والترجيحات المعتبرة وهذا لا يعني استبدال الفقيه، بل تزويده بـ عضو خبير يقلل من هامش الخطأ البشري في استحضار النصوص (غرغوط، د.ت، ص393).

- **تحليل السياق الصوتي والتجويدي** :بفضل معالجة الصوت(Speech\ Processing) ، أصبح بإمكان التطبيقات الذكية تصحيح التلاوة آليًا وفحص مخارج الحروف بدقة، مما يسهم في تطوير بيئة تعليمية تفاعلية للقرآن الكريم تحاكي وجود المُحفِّظ البشري (غربي وحاقة, 2023، ص 45.)

ثانياً: التحديات والمخاطر العلمية:

- **إشكالية الأمانة العلمية والانتحال الرقمي** :تبرز معضلة كبرى تتمثل في الركون للتطبيقات الذكية للقيام بالبحث بالكامل، فإنّ استخدام أدوات مثل (Jenni.ai) أو (Smodin.io) لإعادة صياغة المحتوى قد يُعطل برامج كشف السرقات العلمية، مما يهدد النزاهة الأكاديمية،فالباحث مطالب بتوثيق الأفكار واقتباسها، وليس مجرد التلاعب بالألفاظ عبر الآلة لسرقة جهود الآخرين (زهيري، 2023، ص 15) .
- **غياب شخصية الباحث وقتل الإبداع** :من أخطر التحديات أنّ يحل الذكاء الاصطناعي محل التدبر البشري ، فالبحث العلمي في الشريعة يقوم على الملكة الفقهية والقدرة على الترجيح، والاعتماد الكلي على الآلة قد يؤدي إلى تراجع القدرات الذهنية لدى الباحثين، حيث يتساوى الذكي مع الغبي والنشيط مع الكسول في مخرجات آلية صماء تفتقر إلى روح النص (غنايم، 2023، ص 35).
- **تحدي التفسير الآلي والتناقض** :تظل الآلة قاصرة عن إدراك المقاصد الكلية للشريعة، فقد تقع التطبيقات الذكية في تناقضات عند تفسير آيات الأحكام نتيجة اعتمادها على بيانات غير دقيقة أو قواعد بيانات ضعيفة في مجال الشريعة) كما في بعض نسخ(ChatGPT)، مما يوجب بقاء الإشراف البشري من العلماء المختصين لضبط النتائج وتوجيه التحليلات (ريغي، 2023، ص 4).

- **المخاطر القانونية والخصوصية** :تتطلب الكثير من المنصات الرقمية تزويدها بمعلومات شخصية وبيانات بحثية قد تتعرض للاختراق أو الاستغلال التجاري، مما يستدعي صياغة إطار قانوني وأخلاقي يحمي الخصوصية الرقمية للباحث والمبحوث في فضاء التواصل غير الآمن (عباس، 2005، ص 32).

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي (الإمكانات، الحدود، المقارنة)

يمثل النص القرآني ببنيته اللغوية الفريدة ونظامه البياني المعجز تحدياً معرفياً ومنهجياً كبيراً أمام النظم الحاسوبية المعاصرة ،وإذ كان الدرس اللغوي التراثي قد استفرغ وسعه في سبر أغوار النص وفهم مقاصده عبر قرون من التحليل البشري الرصين، فإن الثورة الرقمية الحالية، ولا سيما تقنيات الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيع(NLP) ، تقدم وعوداً تقنية غير مسبوقة لتيسير التعامل مع النص التنزيلى استكشافاً واستخراجاً، فيسعى هذا المبحث إلى الانتقال من التنظير المجرد إلى الواقع التطبيقي، مستهدفاً رصد إمكانات الآلة الراهنة والمأمولة في خدمة النص القرآني، ومستكشفاً في الوقت ذاته الحدود الذاتية والمنهجية التي تقف عندها النماذج الرقمية عاجزة أمام عمق التحليل البشري وسياقاته المقاصدية والروحية.

المطلب الأول: إمكانات الذكاء الاصطناعي في خدمة النص القرآني

أولاً: التصنيف والموضوعية الآلية واستخراج الروابط(Semantic Search)

شهدت محركات البحث القرآنية التقليدية تحولاً جذرياً بفضل نماذج التعلم العميق والبحث الدلالي (Semantic Search) ففي السابق، كان البحث يعتمد على المطابقة الحرفية للكلمات(Lexical Matching) ، وهو ما يعيبه العجز عن استدعاء الآيات التي تشترك في المعنى وتختلف في اللفظ أمّا اليوم فتتيح تقنيات التضمين اللغوي (Word/Sentence Embeddings)وتحليل المتجهات (Vector Embeddings) للآلة فهم العلاقات الدلالية العميقة بين الألفاظ والآيات (شاهد، 2023، ص 45) .

على سبيل المثال، عند البحث باستخدام عبارة التكافل الاجتماعي، فإن النماذج الذكية لا تبحث عن هاتين الكلمتين تحديداً، بل تقوم بتحويل المفهوم إلى أبعاد دلالية داخل فضاء متجهي، مما يمكنها من استدعاء آيات الإنفاق، والزكاة،

وإطعام المسكين، وكفالة اليتيم، مثل قوله تعالى :(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان : 8) ، بناءً على التقارب الدلالي المقاس رياضياً (يونس، 2024،ص112) .

علاوة على ذلك، يسهم الذكاء الاصطناعي في رصد الروابط والمناسبات بين الآيات والسور (علم المناسبات الرقمي) إذ تستطيع خوارزميات التعلم غير الخاضع للإشراف (Unsupervised Learning) تجميع الآيات في عنقوديات موضوعية (Thematic Clustering) تُظهر شبكة العلاقات المتقاطعة بين القصص القرآني والتشريعات الأخلاقية، مما يساعد الباحثين في بناء خرائط ذهنية تفاعلية للموضوع الواحد داخل السورة أو عبر المصحف كاملاً (العتيبي، 2025،ص78) .

ثانياً: التحليل الإحصائي والبلاغي الرقمي

تتفوق الآلة على الجهد البشري الفردي في سرعة ودقة الإحصاء والحصر الرياضي لبنية النص، فيتجاوز الذكاء الاصطناعي اليوم مجرد عد الكلمات إلى فحص الظواهر الأسلوبية والبلاغية بدقة متناهية عبر مستويات متعددة:

1. **رصد التكرار والاتساق الأسلوبي** :يتيح التحليل الحاسوبي استخراج أنماط التكرار اللفظي والتركيبي المفاهيمي، ودراسة الترابط بين نسبة تكرار جذور معينة وطبيعة السور (مكية أو مدنية)، مما يعزز الدراسات التحليلية المتعلقة بالإعجاز العددي والبياني (عمران، 2022،ص 134) .
2. **دراسة النبر والفواصل القرآنية** :عبر معالجة الإشارات الصوتية(Speech Processing) ، يمكن للأنظمة الذكية تحليل الترددات الصوتية والخصائص الفيزيائية للتلاوات القرآنية المختلفة ، مما يسهم في فهم أثر النبر الصوتي في توجيه المعنى، ودراسة الاتساق الصوتي للفواصل القرآنية (القافية والوزن الإيقاعي)، ومدى مواءمته للحالة الشعورية التي تعبر عنها الآيات (المالكي، 2024،ص 91) .

3. **التدقيق اللغوي والبياني الآلي** :طُورت خوارزميات مخصصة للتعرف على الأنماط الصرفية والنحوية للغة العربية التراثية(Classical Arabic) ، مما يساعد في الكشف التلقائي عن أي انحراف في الضبط والشكل أو الرسم العثماني أثناء كتابة النص أو قراءته (هادف ،2024،ص33) .

ثالثاً: التطبيقات الحالية ومراجعة النماذج القائمة

تُرجمت هذه الإمكانات النظرية إلى مشاريع ومنصات حاسوبية قائمة، يسعى بعضها إلى مأسسة البحث القرآني الرقمي، ومن أبرزها:

- **منصات التدقيق اللغوي والقرآني الآلي** :مثل مشروع مصحف المدينة النبوية الذكي والتطبيقات المطورة في مركز تفسير للدراسات القرآنية إذ تعتمد هذه النظم على تقنيات الرؤية الحاسوبية (Computer Vision) والتعرف الضوئي على الحروف (OCR) لتدقيق النسخ الرقمية من المصاحف ومطابقتها بالرسم العثماني المعتمد، فضلاً عن تطبيقات التصحيح التلقائي للتلاوة الصادمة مثل تطبيق ترتيل(Tarteel.ai) ، الذي يستخدم الذكاء الاصطناعي للاستماع إلى صوت القارئ وتحديد موضع الآية وتنبيهه إلى الأخطاء اللفظية في الحركات والحروف آنياً (الجهني، 2025،ص 203) .
- **محركات البحث الذكية والمشروعات الحاسوبية لخدمة التراث** :يبرز هنا مشروع باحث والمنصات التابعة لمجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، إضافة إلى البوابات الأكاديمية مثل جامع خادم الحرمين الشريفين للسنة النبوية ومشروع الموسوعة القرآنية الحاسوبية .تستخدم هذه المشاريع نماذج لغوية مستندة إلى تقنية المحولات (Transformers)تمت تغذيتها بكتب التفسير التراثية وأسباب النزول، مما يتيح للمستخدم استرجاع دلالي متكامل يربط الآية بتفسيرها، ومفرداتها الغريبة، وأشباهها ونظائرها في ثوانٍ معدودة (الرشيد، 2024،ص 88) .

المطلب الثاني: حدود الذكاء الاصطناعي ومواطن القصور أمام التحليل البشري

أولاً: معضلة المعنى والسياق وعجز الآلة عن إدراك المجاز

على الرغم من القفزة الهائلة في معالجة اللغات الطبيعية، تظل الأنظمة الحاسوبية محكومة بآليات إحصائية احتمالية (Probabilistic Models)؛لأنّ الآلة لا تفهم المعنى بالمعنى الوجودي، بل تحسب احتمالية توارد الكلمات بناءً على الأنماط التي تدربت عليها، فيتجلى هذا القصور البنيوي بشكل حاد عند مواجهة النص القرآني الذي يمثل ذروة البيان والمجاز (قايد ، 2026،ص574).

تفتقر الآلة إلى الكفاءة التداولية (Pragmatic Competence) التي تمكنها من التمييز بين الحقيقة والمجاز، أو إدراك الكناية، والاستعارة، والالتفات (الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس) في قوله تعالى :(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (الإسراء: 24)، فيتعامل التحليل الرياضي المحض مع الجناح والذل كعناصر دلالية متقاربة إحصائياً بناءً على سياق البر، لكنه يعجز عن تذوق الاستعارة المكنية التي شبهت الذل بالطائر الذي له جناح، والسر البلاغي الكامن في تقديم الرحمة كدافع لهذا الخفض (الفضلي، 2024،ص 67).

كما تعجز الآلة عن إدراك المقاصد التبعية والسياقات الثقافية والتاريخية المحيطة بالنص (أسباب النزول، البيئة المعيارية للعرب وقت البعثة)، فالنص القرآني حمال أوجه، واللفظة الواحدة قد تتعدد دلالاتها بناءً على المقام، وهو ما يصطلح عليه الأصوليون بـ دلالة الاقتضاء أو الإشارة، وهي مساحات تتطلب عقولاً بشرية قادرة على الغوص وراء الظاهر اللفظي، وهو ما تقف أمامه النماذج الرياضية الصماء عاجزة تماماً (عبد الرحمن، 2025،ص 142) .

ثانياً: إشكالية الهلوسة الرقمية (AI Hallucination) في التفسير

تعتبر الهلوسة الرقمية واحدة من أخطر التحديات التقنية والأخلاقية عند تطبيق النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) على النصوص المقدسة،إذ تحدث الهلوسة عندما يقوم النموذج بتوليد نصوص تبدو صحيحة لغوياً ومنطقياً في ظاهرها، لكنها خاطئة تماماً من الناحية المعرفية أو التاريخية أو الشرعية (سالم، 2024،ص 119).

في سياق التفسير القرآني، قد تؤدي الهلوسة إلى عواقب وخيمة، منها:

1. **توليد أحكام تفكيكية مرسلة** :قد يعمد النموذج. بناءً على تجميع احتمالي عشوائي من مصادر إنترنت غير موثوقة – إلى اختراع أسباب نزول وهمية، أو دمج تفسيرات فرق منحرفة، أو صياغة أحكام فقهية لا خطام لها ولا زمام، ونسبتها كذباً إلى أئمة المذاهب (بدوي، 2025،ص 54) .
2. **الخلط في المتشابه اللفظي** :نظراً لاعتماد الآلة على التقارب الإحصائي، قد تسقط آية في سياق آية أخرى مشابهة لها في اللفظ، وتطبق أحكام سورة مدنية تشريعية على سورة مكية عقائدية، مما ينتج عنه تفسير مشوه يفكك اللحمة البنائية للنص القرآني (قايد،مصدر سابق،ص575).

ثالثاً: غياب الأهلية الشرعية والوعي الأخلاقي والروحي

إنّ تفسير القرآن ليس مجرد عملية فك شفرات لغوية أو استخراج معلومات تفكيكية؛ بل هو فعل تعبدي وممارسة معرفية تشترط أدوات ذاتية وأخلاقية في المفسر تُعرف في علوم القرآن بـ شروط المفسر (مثل صحة الاعتقاد، التجرد، العلم بأصول الدين، والتبحر في علوم العربية والناسخ والمنسوخ) (خلف ،2003،ص 73. 74) .

- **افتقار الوعي والروح الأخلاقية** :الآلة كائن غير واعٍ (Non-conscious) ؛ لا تمتلك إيماناً بالرسالة ولا تقوى تحجزها عن القول على الله بغير علم ، أمّا التفسير البشري يصاحبه وازع أخلاقي وروحي يظهر في ورع المفسرين (كقولهم الله أعلم بمُراده)، بينما يندفع الذكاء الاصطناعي لتوليد إجابات حتمية جازمة تفتقر إلى هذا الحس التعبدي (الشنقيطي، 2024، ص310) .

- **غياب النواة الوجودية للفهم** :يفتقر الذكاء الاصطناعي إلى الوعي بالذات والعالم (Embodied Cognition) ، وإنّ فهم الإنسان للابتلاء، والصبر، والحب، والخوف، والموت – وهي محاور قرآنية أساسية – ينبع من تجربته الوجودية والمعيشية كإنسان، أمّا الآلة، فمعرفتها بهذه المفاهيم هي معرفة رمزية جافة (Symbolic Knowledge)، مما يجعل تفسيرها المقترح خالياً من الروح والعمق الإنساني ومقاصد الهداية والتربية التي هي غاية نزول القرآن (قايد ، مصدر سابق، 580) .

المطلب الثالث: دراسة موازنة (المقارنة)

لإبراز الفجوة المنهجية والمعرفية بين التحليل الآلي التوليدي والتحليل البشري التحليلي الحقيقي، تم إخضاع نموذج لغوي كبير متطور (سياق الذكاء الاصطناعي الحالي) لاختبار تفسير وتحليل نموذج من المتشابه اللفظي والبياني في القرآن الكريم، وقورنت نتائجه بدراسة بشرية تخصصية رصينة.

المثال التطبيقي المستهدف:

الموازنة البيانية والدلالية بين قوله تعالى في سورة الأنعام :(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)(الآية: 151)، وقوله تعالى في سورة الإسراء :(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) (الآية: 31).

أولاً: تحليل وتفسير نموذج الذكاء الاصطناعي (التحليل الآلي)

عند تقديم الآيتين للنموذج وسؤاله عن السر البلاغي في تقديم وتأخير الضمائر (نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ في مقابل نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) وعلاقتها بالسياق، جاءت إجابة الآلة متمحورة حول النقاط التالية:

الآيتان تحثان على عدم قتل الأولاد بسبب الفقر (الإملاق)، ففي سورة الأنعام قال (من إملاق) وفي الإسراء قال (خشية إملاق) ،والفرق البلاغي أنّ تقديم الضمائر يعود إلى التوكيد اللفظي والاهتمام بالمخاطب في سورة الأنعام ؛لأنّ الفقر واقع بالفعل، بينما في سورة الإسراء الفقر متوقع في المستقبل فقدم رزق الأولاد لطمأنة الآباء، والذكاء

الاصطناعي يرى أنّ النمطين يؤديان المعنى ذاته وهو ضمان الرزق من الله لجميع الأطراف وتأكيد قيم التكافل وحماية الطفولة في الإسلام.

ملاحظات نقدية على تحليل الآلة :أظهرت الآلة قدرة جيدة على استدعاء القاعدة التفسيرية العامة المخزنة في قواعد بياناتها (الفقر الواقع مقابل الفقر المتوقع)، لكن تحليلها اتسم بالسطحية والتعميم (مثل قولها :يؤديان المعنى ذاته، وإدخال مفاهيم معاصرة مستوردة ك (حماية الطفولة) بشكل وعظي غير دقيق تركيبياً)، فضلاً عن عجزها عن تتبع البنية النحوية والدلالية العميقة التي تربط الآيتين بالسياق الكلي للسورتين ومحاورهما الموضوعية.

ثانياً: التحليل البشري التحليلي الحقيقي (الدراسات الفذة)

في المقابل، يقدم التحليل البشري التخصصي (عند أئمة البلاغة والتفسير والبحوث المعاصرة التي اقتفت أثرهم) غوصاً دلالياً يربط الحرف الواحد بالمنظومة المعرفية والنفسية للسياق،ففي دراسة تحليلية مقارنة لحسام النعيمي (2021)، تتبع الباحث الخلفية النفسية والاجتماعية التي تفرق بين السورتين بناءً على المنهج البياني التراثي (كتحليلات ابن عاشور والسامرائي):

1. **دلالة الصيغة التراكيبية الفورية (الواقع النفسي):**

- في سورة الأنعام، جاء التعبير بـ (مِنْ إِمْلَاقٍ)، وحرف الجر مِن هنا سببية، أي أن الدافع للقتل هو الفقر الحاصل والواقع بالوالدين **في الحال** .وبما أن الوالدين يواجهان غول الجوع والفقر الآن، فإن الخوف والقلق متوجه إلى رزقهما هما أولاً؛ فكانت الطمأنة الإلهية موجهة إليهما بالمقام الأول فقدمهما في الذكر :نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ (أي نضمن عيشكم الآن) ثم عطف الأولاد وَإِيَّاهُمْ) (النعيمي، 2016،ص203)(السامرائي،2006،ص63) .

في سورة الإسراء، جاء التعبير بـ (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)، والخشية هي خوف وقوع الأمر في **المستقبل**، فالوالدان هنا في حالة غنى أو كفاف، لكنهما يخشيان الفقر إذا أنجبا أولاداً وشاركوهم الرزق ، وبما أنّ علة الخوف هنا هي الإنفاق المستقبلي على المولود الجديد، صار المولود هو السبب المتوهم للفقر، فتوجهت الطمأنة الإلهية إلى المولود أولاً لرفع الهلع النفسي عن الأبوين، فقدمه في الذكر :(نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ ثم عطف الأبوين وَإِيَّاكُمْ) (النعيمي،مصدر سابق،ص203)(السامرائي،مصدر سابق،ص64).

2. **الاتساق الدلالي مع سياق السورة الكلي** :يربط التحليل البشري المتميز بين هذه اللمسة البيانية وبين طبيعة السورة ومحورها العام، وهو ما تعجز عنه الخوارزميات الموضعية:

سورة الإسراء (التحليل البشري)	سورة الأنعام (التحليل البشري)	وجه المقارنة
مكية عنصرها ومحورها شخص الرسول (ص) وبعض قواعد السلوك الفردي والجماعي آدابه (قطب، 2003، ص2208)	مكية تعنى ببناء العقيدة والمبادئ الأساسية للحياة الاجتماعية (قطب ، 1213،2003. 1215)	**طبيعة السورة**
جاءت في سياق منظومة حقوقية واقتصادية متكاملة تنهى عن الإسراف والتبذير، وتأمر بإيتاء ذي القربى حقه، مما	جاءت الآية ضمن عشر وصايا عامة) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ(، تخاطب مجتمعاً يمارس	**السياق المحيط**

سورة الإسراء (التحليل البشري)	سورة الأنعام (التحليل البشري)	وجه المقارنة
يشي بحالة من الترف المالي وخوف زوال النعمة والفقر (مسلم،2010 ، ص 236.234)	القتل الفعلي للأولاد هرباً من الفقر (مسلم ،2010،ص 584. 590)	
بنيت الآية على إزاله التوهم بأنهم صائرون إلى الفقر بعد الغنى (بدوي،2005،ص 94)	بنيت الآية على السرعة في وعد الآباء بما يتناسب مع ضيق عيش المخاطبين(بدوي،2005،ص94)	البنية اللفظية البلاغية

جدول تركيبي: الفجوة المنهجية بين التحليلين الآلي والبشري

تأسيساً على المقارنة التطبيقية السابقة، يوضح الجدول التالي ملامح الفجوة المعرفية والمنهجية بين ما يقدمه الذكاء الاصطناعي وما ينتجه التحليل البشري الرصين:

وجه المقارنة المعرفي	تحليل الذكاء الاصطناعي (الآلة)	التحليل البشري (العقل المفسر)
المنهجية المتبعة	إحصائية احتمالية تعتمد على تكرار الأنماط والارتباط الدلالي السطحي.	استقرائية، سياقية، تداولية تعتمد على استنتاج المقاصد وتحليل النوايا.
فهم المتشابه البياني	يدرك الفروق العامة إذا كانت ملقنة مسبقاً، لكنه يعجز عن ابتكار وتذوق أوجه التلاؤم الصوتي والنفسي الدقيق.	يغوص في الدوافع النفسية للمخاطبين، ويربط التغيير الحرفي بالحالة الشعورية والمجتمعية وقت النزول.
الامتداد السياقي	يتعامل مع الآية ككتلة معزولة أو يبحث عن علاقات قريبة في النطاق الضيق (الموضعي).	يربط جزئيات الآية بالمحور الكلي للمصحف، وببنية السورة، وبالوقائع التاريخية (أسباب النزول).
المرجعية والأخلاقية	يفتقر إلى الوعي والنية والوازع التعبدي، مما يجعله عرضة لتوليد تفسيرات مهلوسة وخاطئة شرعاً.	ينطلق من أهليّة علمية وأخلاقية صارمة، ملتزماً بحدود الورع العلمي وضوابط الاستنباط الأصولي.

تثبت هذه الدراسة المقارنة أنّ الذكاء الاصطناعي، رغم كونه أداة مساعدة وفائقة السرعة في التصنيف، والحصر الإحصائي، وتيسير البحث الدلالي (الواقع والمأمول)، فإنه يظل قاصراً بنيوياً عن إدراك أسرار النظم القرآني، وعاجزاً عن

توفير الفهم الروحي والمقاصدي العميق الذي يتطلب ملكة بشرية واعية، متصلة بالتجربة الوجودية، ومتسلحة بالعلوم الشرعية واللغوية الرصينة.

إنّ الانتقال من الفضاء التنظيري إلى المحك التطبيقي يستلزم فحصاً دقيقاً لكيفية تعامل كلٍّ من العقل البشري (المسلّح بأدوات التفسير وأصول اللسان) والنموذج الآلي (المعتمد على الأوزان الإحصائية وشبكات الترابط العصبية) مع النص القرآن؛ لتجسيد هذه الموازنة، تم اختيار نموذج تطبيقي لآية قرآنية مركزية تشتبك فيها الأبعاد اللغوية، البلاغية، السياقية، والتشريعية، وهي قوله تعالى في سورة البقرة: (**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**) (البقرة: 228) .

تكمن أهمية هذه الآية في أنها تمثل حقل اختبار مثالي؛ نظراً لاحتوائها على لفظ مشترك (القرء)، صيغة خبرية تفيد الأمر والوجوب (يتربصن)، وبُعد مقاصدي واجتماعي يرتبط بالبراءة والعدّة.

أولاً: التحليل الآلي للآية (الآليات، الإمكانات، والحدود)

عند إدخال الآية إلى النماذج الحاسوبية الحديثة المبنية على نماذج اللغات الكبيرة (LLMs) مثل شبكات التوليد الذكي، أو محركات المعالجة اللسانية(NLP) ، نجد ما يلي :

1. آلية العمل التقنية (التضمين الدلالي والأوزان الاحتمالية)

لا تفهم الآلة كلمة القرء أو يتربصن عبر الوعي بالماهية، بل تحول الكلمات إلى نواقل رياضية (Vectors) عبر تقنيات التضمين (Word Embeddings) فيتم حساب تكرار الكلمات وسياقاتها في البيانات التي دُرّبت عليها لإنتاج استجابة احتمالية.(Probabilistic Next-Token Prediction)

2. إمكانات الآلة الإحصائية (نقاط القوة الآلية)

إذا طُلب من النموذج الآلي تحليل الآية إحصائياً وموضوعياً، فإنه يبدي تفوقاً فائقاً وسرعة مذهلة في الجوانب التالية:

- **البحث الدلالي الممتد** :يستطيع الحاسوب في أجزاء من الثانية ربط آية البقرة بآية الطلاق وآية الأحزاب (**فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا**) (الأحزاب :49) مستخرجاً البنية الشبكية لمصطلح العدة في القرآن كاملة.
- **التحليل الصرفي الرقمي** :ردّ كلمة يتربصن إلى جذرها الثلاثي (ر ب ص)، وتحديد نسبة ورود هذا الجذر في القرآن (تربص، نتربص، متربصون)، مما يعين الباحث البشري في رصد المعجم المفهومي للنص القرآني (العربي ومصرع، 2025،ص144) .

3. حدود الآلة ومواطن قصورها (الفجوة الرقمية)

عند الانتقال من الرصد إلى الفهم والاستنباط، تقع الآلة في إشكالات بنيوية وعميقة، تظهر في معالجة مثالنا التطبيقي كالتالي:

- **العجز عن حسم المشترك اللفظي ذي الخلفية الفقهية** :عندما يواجه النموذج كلمة قروء، فإنه يقوم بـ تجميع الآراء البشرية المخزنة في ذاكرته الرقمية ويسردها (الشافعية قالوا كذا والحنفية قالوا كذا)؛ لكنه يعجز تماماً عن توليد ترجيح نابع من تذوق اللسان أو فهم البيئة التشريعية، الآلة لا تملك ملكة الاجتهاد بل تملك ذاكرة الاسترجاع.
- **جمود الفهم البلاغي والعدول الأسلوبي** :يواجه الذكاء الاصطناعي صعوبة بالغة في إدراك أنّ قوله(**يَتَرَبَّصْنَ**) (وهو جملة خبرية مكوّنة من فعل ومبتدأ مستتر) يحمل دلالة الأمر الإلزامي القطعي ، النماذج الآلية تميل بطبيعتها الإحصائية إلى تفسير الخبر على أنّه إخبار بالواقع(Reporting) ، فلو عومل النص حرفياً لغوياً لحسبت الآلة أنّ كل مطلقة في الواقع الخارجي ستقوم بالتربص حتماً، عاجزة عن فهم الالتفات البلاغي والعدول الصرفي الناتجة عن بلاغة العتاب أو التشريع (بدوي، 2025 :ص112)
- **إشكالية الهلوسة التقنية وسقوط السياق(Hallucination)** : إذا تم الضغط على النموذج الآلي لاستنباط حكم جديد في مسألة المطلقة التي يئست من المحيض بناءً على هذه الآية دون ربطها بآية سورة الطلاق، فقد يقوم

بتوليد قواعد فقهية وهمية عبر دمج تعسفي للنصوص، لعدم امتلاكه لـ أصول الفقه كمنظومة حاكمة لتقييد العام وتخصيص المطلق (فتح الله،2026،ص25) .

ثانياً: التحليل البشري المنهجي للآية (المرتكزات والمخرجات)

يقوم التحليل البشري عند علماء التفسير والأصول على معالجة هرمية تبدأ من الحرف وتنتهي بالمقصد الشرعي، وعبر استنطاق المادة التفسيرية الحقيقية (الطبري، الزمخشري، الشاطبي، وابن عاشور)، تتبدى لنا معالم هذا التحليل في الأبعاد التالية:

1. البُعد اللغوي والدلالي (معضلة اللفظ المشترك)

واجه المفسرون البشريون لفظ (**قُرُوءٍ**) بوصفه نموذجاً للمشترك اللفظي وهو اللفظ الذي يوضع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر بوضع واحد ،يذكر ابن جرير الطبري (ت310 :هـ) أن أهل اللسان العربي اختلفوا في المراد بالقرء على قولين؛ فمنهم من جعله الحيض ومنهم من جعله الأطهار (الطبري، 1994، مج2، ص24) ، هذا الحجاج الفقهي يعكس قدرة العقل البشري على الترجيح الدلالي بناءً على القرائن الخارجية والآثار المروية.

2. البُعد البلاغي والأسلوبي (العدول عن الإنشاء إلى الإخبار)

يتجلى الإعجاز البلاغي في قوله تعالى (**يَتَرَبَّصْنَ**)، حيث جاء اللفظ بصيغة الفعل المضارع (خبر)، ولكن المراد به الأمر (إنشاء)، يحلل الزمخشري (ت 583هـ) هذا العدول البلاغي ، بقوله :إنّ إخراج الأمر في صورة الخبر هو من باب تأكيد

الوجوب، وكأن الفعل قد امتُثل بالفعل ودخل في حيز الوجود الخارجي، فلا مجال للمطلقة أنْ تتراخى فيه (الزمخشري، 2009، ص142).

كما يبرز التحليل البشري لطيفة بلاغية في قوله :(**بِأَنْفُسِهِنَّ**)، حيث لم يكتفِ النص بـ يتربصن، بل أضاف الأنفس؛ للدلالة على المراجعة النفسية، وضبط وازع الدين في أمر غيبي لا يطّلع عليه إلا المرأة، وفي ذلك تهييج لضميرها وكفّ لها عن تزوير العدة (ابن عاشور، 1984،ج2، ص390) .

3. البُعد السياقي والمقاصدي

يربط المفسر البشري الآية بسياقها الكلي ، يوضح ابن عاشور أنّ هذه الآية جاءت لتنظيم النظام الأسري في المجتمع الإسلامي بعد الفراق، وأنّ التربص شرع لمقاصد ثلاثة :استبراء الرحم صيانةً للأنساب، إعطاء مهلة للزوجين لعلهما يفيئان إلى الصلح، وتعظيم عقد النكاح بإظهار أثره بعد انحلاله (ابن عاشور، 1984، ج2، ص393) ،هذا الربط بين الحكم الفقهي الجزئي والكلي المقاصدي يرتكز على فهم الشاطبي لمفهوم كليات الشريعة التي لا يمكن استنباطها إلا عبر استقراء تام يمارسه العقل البشري المجتهد (الشاطبي، 1997 :ج2، ص15).

ثالثاً: جدول مقارنة تحليلي (البشري ضد الآلي)

لتلخيص الفجوة المعرفية والأداتية بين التحليلين في الآية محل الدراسة، نستعرض الجدول التالي:

التحليل الآلي الحاسوبي	التحليل البشري المفسر	وجه المقارنة
الأوزان الإحصائية، المتجهات الرياضية، وبينات التدريب.	الوعي، الذوق البلاغي، الأثر، وأصول الفقه.	**منطلق المعالجة**
سرد آلي للأقوال المسجلة دون قدرة ذاتية على الترجيح.	ترجيح دلالي قائم على أدلة لسانية وأثرية متضافرة.	**حل المشترك (قروء)**
معاملة اللفظ كبنية خبرية، والحاجة لتلقين مسبق لفهم المجاز.	إدراك فوري للعدول الأسلوبي (خبر بمعنى الإنشاء للوجوب).	**فهم البلاغة (يتربصن)**
ربط معجمي إحصائي بالكلمات المشابهة في المدونة.	ربط الآية بمقاصد الشريعة الكبرى وصيانة الأنساب.	**الامتداد السياقي**
واردة جداً عبر التوليد الاحتمالي العشوائي (هلوسة رقمية).	محكومة بقواعد التفسير الصارمة (خطأ اجتهادي مأجور).	**نسبة الخطأ والهلوسة**

رابعاً: الفجوة الإبستمولوجية والنتيجة المعرفية

إنّ الفجوة بين التحليلين في هذا المثال التطبيقي ليست فجوة كمية يمكن معالجتها بزيادة حجم البيانات أو تطوير المعالجات؛ بل هي **فجوة إبستمولوجية (معرفية) نوعية.**

إنّ المفسر البشري عندما يحلل آية الطلاق والعدّة، يستحضر مفهوم المكلف وخطاب الشارع والعلّة التشريعية، وكلها مفاهيم تتطلب إيماناً بالمرسِل (الله سبحانه وتعالى) وفهماً لمراده ، إذ يذكر الغزالي في المستصفى أنّ فهم الخطاب الشرعي يستلزم معرفة بمقاصد المتكلم (الغزالي، د.ت، ج3، ص28) ، والآلة حتماً تفتقر إلى صفة المخاطَب أو المدرك للمقاصد؛ فهي لا تعرف معنى الرحم أو الفراق الاجتماعي كشعور ومعاناة إنسانية تبنى عليها أحكام التربص، وإنما تتعامل معها كرموز (Tokens) في سياق محوسب.

بناءً على ذلك، يخلص هذا التطبيق العملي إلى أنّ الذكاء الاصطناعي يمثل **قوة إحصائية خادمة** تمد المفسر البشري بخرائط المعجم، وإحصاء الفواصل، وتجميع الأشباه والنظائر في ثوانٍ، لكنه يقف عاجزاً وعقرياً عند عتبة الاستنباط والتأويل والبيان، والتي تظل خلاصة حصرية للعقل البشري الملتزم بأصول ومقاصد الوحي الإلهي.

خاتمة:

خاضت هذه الدراسة في غمار قضية معاصرة بالغة الأهمية، وهي النص القرآني بين التحليل البشري والتحليل الآلي، متتبعةً إمكانات الذكاء الاصطناعي وحدوده المنهجية. وأظهر البحث أن التحول الرقمي يمثل امتداداً تقنياً متطوراً لجهود علماء الأمة الأوائل الذين اعتنوا بحصر ألفاظ القرآن وإحصائها. وبينما فتح الذكاء الاصطناعي آفاقاً مذهلة لتيسير البحث الدلالي والاسترجاع المعرفي وتدقيق القراءات، إلا أن المحك التطبيقي أثبت بصورة قاطعة أن النص القرآني المعجز يظل عصياً على الاختزال الرياضي المحض، وأن الاستغناء بالآلة عن التدبر البشري والملكة الفقهية واللسانية هو مجازفة علمية تحيط بها مخاطر الانتحال والهلوسة الرقمية وفقدان روح النص ومقاصده التعبدية والتربوية.

نتائج الدراسة:

1. **التكامل التاريخي** :التفسير الرقمي المعاصر ليس منبتاً عن التراث، بل هو امتداد تقني مبني على القواعد المنهجية والمواد الخام التي أسسها التحليل البشري (التفسير الموضوعي والتحليل اللغوي البنيوي).
2. **تفوق الآلة الكمي والإحصائي** :يمتلك الذكاء الاصطناعي كفاءة استثنائية وفائقة في الشمولية الاستقصائية، والتحليل الصرفي الرقمي، والبحث الدلالي الممتد(Semantic\ Search) ، وتصحيح التلاوة صوتياً بشكل يحاكي المُحفّظ البشري.
3. **العجز البنيوي والبلاغي** :تقف النظم الحاسوبية عاجزة أمام الكفاءة التداولية؛ فلا تدرك أسرار المجاز، والعدول الأسلوبي (كالعدول من الإخبار إلى الإنشاء)، ولا تتذوق اللمسات البيانية المرتبطة بالحالة النفسية والمجتمعية وقت النزول.
4. **خطر الهلوسة الرقمية** :النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) محكومة بأوزان إحصائية احتمالية قد تؤدي إلى الهلوسة، مما يتسبب في توليد أحكام تفكيكية مرسلة، أو اختراع أسباب نزول وهمية، أو الخلط في المتشابه اللفظي.

5. **غياب النواة الوجودية والأهلية الشرعية** :تفتقر الآلة تماماً لـ شروط المفسر من صحة الاعتقاد والورع العلمي والتجرد، كما تفتقر للوعي الوجودي البشري (إدراك معاني الصبر، الخوف، والابتلاء من واقع التجربة الإنسانية المَعِيشة)، مما يجعل مخرجاتها الاستنباطية جافة وخالية من مقاصد الهداية والتربية الإلهية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن عاشور، محمد الطاهر.(1984).*تفسير التحرير والتنوير* .تونس: الدار التونسية للنشر.
- باكير، أحمد. (2022). *الشبكات العصبية الاصطناعية وتطبيقاتها في معالجة النصوص الشرعية* .مجلة الدراسات اللغوية والحاسوبية، 8(2)، 115-138.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي . *(2012)* .*صحيح البخاري*. دار التأصيل .
- بدوي، محمود.(2025) .*جمود الفهم البلاغي في نماذج الذكاء الاصطناعي: دراسة تطبيقية على النص القرآني* . القاهرة: دار الفكر العربي.
- بدوي ، أحمد أحمد .(2005) . *من بلاغة القرآن . نهضة مصر للطباعة والنشر* .
- بشير، عمر، وآخرون.(2023).*أدوات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) في خدمة العلوم القرآنية: الآفاق والتحديات* .المجلة الدولية للحوسبة الإسلامية، 14(1)، 55-80.
- الجهني، خالد .(2025). *تقنيات الرؤية الحاسوبية والمعالجة الصوتية في تطبيقات المصاحف الذكية* .الرياض: مجلة الحوسبة والعلوم الشرعية.
- حكيم ، سومية . (2025) .*التفسير الرقمي الذكي تأسيس علم تفسيري متجدد وفق الثوابت الأصولية وحتميات الحداثة وفق رؤى مبتكرة* . مجلة قراءات علمية في الأبحاث والدراسات ، ع 43 ، ص 352 . 377.
- الحميضي ، إبراهيم بن صالح بن عبد الله . (2020) .*المدخل الى التفسير الموضوعي(ط3)* . المملكة العربية السعودية . الدمام :دار ابن الجوزي .
- خلف ، عبد الجواد .(2003). *مدخل الى التفسير وعلوم القرآن* .القاهرة : دار البيان للطباعة والنشر .

- الدعدر، سامي.(2024) .*تقنيات الذكاء الاصطناعي وقواعد البيانات القرآنية: البنية التحتية للتفسير المعاصر* . مجلة الدراسات القرآنية الرقمية، 3(1)، 301-335.
- الرشيد، عبد الله.(2024) .*نماذج المحولات (Transformers) وتطبيقاتها في استرجاع التراث التفسيري* . أبوظبي: مركز البحث الرقمي.
- ريغي، عادل.(2023) .*قصور نماذج التوليد الآلي (ChatGPT) في فقه آيات الأحكام* .مجلة الفقه المعاصر والتحول الرقمي، 5(2)، 1-18.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. (1995) . *مناهل العرفان في علوم القرآن .(تحقيق :فواز أحمد زمرلي)* .بيروت: دار الكتاب العربي .
- الزركشي، بدر الدين .(1994) .*البرهان في علوم القرآن* .(تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- الزمخشري، محمود بن عمر .(2009) .*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* . بيروت: دار الكتاب العربي.
- زهيري، توفيق .(2023) .*الأمانة العلمية والانتحال الرقمي في عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي* .مجلة الأخلاقيات الأكاديمية، 11(4)، 12-29.
- السامرائي ، فاضل صالح . (2006) .*التعبير القرآني (ط4)*. دار عمار .
- سالم، عبد الرحمن .(2024). *إشكالية الهلوسة الرقمية (AI\ Hallucination) ومخاطرها على النصوص المقدسة* .مجلة الأمن المعرفي التقني، 7(3)، 101-125.
- سعيد ، عبد الستار فتح الله . (1991) . *المدخل إلى التفسير الموضوعي (ط2)*.دار التوزيع والنشر الإسلامية .

- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين : (د.ت) . *الدر المنثورفي التفسيربالمأثور*. بيروت : دار الفكر .
- شاشة ، إيمان ، وآخرون. (2022) . *المعالجة الرقمية للمشاريع العربية المعجمية الموحسبة* . مجلة البحوث التربوية والتعليمية ، 11 ، ص 57 . 76 .
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997) . *الموافقات* .(تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان) . دار ابن عفان.
- شاهد، محمد .(2023). *البحث الدلالي (Semantic \ Search) وتحليل المتجهات في النص القرآني* .مجلة هندسة اللغات، 19(2)، 38-59.
- الشنقيطي ،محمد الأمين محمد المختار الجكيني .(1980). *تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* . طبع على نفقة : محمد بن عوض بن لادن .
- الشنقيطي، مختار .(2024). *الأهلية الشرعية وشروط المفسر بين العقل البشري والآلة الصماء* .المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية.
- الطبري، محمد بن جرير . (1994). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .(تحقيق : بشار عواد وعصام فارس). القاهرة: مؤسسة الرسالة .
- عباس، أحمد .(2025). *الخصوصية الرقمية والمخاطر القانونية في فضاء التواصل* .بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر.
- عبد الخالق ،علاء ، وآخرون .(2024). *الذكاء الاصطناعي مفاهيم وتقنيات . دليل تعليمي للطلبة* .العراق . بغداد : دار السرد للطباعة والنشر.
- عبد الرحمن، خالد .(2025). *دلالة الاقتضاء والإشارة وقصور النماذج الرياضية في فهمها* .مجلة أصول الفقه اللساني، 12(1)، 130-155.

- العتيبي، بندر .(2025).*علم المناسبات الرقمي والتجميع العنقودي (Thematic \ Clustering) للآيات* . مجلة الدراسات البلاغية والتقنية، 4(2)، 66-90.
- العربي ،محمد الصالح عتيق ، ومصرع، أسمهان .(2025).*التحليل الصرفي لألفاظ القرآن الكريم في ظل التحول الرقمي* .مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، 9(2)،135.154.
- العريان ، يوسف سالم ، وآخرون .(2019). *تطبيقات الذكاء الاصطناعي في خدمة اللغة العربية* . المملكة العربية السعودية . الرياض : مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي.
- عفيفي، رأفت .(2025). *منصات التفسير الذكي وتعلم الآلة .(Machine \ Learning)* القاهرة: دار النهضة الشرقية.
- عمران، ياسر .(2022). *التحليل الإحصائي والاتساق الأسلوبي في السور المكية والمدنية* .مجلة إعجاز القرآن، 10(4)، 120-145.
- غربي، عمر، وحاقة، رابح .(2023).*معالجة الإشارات الصوتية (Speech \ Processing) وتصحيح التجويد آلياً* .مجلة تكنولوجيا العلوم الشرعية، 2(1)، 35-58.
- غرغوط ، محمد بن علي . (د.ت) . *صناعة الفتوى عن طريق الذكاء الاصطناعي . الروبوت المفتي أنموذجاً* .ص 371. 400.
- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد . (د.ت) . *المستصفى في علم الأصول* .(تحقيق: حمزة بن زهير الحافظ). الجامعة الإسلامية .كلية الشريعة . المدينة المنورة .
- غنايم، نادية .(2023). *الملكة الفقهية وغياب شخصية الباحث في ظل الاعتماد الكلي على الآلة* .مجلة الفكر التربوي والشرعي، 15(2)، 25-48.

- فتح الله، مندورعبد السلام .(2026).*موثوقية مخرجات نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي في بحوث التربية العلمية :دراسة تقييمية لظاهرة الهلوسة ووعي الباحثين واتجاهاتهم*.مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس ، 1(271)،13.86.

- الفضلي، زينب .(2024). *الكفاءة التداولية والتمييز بين الحقيقة والمجاز في النظم الحاسوبية* .مجلة اللسانيات التوليدية، 6(1)، 55-78.

- قايد،فايز مصلح علي .(2026). *محاذير أستخدام الذكاء الاصطناعي في تفسير القرآن الكريم* .مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية ،(52)،563.590.

- قطب ، سيد .(2003) . *في ظلال القرآن (ط32)*. دار الشروق .

- الكلفا ، أسماء بنت عبد العزيز. (2015). *بناء الأنطولوجيا الدلالية للقرآن الكريم وأثرها في التفسير الموضوعي: أنطولوجيا الحوارات نموذجاً* .الكويت: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، 30 (102)، 265-298.

- المالكي ، عبيرأحمد . (2024). *دور التحول الرقمي في تطبيقات الإدارة المعاصرة في المملكة العربية السعودية :دراسة تطبيقية على شركة الاتصالات السعودية* . المجلة الدولية لتكنولوجيا التعليم والمعلومات ،(5) ،57. 74 .

- مسلم ، مصطفى ، نخبة من علماء التفسير .(2010). *التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم* . جامعة الشارقة. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي .

- النعيمي ، حسام سعيد. (2016). *دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل* .دار ابن كثير.

- هادف ،بثينة.(2024).*الأخطاء اللغوية الشائعة في ظل التدقيق اللغوي الآلي* .مجلة اللسانيات التطبيقية ،8(1)،29.48.

- يونس، أحمد .(2024). *تطبيقات التضمين اللغوي (Word\ Embeddings) في محركات البحث القرآنية* .مجلة علم البيانات المعاصر، 11(1)، 95-120.
- يونس ، أسماء . (1447هـ). التفسير الرقمي : *دراسة لتأثير التكنولوجيا الحديثة على تفسير القرآن الكريم*. جامعة كابل. مجلة الدراسات الإسلامية ، ع2 ،ص 27. 46 .
- Ul Rehman, I., & others. (2021). *Data Visualization and Mathematical Modeling in Classical Arabic Texts*. Journal of Computer Science and Islamic Applications, 9(3), 201-225.

الخبر بين الوظيفة النحوية ورسالة الخطاب في سورة الرحمن

The predicate between grammatical function and the message of discourse in Surah Ar–Rahman

زهير طاهر شنيتر[1]

[1]ديوان الوقف السني – جمهورية العراق – بغداد

Zuhair Taher Schnitter[1]

Sunni Endowment Office, zuhertaher2@gmail.com

الملخص:

يُمثّل الخبر في القرآن الكريم بنيةً لغويةً تتجاوز حدود الوظيفة النحوية المألوفة؛ إذ لا يقف عند أداةً الإسناد أو نقل المعنى، بل يتحول داخل النسيج القرآني إلى قوةٍ توجيهيةٍ فاعلة تُعيد تشكيل الوعي عند المتلقي، وتدير حركته النفسية والفكرية وتؤسس لعلاقةٍ تفاعلية بين النص والمتلقي. فالخبر في سورة الرحمن لا يقتصر على نقل المعلومة أو تقرير الحقيقة، بل يؤدي وظيفة خطابية مركبة تجمع بين التقرير والإقناع، والتنبيه والتذكير، والإثارة الوجدانية، وترسيخ الحجة؛ فتقوم البنية الخبرية في السورة على عرض مظاهر القدرة الإلهية والنعم الكونية والجزاء الأخروي في نسقٍ تراكمي متتابع، يُحدث في المتلقي حالةً من التأمل والانبهار والاستجابة النفسية. وعليه فإن الخبر في سورة الرحمن يمثل بنيةً وظيفيةً وجماليةً في آنٍ واحد؛ فهو يؤدي وظيفة نحوية ظاهرة، لكنه في العمق يُشكّل أداةً لصناعة التأثير وتوجيه الخطاب وبناء الحجاج القرآني، ويؤكد أن الخبر ليس مجرد وعاء للمعنى، بل وسيلة لتشكيل الوعي وإدارة التلقي تُفضي إلى الإذعان الداخلي والاستجابة الشعورية عند المخاطب.

الكلمات المفتاحية: – أنماط الخبر, – الدلالات الوظيفية للخبر, – الخبر ورسالة الخطاب.

Abstract: In the Holy Quran, the narration (khabar) represents a linguistic structure that transcends the boundaries of its familiar grammatical function. It does not merely serve as a predicate or convey meaning, but rather, within the Quranic fabric, it transforms into an active guiding force that reshapes the recipient's consciousness, directs their psychological and intellectual movement, and establishes an interactive relationship between the text and the recipient. In Surah Ar-Rahman, the narration is not limited to conveying information or stating a fact; it performs a complex rhetorical function that combines reporting and persuasion, admonition and reminder, emotional arousal, and the consolidation of argument. The narrational structure in the Surah is based on presenting manifestations of divine power, cosmic blessings, and the rewards of the Hereafter in a cumulative and sequential manner, creating in the recipient a state of contemplation, awe, and psychological response. Thus, the narration in Surah Ar-Rahman represents a functional and aesthetic structure simultaneously. It performs an apparent grammatical function, but at its core, it constitutes a tool for creating influence, directing discourse, and

constructing Quranic argumentation. It affirms that the narration is not merely a vessel for meaning, but a means of shaping consciousness and managing reception, leading to inner acceptance and emotional response in the addressee.

Keywords: - Patterns of Information - Functional Implications of Information

-Information and the Message of Discourse.

المقدمة

يمثّل الخبر في القرآن الكريم بنيةً لغويةً تتجاوز حدود الوظيفة النحوية المألوفة؛ إذ لا يقف عند أداةً الإسناد أو نقل المعنى، بل يتحول داخل النسيج القرآني إلى قوةٍ توجيهيةٍ فاعلة تُعيد تشكيل الوعي عند المتلقي، وتدير حركته النفسية والفكرية وتؤسس لعلاقةٍ تفاعلية بين النص والمتلقي. والخبر في سورة الرحمن لا يقتصر على نقل المعلومة أو تقرير الحقيقة، بل يؤدي وظيفة خطابية مركبة تجمع بين التقرير والإقناع، والتنبيه والتذكير، والإثارة الوجدانية، وترسيخ الحجة؛ وعليه فإن الخبر في سورة الرحمن يمثل بنيةً وظيفيةً وجماليةً في آنٍ واحد؛ فهو يؤدي وظيفة نحوية ظاهرة، لكنه في العمق يُشكّل أداةً لصناعة التأثير وتوجيه الخطاب وبناء الحجاج القرآني، ويؤكد أن الخبر ليس مجرد وعاء للمعنى، بل وسيلة لتشكيل الوعي وإدارة التلقي تُفضي إلى الإذعان الداخلي والاستجابة الشعورية عند المخاطب. ومن هنا تظهر أهمية الموضوع إذ أنه يجمع بين التحليل النحوي, والتحليل الدلالي, والتحليل التداولي والخطابي؛ ويُبين أن الخبر القرآني ليس مجرد بنية نحوية، بل أداة فاعلة في صناعة المعنى وتوجيه المقاصد.

وتكمن اشكالية البحث في بيان وإظهار الكيفية التي يتجاوز بها الخبر في سورة الرحمن وظيفته النحوية التقليدية بوصفه ركنًا إسناديًا متممًا للفائدة ؟؟ وكيف يُؤدي الخبر أدوارًا خطابية وتداولية تُسهم في بناء رسالة السورة ؟؟ وكيف يُسهم الخبر في إحداث التغيير الجذري والأثر النفسي والإقناعي في المتلقي ؟؟ هذه التساؤلات المحورية والرئيسية التي يهدف البحث للإجابة عنها؛ وللوصول الى ذلك لابد من بيان مفهوم الخبر في الدرس النحوي العربي, ثم دراسة الرسائل الخطابية التي حملتها التراكيب الخبرية في محاور سورة الرحمن, وبيان أثر الخبر في توجيه المعنى وبناء التفاعل مع المتلقي.

إن الخبر في سورة الرحمن لم يرد متفرقًا أو مستقلاً في موضوعاته، وإنما انتظم في محاور خبرية متتابعة تكوّن في مجموعها البنية المركزية لرسالة الخطاب, فقد جاءت السورة سلسلةً من الأخبار المتدرجة التي تنتقل بالمخاطب من التعريف بالمنعِم، إلى مشاهدة آثار نعمته في الكون، ثم إلى إدراك مآل الانسان ومصيره؛ وبذلك أسهم الخبر في بناء مقصد السورة الكلي المتمثل في حمل الإنسان والجن على الإقرار بآلاء الله والاستجابة لمقتضى هذه النعم إيمانًا وشكرًا وطاعة.

وقد قام البحث على الربط بين البنية النحوية للخبر, وبين الوظيفة الخطابية والتداولية داخل السورة، وتشكل ذلك في ثلاثة مستويات أو مباحث: الأول مبحث البنية الخبرية ووظيفتها النحوية, والمبحث الثاني البنية الدلالية وبناء المعنى القرآني, والمبحث الثالث الرسالة الخطابية وأثرها في المتلقي. وقد استعمل البحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف الخبر وتحليل ظواهره النحوية ورسائله الدلالية والخطابية؛ التي لخصتها خاتمة البحث بالنتائج.

المبحث الأول

أنماط الخبر في سورة الرحمن ووظائفها النحوية

الخبر في اللغة العربية من المصطلحات التي تناولها اللغويون والنحاة والبلاغيون، وقد اختلفت عباراتهم في تعريفه باختلاف الجوانب التي نظروا منها إليه، إلا أنها تدور حول معنى واحد وهو الإعلام والإفادة ونقل المعلومة إلى المخاطب؛ وقد ورد

في معاجم اللغة العربية أن الخبر واحد الاخبار, وأخبره بكذا واخبره بمعنى, وأخبر الأمر علمه, وبابه نصر والاسم الخُبرُ بالضم وهو العلم بالشيء, والخبير العالم[1]. وذكر أبو هلال العسكري أَن الْخَبَر هُوَ القَوْل الَّذِي يَصح وَصفه بِالصّدقِ وَالْكذب وَيكون الإخبار بِهِ عَن نَفسك وَعَن غَيْرك وأصله أَن يكون الْإِخْبَار بِهِ عَن غَيْرك[2]. وأَن الْخَبَر هُوَ العلم بكنه المعلومات على حقائقها فَفِيهِ معنى زَائِد على العلم[3]. وجاء في تاج العروس ان النبأ والخبر مترادفان, والنبأ هو خبرٌ ذو فائدة عظيمه يحصل به علم أو غلبة الظن ولا يقال للخبر في الاصل نبأ حتى يكون صادقاً, وحق الخبر أن يتعرى عن الكذب كالمتواتر, وخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم نبأٌ, لتضمنه معنى الخبر قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات:6] أي: بخبر, وقيل نبأته أبلغ من أنبأته لقول الله تعالى (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) [التحريم:3][4].

والخبر في اصطلاح النحاة هو الجزء الَّذي يُتمِّمُ الفائدةَ للمبتدأِ[5]. وإفراد الخبر هو الأصل نحو: "زيد قائم", ويكون جملة، وظرفًا، وجارًا ومجرورًا[6]. والخبر هو ثاني الجزئين ولا إشكال في أن ثانيهما هو الذي به تتم الفائدة, وإن الخبر هو المستفاد من الجملة؛ ولذلك كان أصله أن يكون نكرة، ولهذا قيل: المبتدأ معتمد البيان والخبر معتمد الفائدة [7]. وأنَّ الخبر هو الحديثُ عن المُبتدأ سواءٌ كانَ مُفرداً أو جُملةً[8]. إذن فالخبر هو التركيب اللغوي الذي يُقصد به إسناد المعنى إلى مسند إليه بقصد الإفادة والإعلام، ويكون قابلاً للحكم عليه بالصدق أو الكذب من جهة مطابقته للواقع، كما يؤدي في السياق وظائف دلالية وتواصلية تتجاوز مجرد الإخبار إلى التأكيد والإقناع والتوجيه والتأثير في المتلقي.

(1) مختار الصحاح: زين الدين محمد, 87/1.
(2) الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري, 40/1.
(3) المصدر نفسه, ص93.
(4) تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد الزبيدي, 444/1.
(5) المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف: عبد الله بن يوسف بن عيسى, 66.
(6) شرح الكافية الشافية: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك, 334/1.
(7) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: بدر الدين حسن بن قاسم المرادي, 474/1.
(8) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري, 25.

ويُمثل الخبر في سورة الرحمن مادة غنية جدًا من حيث البنية النحوية وآليات التشكيل، لأن الخبر فيها لم يأتِ على صورة نحوية واحدة، بل تنوّعت أبنيته وتشكيلاته لتحقيق مقاصد الخطاب من التقرير والتذكير والإقناع والتأثير. فيمكن القول إن الخبر في سورة الرحمن يتشكل نحويًا من المفرد والجملة وشبه الجملة، وتتجلى آليات بنائه في الإسناد المباشر، والتنوع بين الاسمية والفعلية، والتقديم والتأخير، والحذف، والتوازي التركيبي؛ مما يجعل الخبر أداة مركزية في بناء خطاب السورة القائم على تقرير النعم، وإثبات دلائل القدرة، وترسيخ الحجة في نفس المتلقي.

وتتوزع أنماط الخبر النحوية على الجمل الخبرية الواردة في سورة الرحمن على عدة أنماط رئيسة، أهمها:

أولاً: الخبر والبنية النحوية:

1- الخبر المفرد: وهو ما كان كلمة واحدة أو في تأويل كلمة واحدة، ويرد الخبر في سورة الرحمن في مواضع قليلة نسبيًا مقارنة بالجمل الفعلية، لكنه يؤدي وظائف نحوية وخطابية عميقة, نحو: قوله تعالى ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:5], اختلف النحاة في توجيه (بحسبان)، والأشهر أنها شبه جملة في موضع الخبر, ووظيفتها النحوية الإخبار عن انتظام حركة الشمس والقمر, وإبراز دقة النظام الكوني وانضباطه. وقوله ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:6], فالجملة الفعلية (يسجدان) في موضع خبر للمبتدأ. قال الفراء (يسجدان)، وسجودهما أنهما يستقبلان الشمس إِذَا طلعت، ثُمَّ يميلان معها حتَّى ينكسر الفيء، والعرب إِذَا جمعت الجمعين من غير النَّاس جعلوا فعلهما واحدًا، فيقولون: وَالنخل والسدر قَدِ ارتوى، فهذا أكثر كلامهم، وتثنيته جائزة[(9)]. وقال البيضاوي: جاء النظم (والنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ) ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرَّحْمنُ، لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال إشعاراً بأن وضوحه يغنيه عن

[(9)] معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء, 112/3.

البيان، وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره[10].

وقوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26], (فانٍ): خبر المبتدأ مرفوع. وهذا من أوضح أمثلة الخبر المفرد في السورة. وظيفته النحوية إسناد صفة الفناء إلى جميع المخلوقات[11]. فالخبر هنا أتمَّ الفائدة التي لا يستغني عنها المبتدأ. ودلالته تقرير قانون الفناء العام, وترسيخ حقيقة زوال الدنيا. وقد اختير اسم الفاعل (فانٍ) بدل الفعل (يفنى) للدلالة على ثبوت الحكم واستقراره. وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ [الرحمن: 43], (جهنم): خبر مفرد, ووظيفته النحوية تعريف المشار إليه وتعيينه, والتهويل لمشهد العذاب, وتقريب صورة جهنم إلى ذهن المخاطب[12].

ويمكن أن نستخلص من خلال عرض الوظائف النحوية العامة, أن الخبر المفرد في السورة يؤدي أربع وظائف رئيسة: التقرير ﴿كل من عليها فان﴾, والتعريف والتعيين ﴿هذه جهنم﴾, وإثبات الصفة كإثبات الفناء للمخلوقات, وتحقيق الثبوت والاستقرار لأن الخبر المفرد ولا سيما إذا جاء اسم فاعل أو صفة مشبهة، يفيد رسوخ المعنى أكثر من الفعل.

وإن الخبر المفرد في سورة الرحمن لم يرد لمجرد استكمال البنية الإسنادية للجملة الاسمية، بل اضطلع بوظيفة نحوية تتمثل في إتمام الفائدة وإسناد الحكم إلى المبتدأ، ووظيفة خطابية تتمثل في تقرير الحقائق الكلية الكبرى للسورة، وعلى رأسها حقيقة الفناء الشامل للموجودات، وتعريف مشاهد الجزاء، بما يجعل الخبر المفرد أداةً لترسيخ المعنى العقدي في ذهن المتلقي وإكسابه صفة الثبوت واليقين.

(10) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي, 170/5
(11) إعراب القرآن: لأبي جعفر النَّحَّاس, 207/4.
(12) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي,67/10.

2- الجملة الخبرية الاسمية, وهي الجملة التي صدرها اسم، وتفيد غالبًا الثبوت والاستقرار والدوام. من أمثلتها: ﴿الرَّحْمَنُ﴾, ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾, ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾, وظيفتها النحوية والدلالية: تقرير الحقائق الكونية والعقدية, وإفادة الثبوت والاستمرار, وترسيخ معنى القدرة الإلهية والنظام الكوني؛ وعند افتراض ورود الخبر جملة اسمية فإن وظيفته النحوية تكون إتمام المعنى بين المبتدأ والخبر, وربط المسند بالمسند إليه, والدلالة على ثبوت الحكم واستقراره. قال الزمخشري: "والرَّحْمنُ مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟ بِحُسْبانٍ بحساب معلوم وتقدير سوىّ تَجْرِيانِ في بروجهما ومنازلهما. فإن قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي، لما علم أن الحسبان حسبانه، والسجود له لا لغيره؛ وبكت بتلك الجمل الأول واردها على سنن التهديد، ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدّمته، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب[13].

3. الجملة الخبرية الفعلية, وهي الأكثر ورودًا في السورة, كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾, ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾, ﴿خَلَقَ الْجَانَّ﴾, ﴿مَرَجَ ﴾, وظيفتها: تصوير تجدد الفعل الإلهي وآثاره, وإبراز الحركة والحيوية في مشاهد السورة, وتعداد النعم المتتابعة وإظهار تجددها, وقد بينت الدراسات الخاصة بالجملة الفعلية في سورة الرحمن كثافة هذا النمط ودوره الدلالي في بناء المعنى؛ والوظيفة الخطابية إظهار خضوع الكون كله لله, واستحضار المشهد الكوني حيًا أمام المتلقي, نحو ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ جملة فعلية مستقلة لا خبر فيها. لكن السورة مليئة بالجمل الفعلية الخبرية نحو خلق الإنسان, خلق

(13) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري, 443/4.

الجان, مرج البحرين, يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان, سنفرغ لكم, وكلها تؤدي وظيفة الإخبار. قال العكبري, قَوْلُهُ تَعَالَى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ), أَيْ هُوَ رَبُّ. وَقِيلَ: هُوَ مُبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ»[14].

4. الخبر شبه الجملة, سواء أكان جارًا ومجرورًا أم ظرفًا، مثل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46], فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم عند كثير من النحاة. والوظيفة النحوية للخبر شبه الجملة (الجار والمجرور والظرف) في سورة الرحمن وأبرز الظواهر النحوية المتعلقة بالخبر فيها، إفادة الاستقرار والثبوت لأن الجار والمجرور أو الظرف يتعلقان بمحذوف تقديره كائن أو مستقر. نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26]، فـ(عليها) شبه جملة متعلّقة بخبر مقدّم؛ وتخصيص المعنى وتقييده إذ يحدد مكان الحدث أو زمانه أو مجاله.

فقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46]، الجار والمجرور (لمن) أفاد الاختصاص والاستحقاق, وتحقيق التقديم للاهتمام والتوكيد كثيراً ما يتقدم شبه الجملة على المبتدأ لإبراز المعنى المراد التركيز عليه, وللإيجاز إذ يغني شبه الجملة عن جملة كاملة، فيحقق كثافة دلالية مع قلة الألفاظ. قال القرطبي وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) لَمَّا ذَكَرَ أَحْوَالَ أَهْلِ النَّارِ ذَكَرَ مَا أَعَدَّ لِلْأَبْرَارِ؛ وَالْمَعْنَى خَافَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ لِلْحِسَابِ فَتَرَكَ الْمَعْصِيَةَ, فَ (مَقامَ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْقِيَامِ. وَقِيلَ: خَافَ قِيَامَ رَبِّهِ عَلَيْهِ أَيْ إِشْرَافَهُ وَاطِّلَاعَهُ عَلَيْهِ[15].

ويكثر في الخبر شبه الجملة التقديم والتأخير ولا سيما تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ لغرض الاختصاص أو التشويق أو العناية بالمعنى, والحذف في الخبر شبه الجملة يُقدَّر متعلَّق محذوف غالباً (كائن، مستقر). ويرتبط الخبر بالسياق البلاغي فهو لا يؤدي وظيفة نحوية فحسب، بل يسهم في بناء خطاب السورة القائم على تقرير النعم، وإثبات القدرة الإلهية، وإقامة الحجة على الثقلين. ويمكن القول إن الخبر شبه الجملة في سورة الرحمن يؤدي وظيفة نحوية أساسها الإسناد

(14) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري, 1198/2.
(15) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي, 176/17.

والإخبار، ووظيفة دلالية تتمثل في التخصيص والتوكيد والإيجاز وإبراز المعنى، مما يجعله عنصراً فاعلاً في تحقيق الرسالة الخطابية للسورة وإحكام بنائها الدلالي. وهذه من أبرز النتائج التي يمكن اعتمادها.

5. الخبر المتعدد مثل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾, إذ تتوالى الأخبار لتشكّل لوحة دلالية متكاملة عن نظام الكون.

ثانيًا: الخبر المثبت وهو الأصل في السورة: أمثلته ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾, ﴿رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾, ووظيفته إثبات النعم والقدرة الإلهية, وبناء اليقين في نفس المتلقي, وتقرير الحقائق الكونية والشرعية. قال الفراء وقوله: (وَالسَّماءَ رَفَعَها) فوق الأرض وَوَضَعَ الْمِيزانَ فِي الأرض وهو العدل. وفي قراءة عَبْد اللَّه: وخَفْض الميزان، والخفض والوضع متقاربان فِي المعنى[16].

ثالثًا: الخبر المؤكَّد: أمثلته: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾, ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾, قال النحاس وقوله (كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ), الضمير يعود على الأرض وضعها أي كلّ من على الأرض يفنى ويهلك, والأصل "فاني" استثقلت الحركة في الياء فسكّنت ثم حذفت لسكونها وسكون التنوين بعدها[17]. وتدعمه السياقات المؤكدة والتراكيب القاطعة؛ ووظيفته إزالة الشك, وترسيخ اليقين العقدي وتثبيت حقائق البعث والفناء والجزاء.

رابعًا: الخبر المقترن بالتكرار: أبرزه قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾, مع أن التركيب استفهامي، إلا أنه يؤدي وظيفة خبرية تقريرية؛ إذ يقرر كثرة النعم واستحالة جحودها؛ ووظيفته التقرير والتوكيد, واستدعاء الإقرار من المخاطب, وربط الوحدات الموضوعية للسورة بعضها ببعض. قال الواحدي {فبأي آلاء} نِعمَ {ربكما} من هذه الأشياء التي

(16) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء, 113/3.
(17) إعراب القرآن: لأبي جعفر النَّحَّاس, 207/4.

ذكرها {تكذبان} لأنَّها كلَّها مُنعَمٌ بها عليكُم في دلالتها إيَّاكم على وحدانيَّة الله سبحانه ثمَّ كرر في هذه السُّورة هذه الآية توكيداً وتذكيراً لنعمه[18].

وقال القرطبي ثُمَّ سَأَلَهُمْ فَقَالَ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) أَيْ بِأَيِّ قُدْرَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فَإِنَّ لَهُ فِي كُلِّ خَلْقٍ بَعْدَ خَلْقٍ قُدْرَةً بَعْدَ قُدْرَةٍ، فَالتَّكْرِيرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِلتَّأْكِيدِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْرِيرِ، وَاتِّخَاذِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا وَقَفَهُمْ عَلَى خَلْقٍ خَلْقٍ. وقيل: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَدَّدَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نعماءه، وذكر خلقه آلاءه، ثم أتبع كُلَّ خَلَّةٍ وَصَفَهَا وَنِعْمَةٍ وَضَعَهَا بِهَذِهِ، وَجَعَلَهَا فَاصِلَةً بَيْنَ كُلِّ نِعْمَتَيْنِ لِيُنَبِّهَهُمْ عَلَى النِّعَمِ وَيُقَرِّرَهُمْ بِهَا، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: التَّكْرِيرُ طردا للغفلة، وتأكيدا للحجة[19].

وبهذا يمكن تصنيف أنماط الخبر في سورة الرحمن على أن الخبر الاسمي جاء للدلالة (للثبوت والاستقرار), والخبر الفعلي (للتجدد والحركة), والخبر المثبت (لتقرير النعمة والحقيقة), والخبر المؤكد (لترسيخ اليقين), والخبر التقريري المتكرر (لإلزام المخاطب بالإقرار بنعم وفضل المنعم ووحدانيته واستحالة جحدها).

أما من حيث الوظيفة النحوية فإن الخبر في سورة الرحمن لا يقتصر على الإسناد النحوي بين المسند والمسند إليه، بل يتحول إلى أداة خطابية لتقرير العقيدة، وتعداد النعم، وإقامة الحجة، واستثارة التلقي للإقرار بآلاء الله تعالى؛ ولذلك جاءت السورة ذات كثافة خبرية عالية مقارنة بالإنشاء؛ وقد تجلّت في سورة الرحمن جملة من الظواهر النحوية المرتبطة بالخبر، أبرزها كثرة الخبر بالجملة الفعلية، وورود الخبر المفرد وشبه الجملة، وتقديم الخبر على المبتدأ، والتناوب بين الجملتين

(18) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، 1053/1.
(19) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي, 159/17.

الاسمية والفعلية، فضلًا عن ظاهرة الحذف والإيجاز؛ وقد ارتبطت هذه الظواهر ارتباطًا وثيقًا بالمقاصد الخطابية للسورة، فأسهمت في تقرير النعم الإلهية، وإبراز مظاهر القدرة، وتصوير مشاهد الجزاء تصويرًا مؤثرًا.

وبهذا يتضح أن البناء النحوي للخبر لم يكن مجرد إطار شكلي للمعنى، بل كان وسيلة فاعلة في توجيه الدلالة وصناعة الأثر الخطابي؛ إذ أسهمت أنماط الخبر المختلفة، وتقديم بعض العناصر وتأخيرها، والعدول بين الجملة الاسمية والفعلية، في إبراز المعاني المقصودة بدقة احترافية؛ فالجملة الاسمية جاءت غالباً لإفادة الثبوت والاستقرار، في حين أفادت الجملة الفعلية التجدد والحركة واستمرار الفعل, كما أدى تقديم الخبر أو شبه الجملة إلى تخصيص المعنى وتقويته وإثارة انتباه المتلقي إلى العنصر المراد إبرازُه، مما جعل البناء النحوي شريكاً أساسياً في إنتاج الدلالة لا مجرد وعاء لها. وأن آليات تشكيل الخبر في السورة تتمثل في (الإسناد المباشر), إذ يُسنَد الخبر إلى المبتدأ مباشرة لإفادة التقرير واليقين كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ فالإسناد هنا يثبت مصدر النعمة ويؤكدها بالفعل المضارع, ونحو: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾, وذلك لإفادة التجدد والاستمرار.

والتشكيل بشبه الجملة, كقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾, وهو أسلوب يبرز المكان أو الظرف قبل الموصوف للعناية به؛ ومن خصائص الأسلوب القرآني في السورة كثرة الاعتماد على السياق في تقدير بعض عناصر الإسناد، مما يحقق الإيجاز وقوة التأثير, كالتوازي التركيبي, وهو من أبرز سمات السورة، إذ تتكرر الأبنية الخبرية في نسق واحد: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾, ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾, فتتآزر الأخبار لتكوين وحدة دلالية وإيقاعية تخترق الأسماع وتأسر القلوب والأفئدة.

المبحث الثاني

الدلالات الوظيفية للخبر في بناء المعنى القرآني

لا يقتصر الخبر على الإخبار، بل يؤدي وظيفة الإقناع والإلزام؛ إذ يبني شبكةً من الحقائق المتتابعة التي تُفضي بالمخاطب إلى الاعتراف بصدق الرسالة القرآنية، فيصبح التقرير وسيلةً لإقامة الحجة والإثبات ومدخلًا إلى استثارة الإيمان والشكر والطاعة. وتتمثل دلالة الخبر في بناء المعنى القرآني في سورة الرحمن كونه أداةً خطابيةً لتوكيد الحقائق العقدية والكونية والأخروية، وترسيخها في وعي المتلقي، بما يحولها إلى قضايا يقينية تُقام بها الحجة، ويُستنهض بها الإيمان، ويُدعى من خلالها إلى شكر المنعم والانقياد لأمره؛ فالخبر بوصفه بنيةً نحوية تؤدي وظيفةً تداولية وخطابية في بناء المعنى القرآني، لا مجرد عنصر إسنادي داخل الجملة. وتظهر دلالات تلك المعاني من خلال عرض المحاور التالية:

أولاً: الخبر وبناء معنى التقرير والإثبات

يؤدي الخبر في سورة الرحمن وظيفةً تقريريةً إثباتيةً تتمثل في تثبيت الحقائق الكبرى في نفس المتلقي، وترسيخ اليقين بها، ونقلها من دائرة الاحتمال إلى دائرة التسليم والإقرار؛ إذ يَرِد الخبر لإثبات وحدانية الله تعالى، وعموم رحمته وكمال قدرته وشمول نعمه وحتمية الجزاء، فيأتي البناء الخبري وسيلةً لتوكيد هذه الحقائق وترسيخها في الوجدان، حتى تغدو مسلَّماتٍ لا تقبل الشك أو الإنكار. وتتجلى هذه الوظيفة في سورة الرحمن في عدة مجالات، منها: 1- تقرير صفات الله تعالى وأفعاله, ﴿الرَّحْمَٰنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾, فالخبر هنا يثبت صفات الإحسان والخلق والتعليم، ويجعلها حقائق مقررة. قال ابن عاشور: وافتتح باسم الرَّحْمنُ فَكَانَ فِيهِ تَشْوِيقُ السَّامِعِينَ إِلَى الْخَبَرِ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ إِذْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ لَا يَأْلَفُونَ هَذَا الْاِسْمَ (قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ) [الْفرْقَان: 60] ، فَهُمْ إِذَا سَمِعُوا هَذِهِ الْفَاتِحَةَ تَرَقَّبُوا مَا سَيَرِدُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا طَرَقَ أَسْمَاعَهُمْ هَذَا الْاِسْمُ اسْتَشْرَفُوا لِمَا سَيَرِدُ مِنَ الْخَبَرِ الْمُنَاسِبِ لِوَصْفِهِ هَذَا مِمَّا هُمْ مُتَشَوِّقُونَ إِلَيْهِ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ. قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)

[النَّحْل: 103]، فَكَانَ الْاِهْتِمَامُ بِذِكْرِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ أَقْوَى من الاهتمام بالتعليم. وَأُوثِرَ اسْتِحْضَارُ الْجَلالَة باسم الرَّحْمنُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَأْبَوْنَ ذِكْرَهُ فَجَمَعَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيْنَ رَدَّيْنِ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا لِلْجُمْلَةِ الْاِسْمِيَّةِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى ثَبَاتِ الْخَبَرِ[20].

2- دقة نظام الكون فبناء معنى الخبر يُثبت نظام الكون ودقته في قوله ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾, ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾؛ فالخبر يقرر أن الكون قائم على نظام محكم وعدل دقيق. قال ابن عاشور وَلِأَنَّ مُعْظَمَ هَذِهِ السُّورَةِ تَعْدَادٌ لِلنِّعَمِ وَالْآلَاءِ فافتتاحها باسم الرَّحْمنُ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ, وَقَدْ أُخْبِرَ عَنْ هَذَا الْاِسْمِ بِأَرْبَعَةِ أَخْبَارٍ مُتَتَالِيَةٍ غَيْرِ مُتَعَاطِفَةٍ رَابِعُهَا هُوَ جُمْلَةُ (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ) [الرَّحْمَن:5] لِأَنَّهَا جِيءَ بِهَا على نمط التعديد فِي مقَام الامتنان والتوقيف على الْحَقَائِق والتبكيت للخصم فِي إنكارهم صَرِيح بَعْضهَا، وإعراضهم عَن لَوَازِم بَعْضهَا كَمَا سَيَأْتِي، فَفَصَلَ جُمْلَتِي (خَلَقَ الْإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَيانَ) [الرَّحْمَن: 3، 4] عَنْ جُمْلَةِ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خِلَافَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ لِنُكْتَةِ التَّعْدِيدِ لِلتَّبْكِيتِ[21].

3- تقرير عموم النعم الإلهية فجميع الأخبار التي تسرد النعم تمهد للتقرير المتكرر: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فيتحول الخبر إلى حجة تُلزم المخاطب بالإقرار. قال ابن عطية الأندلسي: وكرر قوله: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ), تأكيدا أو تنبيها للنفوس وتحريكا لها، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب الله في مواضع، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفي كلام العرب وذهب قوم منهم ابن قتيبة وغيره إلى أن هذا التكرار إنما هو لما اختلفت النعم المذكورة كرر التوقيف مع كل واحدة منها[22]. وقال القرطبي: فَقَالَ سَائِلًا لَهُمْ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) أَيْ بِأَيِّ قُدْرَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فَإِنَّمَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ مُلْكِهِ وَقُدْرَتِهِ شَرِيكًا يملك معه يقدر مَعَهُ، فَذَلِكَ تَكْذِيبُهُمْ؛ ثُمَّ ذَكَرَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ صَلْصَالٍ، وَذَكَرَ خَلْقَ الْجَانِّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ

(20) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: للطاهر بن عاشور, 230/27.
(21) المصدر نفسه, 231/27.
(22) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لإبن عطية الأندلسي, 226/5.

فَقَالَ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) أَيْ بِأَيِّ قُدْرَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فَإِنَّ لَهُ فِي كُلِّ خَلْقٍ بَعْدَ خَلْقٍ قُدْرَةً بَعْدَ قُدْرَةٍ، فَالتَّكْرِيرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِلتَّأْكِيدِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْرِيرِ، وَاتِّخَاذِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا وَقَفَهُمْ عَلَى خَلْقٍ بعد خَلْقٍ[23].

4- إثبات حقائق الآخرة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾, ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ...﴾, فالخبر هنا يقرر حتمية الفناء وبقاء الله سبحانه، وهي حقائق عقدية قطعية. قال السعدي: كل من على الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويبيد ويبقى الحي الذي لا يموت (ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ) أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه[24]. وقال ابن عاشور: وهَذَا لأَنْ لَا يَنْسَوُا الْاِسْتِعْدَادَ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ بِفِعْلِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُقْبِلُوا عَلَى تَوْحِيدِهِ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ. وَوُقُوعُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَقِبَ مَا عَدَّدَ مِنَ النِّعَمِ فِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مَصِيرَ نِعَمِ الدُّنْيَا إِلَى الْفَنَاءِ؛ وَمَعْنَى "فانٍ" أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الْفَنَاءِ، فَهَذَا مِنِ اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِزَمَانِ الْاِسْتِقْبَالِ بِالْقَرِينَةِ وَالْمُرَادُ بـ مَنْ "عَلَيْها" النَّاس لأَنهم الْمَقْصُود بِهَذِهِ الْعِبَرِ، وَلِذَلِكَ جِيءَ بـ (مَنِ) الْمَوْصُولَةِ الْخَاصَّةِ بِالْعُقَلَاءِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَصِيرَ جَمِيعِ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَى الفناء، وَهَذَا تذكير بِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْجَزَاءِ[25].

ثانيًا: الخبر وبناء معنى الامتنان وتعداد النعم

(23) الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي, 195/17.
(24) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي, 830/1.
(25) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, 252/27.

إنَّ من أبرز الدلالات الوظيفية للخبر في سورة الرحمن بناء معنى الامتنان وتعداد النعم، بل إن هذا المعنى يعد من المحاور الرئيسة للسورة، إذ تتعاقب الجمل الخبرية في نسق متدرج لتستعرض نعم الله تعالى على الإنس والجن، فتغدو الأخبار وسائل خطابية لإيقاظ الشعور بالمنة الإلهية واستدعاء الشكر.

فيؤدي الخبر في سورة الرحمن وظيفة الامتنان وتعداد النعم من خلال عرض النعم الإلهية عرضًا خبريًا متتابعًا، يثبت وقوعها، ويكشف مظاهرها، ويبرز شمولها للإنسان والكون، فيتحول الخبر من مجرد الإخبار عن النعمة إلى وسيلة خطابية تستثير الشعور بالفضل الإلهي، وتدعو المخاطب إلى الاعتراف بالمنعم وشكره وعدم جحود آلائه؛ وتتجلى هذه الوظيفة في السورة من خلال تعداد النعم الدينية قبل الدنيوية لذا افتتحت السورة بأعظم النعم: ﴿الرَّحْمَٰنُ, عَلَّمَ الْقُرْآنَ, خَلَقَ الْإِنسَانَ, عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾, فجاءت الأخبار لتقرر أن أعظم المنن هي الهداية والتعليم، قبل نعم الخلق والرزق.

وكذلك استعراض النعم الكونية كـ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾, ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾, ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾, فالخبر يُبرِز إحكام النظام الكوني بوصفه نعمةً مستمرة. قال الزمخشري: عدّد الله عز وعلا آلاءه، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قد ما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها, وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحى الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها[26].

وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، فإن قلت: كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول، ثم جيء به بعد؟ قلت: بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التهديد، ليكون كل

(26) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, 443/4.

واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب[27].

وذكر نعم الأرض والمعاش كالفاكهة، والنخل، والحب، والريحان، وغيرها، فيأتي كل خبر لبنةً جديدة في بناء صورة الامتنان الإلهي. وذكر نعم الآخرة بوصفها تمام المنة للمؤمنين، حيث يصف الخبر ما أعده الله من جنات ونعيم، ليبين أن نعم الله لا تقتصر على الدنيا؛ واستعرض العلاقة بين الخبر وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾, ليتكامل الخبر مع هذا الاستفهام التقريري. قال الواحدي: {فبأي آلاء} نِعمَ {ربكما} من هذه الأشياء التي ذكرها {تكذبان} لأنَّها كلَّها مُنعَمٌ بها عليكُم في دلالتها إيَّاكم على وحدانيَّة الله سبحانه ثمَّ كرر في هذه السُّورة هذه الآية توكيداً وتذكيراً لنعمه[28]. فكل مجموعة من الأخبار تعدد نعمة أو نعمًا، ثم يأتي هذا التكرار ليطالب المخاطب بالإقرار بها. وبذلك يصبح الخبر مقدمةً للحجاج والإلزام، ويغدو تعداد النعم وسيلة لإقامة الحجة على الإنس والجن.

إذن تتجلى دلالة الخبر في بناء "معنى الامتنان وتعداد النعم" في سورة الرحمن في كونه أداةً خطابيةً تستعرض النعم الإلهية في نسق خبري متدرج، يثبت وجودها، ويبرز شمولها، ويعمق أثرها في نفس المتلقي، حتى يتحول تعدادها إلى حجةٍ تستوجب الاعتراف بفضل الله، وتدفع إلى شكره، وتنهى عن جحود آلائه، وهو ما يؤكده التكرار المتعاقب لقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ فلم يرد الخبر في سورة الرحمن لمجرد الإخبار بالنعم، وإنما جاء ليؤسس معنى الامتنان، ويوقظ الوعي بالمنة الإلهية، ويبني في نفس المتلقي شعور الاعتراف والافتقار إلى المنعم، تمهيدًا لحمله على الشكر والإيمان والطاعة.

---

(27) المصر نفسه, 443/4.
(28) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي, 1053/1.

ثالثًا: الخبر وبناء معنى الاستدلال على القدرة الإلهية

الاستدلال على القدرة الإلهية, وهو من أهم المعنى والدلالات الوظيفية للخبر في سورة الرحمن؛ إذ لا يكتفي الخبر بوصف الظواهر الكونية، وإنما يجعل منها أدلةً عقليةً وبرهانيةً تقود المتلقي إلى الإقرار بكمال قدرة الله تعالى وحكمته في تدبير الكون. فالخبر هنا يؤدي وظيفة الاستدلال أكثر من مجرد الإخبار؛ فيؤدي الخبر تلك الوظيفة التي تتمثل في بناء البرهان على كمال القدرة الإلهية وحكمة التدبير، وذلك من خلال عرض مشاهد الكون ونواميسه في صورة أخبار متتابعة، تكشف دقة النظام وانسجام المخلوقات وشمول سلطان الله عليها، فيتحول الخبر إلى دليل عقلي يقود المتلقي إلى الإقرار بوحدانية الله وكمال قدرته وانفراده بتدبير شؤون الكون.

وتتجلى هذه الوظيفة في مواضع عديدة من السورة، منها: 1- الاستدلال بالنظام الكوني ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾. فالخبر لا يقرر مجرد حركة الشمس والقمر، بل يستدل بانتظامهما المحكم على وجود مدبر قادر أحاط كل شيء علمًا وتقديرًا. 2- الاستدلال بتوازن الكون ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾, فالخبر يربط بين رفع السماء وإقامة الميزان؛ ليؤكد أن الكون قائم على نظام دقيق وعدل شامل، وهو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية. قال الواحدي: {والسماء رفعها} فوق الأرض {ووضع الميزان} العدل والإنصاف[29].

3- الاستدلال بتهيئة الأرض للحياة ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ* فِيهَا فَاكِهَةٌ...﴾. فالأخبار المتتابعة تستدل بما أودع الله في الأرض من أسباب الحياة والرزق على إحكام تدبيره ورحمته بخلقه. 4- والاستدلال بسلطان الله على جميع الموجودات ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾, ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾, {كلُّ مَنْ عليها} على الأرض من حيوانٍ {فانٍ} هالكٌ, {ويبقى وجه ربك} وهو السَّيِّد {ذو الجلال} العظمة

(29) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي, 1053/1.

{والإكرام} لأنبيائه وأوليائه[30]. فالخبر يثبت دوام سلطان الله، واستمرار تدبيره، وأن جميع الخلق مفتقرون إليه في كل لحظة.

وبناء المعنى الوظيفي من منظور تحليل الخطاب، يؤدي الخبر وظيفة الحجاج العقلي؛ إذ ينتقل بالمخاطب من مشاهدة الآثار إلى الإقرار بالمؤثر، ومن انتظام الكون إلى الاعتراف بقدرة خالقه، دون أن يفرض النتيجة ابتداءً، بل يبنيها من خلال الوقائع الخبرية المتعاقبة؛ ولهذا يأتي التكرار: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾, بعد عرض هذه الأخبار, ليجعل الأدلة الكونية حجةً ملزمة، فيغدو إنكار القدرة الإلهية مكابرةً للواقع المشاهد.

فتتمثل إذن دلالة الخبر في بناء معنى الاستدلال على القدرة الإلهية في سورة الرحمن في كونه وسيلةً خطابيةً وحجاجيةً تعرض آيات الكون في صورة حقائق خبرية، تستنهض العقل للتأمل في دقة النظام وشمول التدبير وانتظام السنن, فتقود إلى الإقرار بكمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وحكمته وربوبيته للعالمين, ولا يعمل الخبر في اتجاه واحد داخل السورة، بل تتداخل وظائفه؛ فالخبر الواحد قد يجمع بين معنى التقرير والإثبات, والامتنان وتعداد النعم, والاستدلال على القدرة الإلهية, وإقامة الحجة والإلزام, وهذا التداخل الوظيفي يمثل جانبًا من إعجاز الخطاب القرآني، حيث تتعدد الرسائل التداولية للبنية الخبرية دون أن تفقد وحدتها الدلالية.

رابعًا: الخبر وبناء معنى الوعد والوعيد والجزاء

يُعد الوعد والوعيد والجزاء من أبرز الأبعاد الدلالية للخبر في سورة الرحمن, فبعد أن يقرر الحقائق، ويعدد النعم، ويقيم الأدلة على القدرة الإلهية، ينتقل إلى بناء معنى الوعد والوعيد والجزاء، ليجعل المخاطب يستشعر أن أعماله ستفضي حتمًا إلى جزائها؛ ومن ثم فإن الخبر هنا لا يقتصر على نقل معلومة عن المستقبل، بل يؤدي وظيفةً تربويةً وحجاجيةً

(30) المصدر نفسه, 1054/1.

مؤثرة. فيؤدي الخبر في السورة وظيفةً إنذاريةً وتبشيريةً تتمثل في بناء معنى الوعد والوعيد والجزاء، من خلال عرض مشاهد الثواب والعقاب في صورة أخبار مؤكدة، تُصوِّر الجزاء في الآخرة بوصفه حقيقةً واقعة لا مجال للشك فيها، فيتحول الخبر إلى وسيلة لترسيخ مبدأ المسؤولية، وربط العمل بمآله، واستثارة الرجاء في نفوس المؤمنين والخوف في نفوس المعرضين.

وتتجلى وظيفة الإنذار والتبشير في السورة من خلال: 1- تقرير حتمية الحساب والجزاء نحو قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾, ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾, فالأخبار هنا تؤكد أن الحساب واقع لا محالة، وأن الجزاء مرتبط بأعمال العباد. قال البيضاوي: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ) أي: سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة، فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره, وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك، فإن المتجرد للشيء كان أقوى عليه وأجد فيه، والثَّقَلانِ الإنس والجن[31].

2- بناء معنى الوعيد نحو قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾, ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾, فالخبر لا يصف العذاب فحسب، بل يجسد مشهده؛ ليبعث الخوف، ويردع عن التكذيب والمعصية. قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) أَيْ يُقَالُ لَهُمْ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا فَكَذَّبْتُمْ, (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يَطُوفُونَ مَرَّةً بَيْنَ الْحَمِيمِ وَمَرَّةً بَيْنَ الْجَحِيمِ، وَالْجَحِيمُ النَّارُ، وَالْحَمِيمُ الشَّرَابُ؛ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (آنٍ) أَنَّهُ الَّذِي انْتَهَى حَرُّهُ وَحَمِيمُهُ. قَالَ قَتَادَةُ: (آنٍ) طُبِخَ مُنْذُ خلق الله السموات وَالْأَرْضَ، يَقُولُ: إِذَا اسْتَغَاثُوا مِنَ النَّارِ جُعِلَ غِيَاثُهُمْ ذَلِكَ. وَقَالَ كَعْبٌ: (آنٍ) وَادٍ مِنْ أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النَّارِ فَيُغْمَسُونَ بِأَغْلَالِهِمْ فِيهِ حَتَّى تَنْخَلِعَ أَوْصَالُهُمْ، ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَقَدْ أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ. وَالنِّعْمَةُ فِيمَا وُصِفَ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَعِقَابِ الْمُجْرِمِينَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الزَّجْرِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالتَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَاتِ[32].

(31) أنوار التنزيل وأسرار التأويل, 172/5.
(32) الجامع لأحكام القرآن, 175/17.

3- بناء معنى الوعد نحو قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾, ثم تتتابع الأخبار في وصف نعيم الجنتين، وما فيهما من أنهار وأشجار وأزواج وفواكه, فهذه الأخبار تبني في نفس المؤمن الرجاء، وتربط الطاعة بما أعده الله من النعيم المقيم. قال ابن عاشور: هو انْتِقَالٌ مِنْ وَصْفِ جَزَاءِ الْمُجْرِمِينَ إِلَى ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ, وَالْجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) إِلَى آخِرِهَا، وَهُوَ أَظْهَرُ وَاللَّامُ فِي لِمَنْ خافَ لَامُ الْمِلْكِ، أَيْ يُعْطَى مَنْ خَافَ رَبَّهُ وَيُمَلَّكُ جَنَّتَيْنِ، وَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ, المراد جِنْس الْخَائِفِينَ لَا خَائِفَ مُعَيَّنٌ, فَهُوَ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ الْبَدَلِيِّ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ وَلِلْخَائِفِ مَقَامُ رَبِّهِ. وَعَلَيْهِ فَيَجِيءُ النَّظَرُ فِي تَأْوِيلِ تَثْنِيَةِ جَنَّتَانِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: جِنْسَيْنِ مِنَ الْجَنَّاتِ, وَقَدْ ذُكِرَتِ الْجَنَّاتُ فِي الْقُرْآنِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ غَيْرُ مَرَّةٍ فَالْمُرَادُ جِنْسَانِ مِنَ الْجَنَّاتِ[33].

4. تحقيق مبدأ العدل الإلهي يجعل الخبر الجزاء نتيجةً طبيعيةً للعمل، فيرسخ أن الثواب والعقاب ليسا اعتباطيين، بل هما مظهر من مظاهر عدل الله تعالى وحكمته, فيؤدي الخبر هنا وظيفة التحفيز والردع, ويبشر أهل الإيمان بوعد الله، وينذر أهل التكذيب والكفران بوعيده، فيتحقق التوازن التربوي بين الترغيب والترهيب، ويصبح الجزاء باعثًا على تقويم السلوك واختيار سبيل الطاعة.

لذا تتمثل دلالة الخبر في بناء معنى الوعد والوعيد والجزاء في سورة الرحمن في كونه أداةً خطابيةً تعرض الجزاء الأخروي في صورة حقائق خبرية مؤكدة، فتربط العمل بعاقبته، وتقرر عدل الله تعالى، وتستثير في نفس المتلقي الرجاء في ثوابه والخوف من عقابه، بما يحمله على الاستقامة والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه.

المبحث الثالث

(33) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, 264/27.

الخبر وأثره في تشكيل رسالة الخطاب وتوجيه المتلقي في سورة الرحمن

لقد أسهم الخبر بوصفه آليةً خطابيةً مركزيةً في بناء الرسالة الكلية لسورة الرحمن وتوجيه المتلقي نحو مقاصدها؛ فالخطاب القرآني في السورة لم يعتمد أسلوب الإلزام المباشر أو الأمر الصريح، وإنما اختار نسقًا خبريًا متتابعًا يقدِّم الحقائق الكونية والإنسانية والأخروية في صورة قضايا ثابتة لا تقبل الجدل أو التردد، فيتحول الخبر من مجرد نقل للمعلومة إلى وسيلة لإعادة تشكيل وعي المخاطب وبناء موقفه النفسي والفكري.

ومن الناحية الوظيفية، يُسهم الخبر في سورة الرحمن في تحقيق عدة غايات خطابية؛ أبرزها "التقرير والتوكيد, والاستدلال والإقناع, والاستثارة الوجدانية, والتوجيه التداولي, وبناء التفاعل الخطابي". فالأخبار الواردة عن خلق الإنسان، وتعليمه البيان، وتسخير الكون، وجريان الشمس والقمر، ووصف الجنة والنار، لا تُقدَّم بوصفها معطيات جامدة، وإنما بوصفها رسائل خطابية موجَّهة تهدف إلى إيقاظ الوعي وإلزام المخاطب بالاعتراف بالنعمة والقدرة والعدل الإلهي.

ومن ثمَّ فإن إسهام الخبر في تحقيق رسالة الخطاب يتمثل في كونه ينقل المتلقي عبر مراحل متدرجة "من الإدراك إلى الإقرار، ومن الإقرار إلى الانفعال، ومن الانفعال إلى الاستجابة". فالمتلقي لا يُؤمر ابتداءً بالشكر أو الإيمان، بل يُواجه بسلسلة من الأخبار التي تكشف له مظاهر الرحمة والنظام والإحسان، حتى يصبح الاعتراف بآلاء الله نتيجةً داخليةً يقتضيها منطق الخطاب نفسه؛ ويتفق هذا مع ما قرره ابن عاشور في سورة الرحمن من أن تكرار الأخبار وتعداد النعم يراد به التقرير واستدعاء الاعتراف بآلاء الله، مما يجعل الخطاب يقود المتلقي تدريجيًا إلى الإقرار ثم الاستجابة[34].

وكما أن الخبر في السورة يؤدي وظيفةً توجيهيةً عميقة؛ إذ يصنع حالةً من المشاركة الإدراكية بين النص والمتلقي، فيشعر المخاطب أنه جزء من المشاهد التي تعرضها السورة، وأن الحقائق المقررة فيها تمس وجوده ومصيره مباشرة؛ لذلك لم يكن

[34] يُنظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, 246/27.

المقصد النهائي للخبر في سورة الرحمن مجرد الإخبار عن الكون أو الآخرة، وإنما تكوين إنسانٍ معترفٍ بالنعمة، خاضعٍ للربوبية، مستجيبٍ لنداء الرحمة الإلهية. وبناءً على ذلك، فإن رسالة الخطاب في سورة الرحمن تتأسس على استراتيجية خبرية محكمة، تجعل الحقيقة المقرَّرة منطلقًا لبناء القناعة، وتجعل القناعة مدخلًا إلى التأثر، وتجعل التأثر سبيلًا إلى الهداية والاستجابة.

وعند النظر الى الخبر لبيان إسهامه في مركزية المقاصد وصناعة رسالة الخطاب القرآني وتوجيه المخاطب وأثره فيه, فينبغي أن نستعرض المحاور التالية:

أولًا: الخبر وبناء العلاقة بين الخالق والمخاطب

افتتحت السورة بالأخبار المتتابعة: ﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، لبناء صورة مخصوصة لله تعالى بوصفه ربًّا رحيمًا متفضلًا، قبل أن يكون آمرًا أو ناهيًا. وبهذا أسس الخطاب لعلاقة تقوم على الرحمة والامتنان، الأمر الذي يجعل المتلقي أكثر استعدادًا للتلقي والاستجابة؛ فالخبر هنا لا ينقل معلومة فحسب، بل يصنع المناخ النفسي للخطاب ويهيئ المخاطب لتقبّل رسالته[35].

ثانيًا: الخبر والإقرار الداخلي للمخاطب لا الإلزام الخارجي

عرضت السورة أخبارًا تصف انتظام الكون: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾، ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾, (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ), (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)... وهنا

[35] يُنظر: المصدر نفسه, 231/27.

أسهم الخبر في بناء مقصد الهداية إلى الربوبية؛ إذ انتقل بالمخاطب من مشاهدة النظام الكوني إلى الإقرار بوجود المدبر الحكيم، فكانت الأخبار أدلةً خطابيةً تؤسس للإيمان وتمنع التكذيب.

وبهذا لم تعتمد السورة على الأمر المباشر أو الجدل الصريح، وإنما اعتمدت على عرض حقائق مقررة من خلال الأخبار المتتابعة، ثم أعقبتها بالسؤال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وبذلك يتحول الخبر إلى أداة تدفع المتلقي إلى أن يصل بنفسه إلى النتيجة المطلوبة، وهي الاعتراف بنعم الله والإقرار بوحدانيته, لأن الحقائق المقررة في الأخبار تجعل الإنكار أمرًا متعذرًا؛ ومن هنا تتجلى رسالة الخطاب في الانتقال بالمخاطب من المعرفة إلى الإذعان، ومن السماع إلى الاعتراف. لأن الأخبار في السورة جاءت بصيغة التقرير والتوكيد، فحققت قوةً حجاجيةً وإقناعيةً؛ إذ انتقلت بالمخاطب من مجرد سماع النعم والآيات إلى الإقرار الذي يعد استجابةً طبيعية لما تقرره الجمل الخبرية من حقائق ونعم. لإحداث تحوّل في وعيه وموقفه, أي للانتقال به من مجرد العلم بالحقائق إلى التفاعل الإيماني معها والاستجابة[36].

ثالثًا: الخبر وبناء المشاركة الوجدانية مع المتلقي

جاءت الأخبار في السورة مصوِّرةً للكون والإنسان والآخرة تصويرًا حيًّا، حتى بدا المتلقي كأنه يشاهد هذه الحقائق أمامه. فالأخبار لم تُقدَّم بصيغة تجريدية، وإنما صيغت بطريقة تستثير الفكر والعاطفة معًا؛ ومن ثم فإن رسالة الخطاب لا تقف عند حدود الإقناع العقلي، بل تمتد إلى التأثير الوجداني, إذ يشعر المتلقي بعظمة النعمة وهيبة القدرة وقرب الجزاء.

فجاءت الأخبار تصف الأرض والثمار والبحار واللؤلؤ والسفن وغيرها لتُشعر المتلقي بأنه يعيش في عالم مسخّر ومفعم بآثار الرحمة الإلهية. لقد حققت هذه الأخبار رسالة الخطاب بإيقاظ شعور الامتنان وإلزام الضمير الإنساني بالاعتراف بالمنعم، فكل خبر يضيف نعمة جديدة إلى سابقتها، حتى تتكون صورة كلية لعظيم الإحسان الإلهي وكثرة الآلاء، الأمر

(36) يُنظر: مفاتيح الغيب: لمحمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي, 347/29.

الذي يهيئ النفس لتلقي الاستفهام التقريري: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾, والأصل في الأسلوب الخبري أنه يفيد التقرير والثبوت، ولذلك جاءت النعم في السورة على أنها حقائق مستقرة وليست أمورًا عارضة أو مؤقتة، مما يعمق في النفس الإحساس بدوام فضل الله واستحقاقه للشكر[37].

رابعًا: الخبر ومحور الفناء والافتقار إلى الله

في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، قال البقاعي: "أي هالك ومعدوم وإن كان موجوداً فوجوده بين عدمين أولهما أنه لم يكن، وثانيهما أنه يزول ثم هو فيما بين ذلك يتعاوره الإيجاد والإفناء في حين من أحواله وأعراضه وقواه، وأسباب الهلاك محيطة به حساً ومعنى وهو لا يراها كما أنها محيطة بمن هو في السفينة من فوقه ومن تحته ومن جميع جهاته"[38]. فنقل الخبر المتلقي من الانشغال بالنعم المشهودة إلى استحضار الحقيقة الوجودية الكبرى, وهي فناء الخلق وبقاء الخالق. وهنا حقق الخبر رسالة السورة في تحرير الإنسان من الغفلة، وربط وجوده بالمصير والرجوع إلى الله, واستحضار المسؤولية أمام الجزاء, والانصراف عن التكذيب إلى التصديق والشكر؛ وعليه فإن الخبر في السورة لم يكن غايته الإخبار المجرد، وإنما تشكيل الاستجابة العملية للمخاطب.

خامسًا: الخبر ومحور القدرة والهيمنة الإلهية

جاءت الأخبار: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لتؤكد دوام التدبير والقيومية الإلهية, وقد أسهمت هذه الأخبار في بناء مقصد التوحيد العملي، إذ تجعل المتلقي يستشعر افتقاره الدائم إلى الله واعتماده عليه في كل شأن. قال الزمخشري: "كل من أهل السماوات والأرض مفتقرون إليه، فيسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم،

(37) يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي, 443/7.
(38) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي, 165/19.

وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا، والدهر عند الله تعالى يومان، أحدهما: اليوم الذي هو مدّة عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهى والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع, والآخر: يوم القيامة، فشأنه فيه الجزاء والحساب[39].

سادسًا: الخبر ومحور الحساب والجزاء

انتقلت السورة بعد ذلك إلى أخبار القيامة وأهوالها، فحوّلت الحقائق الغيبية إلى مشاهد حاضرة في وجدان المتلقي, وهنا تحقق مقصد الإنذار؛ إذ أصبح المخاطب واعيًا بمسؤوليته ومصيره، مما يدفعه إلى مراجعة موقفه من نعم الله ومن دعوة الإيمان. قال القرطبي: "وَالنِّعْمَةُ فِيمَا وُصِفَ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَعِقَابِ الْمُجْرِمِينَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الزَّجْرِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالتَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَاتِ"[40].

سابعًا: الخبر ومحور الوعد والجنة

ختمت السورة بأخبار النعيم والجنان، فحققت مقصد الترغيب وإثارة الأمل في نفس المتلقي؛ ولم تكن أخبار الجنة غايةً وصفيةً مجردة، بل جاءت لتؤكد أن الاعتراف بآلاء الله والاستجابة لرسالته يفضيان إلى الكرامة والرضوان. قال السعدي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات؛ ومن أوصاف تلك الجنتين أنهما {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر والباطن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[41].

---

(39) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري, 447/4.
(40) الجامع لأحكام القرآن, 176/17.
(41) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي, /831.

ثامنًا: الخبر ودوره في بناء الوحدة الخطابية للسورة

لقد ارتبطت جميع الأخبار في السورة بمحور واحد هو إظهار آثار رحمة الله في الكون والدنيا والآخرة، ثم يأتي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ليجعل كل خبر لبنةً في بناء رسالة واحدة؛ ومن ثم أسهم الخبر في تحقيق الوحدة الموضوعية للسورة, إذ انتظمت الأخبار جميعًا في خدمة رسالة مركزية هي دعوة الإنسان والجن إلى الاعتراف بآلاء الله، والإذعان لربوبيته، والاستجابة له بالشكر والإيمان قبل حلول الجزاء. ويتبين من ذلك أن محاور الأخبار في سورة الرحمن شكل مسارًا خطابيًا متدرجًا يبدأ بـ الرحمة، ويمر بـ القدرة والنعم والفناء والحساب، وينتهي بـ الجزاء والنعيم؛ وهو مسار مقصود يراد منه نقل المتلقي من المعرفة إلى الإقرار، ومن الإقرار إلى التأثر، ومن التأثر إلى الاستجابة. لذا كان الخبر الأداة المركزية التي بُنيت عليها رسالة السورة، إذ وحّد محاورها المختلفة في مقصد واحد هو إقامة الحجة على الإنسان والجن، وحملهما على الاعتراف بآلاء الرحمن، والاستجابة لنداء الرحمة بالإيمان والشكر والطاعة قبل حلول يوم الجزاء.

إذن كشف الإسناد الخبري في السورة عن جملة من المقاصد الخطابية، من أبرزها تقرير النعم الإلهية وتثبيتها في ذهن المتلقي حيث يرد الخبر لتقرير النعمة وإظهار مصدرها, وإثبات القدرة الإلهية وعظمة الخلق والتدبير من خلال الأخبار المتعلقة بالكون والإنسان والجن والبحار والسماء والأرض, وإقامة الحجة على الثقلين إذ تتتابع الأخبار مقرونة بالتذكير بالنعم والآيات الكونية، لتكون دليلاً على وجوب الاعتراف بها؛ فالخبر يُستعمل تارة في وصف النعيم المقيم، وتارة في تصوير أهوال الحساب والعقاب. ويأتي التوكيد والإقناع ليؤدي وظيفة حجاجية تهدف إلى حمل المتلقي على التسليم بحقائق الإيمان بإثارة الانفعال الوجداني؛ فالخبر في السورة لا يكتفي بنقل المعلومة، بل يصنع أثراً نفسياً يدعو إلى الشكر والخشية والتأمل.

فالخبر في سورة الرحمن لم يُستعمل لغاية إبلاغية أو نحوية مجردة، بل كان أداةً استراتيجيةً في بناء رسالة الخطاب؛ إذ كوَّن صورة للمنعِم، وهيأ المتلقي نفسيًا، وقاده إلى الإقرار الذاتي، وأحدث فيه استجابة وجدانية وسلوكية، فصار الخبر عنصرًا أساسًا في توجيه المخاطب نحو المقصد الأعلى للسورة، وهو الاعتراف بآلاء الله والاستجابة لنداء الرحمة الإلهية بالإيمان والشكر والطاعة.

وبهذا أسهم الخبر في سورة الرحمن في تحقيق رسالة الخطاب من خلال تقرير النعم الإلهية، والاستدلال على القدرة والوحدانية وترسيخ الحقائق العقدية وبناء معاني الوعد والوعيد وإحداث الأثر الإقناعي والتوجيهي في المتلقي, لذا كان الخبر أداةً مركزيةً في بناء المقصد العام للسورة القائم على الامتنان والتذكير والإنذار والدعوة إلى الإيمان وشكر المنعم. فكل خبرٍ يَرِد في السورة لا يؤدي وظيفة البيان فحسب، بل يحمل في داخله رسالةً خطابيةً تضغط على وعي المخاطب وتدفعه نحو الاعتراف بعظمة الخالق واستحضار أثر النعمة ومآل المصير؛ ومن هنا يغدو الخبر أداةً لإنتاج اليقين لا مجرد وعاءٍ للمعلومة.

وبهذا تبرز قوة الخبر في السورة من خلال قدرته على الانتقال من الوظيفة النحوية إلى الوظيفة التداولية؛ فالخبر هنا لا يُلقى على متلقٍّ محايد، بل يُصاغ بوصفه خطابًا موجَّهًا يراد منه التأثير والإقناع وإقامة الحجة؛ لذا جاءت الأخبار محاطةً بإيقاع التكرار في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ليصبح كل خبرٍ سابقٍ لهذه الآية مقدمةً حجاجيةً تُحاصر المتلقي نفسيًّا وعقليًّا، وتدفعه إلى الاعتراف بعجز الإنكار واستحالة التكذيب.

وعلى هذا الأساس، فإن الخبر في سورة الرحمن يؤدي وظيفةً مزدوجة, من جهةٍ البناء النحويّ يحقق الإسناد والإفادة، ومن جهةٍ أخرى أداة خطابية تُنتج المعنى العميق وتبني التأثير الوجداني والفكري؛ وبذلك يتحول الخبر في السورة إلى

عنصرٍ فاعلٍ في هندسة الخطاب القرآني, إذ يسهم في تشكيل الرؤية، وتوجيه التلقي، وإقامة الحجة، وصناعة الأثر النفسي الذي يجعل المتلقي شريكًا حيًّا في حركة النص لا مجرد مستمعٍ لمعانيه.

الخاتمة وأهم النتائج:

1- أظهر البحث أن البنية الخبرية في سورة الرحمن تُحقق توازناً بين وظيفتين: وظيفة نحوية تتمثل في إسناد الحكم إلى المبتدأ وإتمام الفائدة، ووظيفة خطابية تتمثل في توجيه المتلقي نحو إدراك النعمة والقدرة والجزاء, إدراكاً مؤثراً ومباشراً يستدعي الشكر والاستجابة.

2- كشف البحث من خلال تتبع أنماط الخبر في سورة الرحمن أنه يتشكل نحويًا من المفرد والجملة وشبه الجملة، وتتجلى آليات بنائه في الإسناد المباشر، وأن الخبر الذي يكون جملة فعلية هو النمط الغالب, لانسجامه مع المقصد الخطابي للسورة القائم على تعداد النعم واستعراض مظاهر القدرة الإلهية؛ أما خبر الجملة الاسمية فأقل ورودًا, إذ ورد لتثبيت الحقائق وإبراز رسوخها واستمرارها, مما جعل الخبر أداة مركزية في بناء خطاب السورة .

3- إن البناء النحوي للخبر ليس بنية شكلية محضة، وإنما آلية دلالية وخطابية تسهم في توجيه المعنى وتكثيفه، وأن الإسناد الخبري في السورة جاء ليُحقق أغراض متعددة، أبرزها تقرير النعم، وإثبات القدرة الإلهية، وإقامة الحجة، والترغيب والترهيب، بما يجعل الخبر أداة مركزية في بناء رسالة السورة وإحداث أثرها الإقناعي والوجداني في المتلقي.

4- إن الخبر في سورة الرحمن لم يُبنَ لإفادة المخاطب بمضمون السورة، وإنما بُني لإحداث تحوّل في وعيه وموقفه؛ أي للانتقال بالمخاطب من مجرد العلم بالحقائق, إلى التفاعل الإيماني معها والاستجابة لمقتضياتها, من خلال استعراض محاور السورة بلغة الخبر التوكيدي المتكرر, وتصوير مشاهدها تصويرًا مؤثرًا.

5- كما بين البحث أن الخبر في سورة الرحمن لم يُستعمل لغاية إبلاغية أو نحوية مجردة، بل كان أداةً استراتيجيةً في بناء رسالة الخطاب؛ إذ كوَّن صورة المنعِم، وهيأ المتلقي نفسيًا، وقاده إلى الإقرار الذاتي، وأحدث فيه استجابة وجدانية وسلوكية، حتى غدا الخبر عنصرًا أساسًا في توجيه المخاطب نحو المقصد الأعلى للسورة، وهو الاعتراف بآلاء الله والاستجابة لنداء الرحمة الإلهية بالإيمان والشكر والطاعة.

المصادر والمراجع:

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي, 170/5
2. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري, 25.
3. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: للطاهر بن عاشور, 231/27.
4. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: بدر الدين حسن بن قاسم المرادي, 474/1.
5. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي, 830/1.
6. مفاتيح الغيب: لمحمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي, 347/29.
7. المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف: عبد الله بن يوسف بن عيسى, 66.
8. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي, 165/19.
9. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي, 1053/1.
10. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري, 1198/2.
11. تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد الزبيدي, 444/1.
12. شرح الكافية الشافية: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك, 334/1.

13. مختار الصحاح: زين الدين محمد, 87/1.

14. إعراب القرآن: لأبي جعفر النَّحَّاس, 207/4.

15. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لإبن عطية الأندلسي, 226/5.

16. الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري, 40/1.

17. معاني القرآن: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء, 113/3.

18. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي, 176/17.

19. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي,67/10.

20. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري, 447/4.

21. معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي, 443/7.

«اخْتِلَافُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى»

(فِي سُورَةِ الضُّحَى: أُنْمُوْذَجًا)

أحمد علي دايح الفهداوي[1]

[1]رئاسة جامعة الأنبار–شعبة الإرشاد النّفسي الجامعيAmhedail787@gmail.com –

ملخص البحث

تكتسب دراسة التباين في أنظار السلف تجاه النص القرآني أهمية بالغة؛ لكونها تستلزم فحصًا دقيقًا للمرويات، واستكناه مقاصد القائلين، والموازنة بين آرائهم للوصول إلى الراجح منها، مع تحديد بواعث الخلاف وأنماطه.

إنّ هذا اللون من الدراسات يساهم بفاعلية في صقل مهارات الباحث الفكرية، وتوسيع مداركه النقدية، مما يورثه ملكة علمية تمكنه من فرز الآراء وتمييز سديدها من مرجوحها.

ومن هذا المنطلق، سعى هذا البحث إلى استقراء أوجه الاختلاف بين المفسرين وتحليلها؛ لبيان المنهجية المثلى في التعامل معها، وذلك عبر استخلاص الضوابط والأصول التي استندوا إليها في استنباطاتهم. تهدف الدراسة بصفة أساسية إلى خدمة (تفسير السلف) بوصفه ركيزةً جوهرية تأتي في المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة. كما تبرز أهمية البحث في توضيح مسالك التفسير لدفع ما قد يتوهمه البعض من تعارض في الآيات، وسدًّا للفجوة العلمية المتمثلة في قلة الدراسات التي تمزج بين التأصيل النظري والتطبيق العملي لمسائل الخلاف التفسيري.

الكلمات المفتاحية: اختلاف المفسرين، القرون الثلاثة الأولى، سورة الضحى، تفسير السلف، أسباب الخلاف.

"Interpretive Discrepancies during the First Three Centuries: Surah Ad-Duha as a Case Study"

Research Abstract

The study of interpretative variances among the Salaf (Early Generations) regarding the Quranic text is of paramount importance. It necessitates a rigorous analytical approach—scrutinizing narrations, probing the underlying objectives of the commentators, and weighing various opinions to determine the most preponderant views while identifying the causes and categories of disagreement. Engaging in such scholarly inquiry effectively sharpens a researcher's intellectual faculties and expands their critical horizons, fostering a scholarly intuition capable of distinguishing between sound and weak interpretations.

Guided by this premise, this research examines and analyzes the discrepancies among exegetes to establish an optimal methodology for navigating them. This is achieved by deducing the foundational principles and canons upon which their interpretations were built. The primary objective is to serve the field of "Tafsir of the Salaf," recognizing it as a

fundamental pillar that ranks third in the hierarchy of exegesis, following the Quran and the Sunnah. Furthermore, the significance of this study lies in clarifying the diverse facets of interpretation to resolve any perceived contradictions within the verses. It also aims to bridge a scholarly gap caused by the scarcity of literature that integrates theoretical frameworks with practical applications regarding exegetical disagreement.

Keywords: Divergence of Interpreters, The First Three Centuries, Surah Ad-Duha, Tafsir al-Salaf, Causes of Disagreement.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على مبعوث العناية الإلهية، شمس الهدى ونبي الرحمة محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين وصحابته الغرّ الميامين، والتابعين لهم بنهج قويم إلى يوم الحساب.. أمّا بعد:

فقدِ اختصَّ اللهُ كتابَه المجيد برِجالاتٍ نذروا نفوسهم لخدمته وحمايته، وصرفوا جُلَّ اهتماماتهم في استنباط أحكامه واستكشاف مراميه، باذلين قصارى طاقتهم في مدارسته ونشر علومه. فغاصوا في وجوه أدائه، وأحاطوا بظروف نزوله، حتى استقامت لهم درايةٌ عميقة بدقائق ألفاظه وأسرار تراكيبه؛ فكانوا الحصنَ الذي حفظ الله بهم الوحيَ والملة.

ويأتي في طليعة هؤلاء الصفوة سلفُنا الأبرار من صحابة رسول الله ﷺ، والتابعين لهم ومن سار على نهجهم من أتباع التابعين. فالصحابة –رضوان الله عليهم–هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، والمخاطبون ببيانه في عاداتهم وشؤونهم؛ إذ شهدوا نزول الوحي عيانًا، وعاصروا وقائعه لحظة بلحظة، وبحوزتهم المصدر الأول للبيان ﷺ يرفع عنهم الإشكال ويوضح لهم المقاصد، مع ما اتصفوا به من صدق العزيمة في الفهم والتطبيق. وانطلاقًا من هذه المكانة السامية، استقرَّ العزم على معالجة قضية (تباين الأنظار التفسيرية) لاستجلاء طبيعة الخلاف في فهم النص القرآني، ورسم خارطة منهجية للتعامل مع هذا التنوع، وذلك في دراسة تحت عنوان:

اختلاف المفسرين في القرون الثلاثة الأولى (في سورة الضحى: أنموذجًا).

وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي: إذ قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم اختلاف المفسرين، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاختلاف لغة واصطلاحًا. المطلب الثاني: تعريف التفسير، لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أسباب اختلاف المفسرين، وتحته مطلبان: المطلب الأول: اختلاف القراءات وأثر التنوع القرائي في التفسير. والمطلب الثاني: لاختلاف في سبب تأخر الوحي ومدته وحكم التكبير.

المبحث الثالث: سورة الضحى، واختلاف المفسرين في تفسير الآيات، وتحته مطلبان: المطلب الأول: أول ما نزل من السورة، واسمها، وعدد آياتها.

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين فِي تَفْسِيرِ الآيَاتِ، ويشمل: أولا: تفسير الطبري. ثانيا: تفسير التستري. ثالثا: تفسير ابن أبي حاتم. والحمد لله أولا وآخرا.

المبحث الأول

مفهوم اختلاف المفسرين

المطلب الأول

تعريف الاختلاف لغة واصطلاحًا

أولًا: مفهوم الاختلاف في اللغة: يُعرّف الاختلاف لغةً بأنه نقيض الاتفاق، وهو مصطلح يتسع ليشمل معانٍ أبعد من مجرد "التضاد". وقد أشار الراغب الأصفهاني إلى هذه المزية الدلالية بقوله: "الخلاف أعمّ من الضّدّ؛ لأنّ كلّ ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين".

وتوضيح ذلك يتجلى في المقارنة بين الألوان؛ فبينما يُعد الأبيض والأسود ضدان ومختلفان في آن واحد، نجد أن الحمرة والخضرة يجمعهما الاختلاف دون أن يصلا إلى حد التضاد. وبناءً عليه، فإن مفهوم الخلاف يستوعب معنيي "المناقضة" و"المغايرة"، سواء اقترن ذلك بضدية كاملة أم لم يقترن.

وعليه، فإن جوهر الاختلاف يدور حول المباينة، والمشاكسة، وعدم التوافق، وهي المعاني التي استندت إليها النصوص القرآنية في مواضع شتى. وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) إلى أن مدلول "الاختلاف" في السياق القرآني ينصرف غالبًا إلى "التعارض والتنافي"، بخلاف ما درج عليه المتأخرون من المتكلمين الذين قصروا معناه على مجرد انتفاء التماثل. واستشهد لذلك بقوله عز وجلﷻ □ □ بنىبي بر □ □ تن تى تي □ □ □ [النساء: 82]؛ أي: لو كان هذا الكتاب من صنع البشر لشابهُ الاضطراب والتناقض والتباين الشديد، فسلامة القرآن من هذا التضاد برهانٌ على كونه وحيًا إلهيًّا [42]. كما استدل بقوله تعالى:

ﷻ□ □ بر □ □ بن ىى يي ترَّ [البقرة: 253]؛ حيث وقع النزاع والفرقة بينهم رغم وضوح الحجج التي تنهى عن التشرذم والقتال[43].

ثانيًا: الاختلاف في الاصطلاح

يُقصد بالاختلاف اصطلاحًا: أن يسلك كل طرف طريقًا مغايرًا للآخر، سواء كان ذلك في الهيئة أو المقال.

ولما كان التباين في الأقوال غالبًا ما يجرُّ إلى الخصومة، فقد استُعمل المصطلح مجازًا للتعبير عن "التنازع والمجادلة".

---

[42] تفسير ابن كثير، الدمشقي (ت774هـ) تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ط1 1419هـ. 364/2.

[43] تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت310هـ) تح د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع م البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ط1 1422هـ -2001م. 381/5.

ويظهر هذا المعنى جليًّا في قوله تعالى: ﱡ ﭐ □ □ لج لحلخ ﱠ [مريم: 37]؛ إشارةً إلى تفرق الآراء وتشتت الجماعات بخصوص شأن عيسى –عليه السلام–، مما أدى إلى ظهور طوائف متباينة في معتقداتها[44].

المطلب الثاني

تعريف التفسير، لغةً واصطلاحًا

أولًا: التفسير في اللغة والعلاقة بالتأويل

يتمحور المفهوم اللغوي لـ التفسير حول معاني الكشف، والبيان، وإيضاح المستور. أما التأويل، فقد تباينت فيه أنظار العلماء؛ فمنهم من جعله مرادفًا للتفسير، ومنهم من رأى بينهما مباينة؛ استنادًا إلى أصله الاشتقاقي من "الأول" بمعنى المآل والرجوع.

وفي السياق القرآني، يُقصد بالتأويل ترجيح أحد الاحتمالات التي يحتملها اللفظ بناءً على دليلٍ يسوغ هذا الاختيار. وبناءً على هذا التفريق، يمكن القول إن التفسير غالبًا ما ينصرف إلى بيان الألفاظ ومنطوقها، بينما يختص التأويل باستنباط المعاني وفهم مقاصدها وغاياتها.

ثانياً: التفسير في الاصطلاح

---

[44] تفسير الطبري: 197/18.

تعددت اجتهادات المفسرين في وضع تعريف جامع مانع للتفسير، فجاءت أغلب التعريفات "تقريبية"؛ نظرًا لاشتباك هذا العلم بفنون عديدة وقيود تختلف من مدرسة إلى أخرى، مما جعل مفهومه يتسع ويضيق تبعًا لتلك الاعتبارات.

ومن أدق ما قيل في حقيقة هذا العلم، ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي حين عرّفه بأنه: "علمٌ يُعنى بآلية النطق بكلمات القرآن الكريم، ومدلولاتها، وما يعتريها من أحكام في حالتي الإفراد والتركيب، مع تتبع المعاني المستفادة من السياق، وما يتصل بذلك من متممات" [(45)].

المبحث الثاني

أسباب اختلاف المفسرين

" تتعدد وجهات نظر المفسرين في استيضاح مقاصد الألفاظ والآيات القرآنية، وهو تباينٌ ناتجٌ عن جملة من العوامل والمؤثرات التي تحكم عملية الفهم والاستنباط. ومن الملاحظ تاريخيًا أن نطاق هذا الخلاف يضيق كلما اقتربنا من العصر الأول؛ حيث الرعيل الذي عاين نزول الوحي وأدرك سياقاته التاريخية والواقعية. فالباحث يجد أن التباين التفسيري لدى السلف كان محدودًا مقارنةً بمن جاء بعدهم؛ إذ اتسعت فجوة الاختلاف مع ظهور النزعات المذهبية والفرق الكلامية. فقد سعت كل طائفة لاحقًا إلى استنطاق النص القرآني وتأويله بما يخدم أصولها العقدية، متخذةً من آيات الذكر الحكيم وسيلةً لتعزيز أطروحاتها ودحض حجج خصومها[((46))].

---

(45) البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشهير بـ "أبي حيان الأندلسي" (ت: 745 هـ)، طبعة دار الفكر، لبنان 1412هـ. :26/1.

(46) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي، صلاح، دار القلم، دمشق، ط1 2002م. 81.

المطلب الأول

اختلاف القراءات وأثر التنوع القرائي في التفسير

يُمثل تعدد القراءات القرآنية ظاهرةً علميةً ثابتة، انعقد عليها إجماع الأمة الإسلامية بمختلف عصورها، فلا مجال لإنكارها أو التشكيك في ثبوتها أمام الأدلة القطعية والنقل المستفيض.

وإذا استقرَّ لدينا هذا التعدد بوصفه واقعا لا ريب فيه، فإن الإشكال الذي يطرح نفسه يتمحور حول: البواعث التي أدت إلى تنوع وجوه الأداء القرائي، حتى استقرت القراءات المتواترة على صورتها المعروفة؟

إنَّ هذا التنوع لم يكن ترفا لغويّا، بل كان ضرورة اقتضاها التيسير على الأمة، ومراعاةً لاختلاف لغات العرب ولهجاتهم في عصر التنزيل. كما أن القراءات المتواترة –التي تجاوزت السبعة–تُعدُّ بمثابة الآيات المتعددة؛ فكلُّ قراءةٍ منها تُضيف بُعدا دلاليّا جديدا، أو تفتح آفاقا استنباطيةً تساهم في إثراء المعنى التفسيري. وبناءً عليه، فإن اختلاف القراءات يُعدُّ من أقوى الركائز التي استند إليها المفسرون في توجيه معاني الآيات واستنباط الأحكام واللطائف، مما يجعل دراسة هذا المطلب مدخلا رئيسا لفهم أسباب التباين في شروح السلف ومن بعدهم.

فأبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد التيمي البغدادي (ت 324هـ):

(ذكر اختلافهم في سُورة الضُّحى)[47].

[48]. قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) ((والضحى))

"ذكر الإمام الحافظ أبو عمرو الداني (المتوفى سنة 444هـ): (سورة الليل والضحى)[49].

قال محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري (ت833هـ): سورة والليل والضحى)[50].

قال محب الدين محمد بن محمد بن محمد النويري (ت857هـ) (سورة الضحى)[51].

ذكر من قال لا اختلاف في السورة:

[47] السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، التميمي البغدادي، المعروف بـ "ابن مجاهد". (ت: 324 هـ): بغداد، العراق. تح: الدكتور شوقي ضيف. دار النشر: دار المعارف -مصر. 690.
[48] القيسي، مكي بن أبي طالب (المتوفى: 437 هـ). التبصرة في القراءات السبع. تحقيق: د. محمد غوث الندوي (أو د. أحمد فرحات)، ص: 385.
[49] التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، المعروف بـ "أبي عمرو الداني" (ت: 444 هـ). أشهر المحققين: المستشرق الألماني أوتو برتزل (طبعة إسطنبول)، والدكتور حاتم الضامن: 527.
[50] تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر، لمؤلفه شمس الدين ابن الجزري (المتوفى: 833 هـ). تح: له طبعات متعددة، أشهرها تح: د. أحمد محمد مفلح القضاة: 615.
[51] ابن الجزري، أحمد بن محمد (أبو بكر). شرح طيبة النشر في القراءات العشر، وهو ابن الناظم (ابن الإمام ابن الجزري). (ت: 835 هـ) أشهر المحققين: الشيخ أنس مهرة (طبعة دار الكتب العلمية) أو تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل:620/2.

قال مكي بن ابي طالب القيسي: (وليس في (والليل إذا يغشى) (والضحى) و(ألم نشرح) (والتين والزيتون) اختلاف، إلا ما تقدّم من الأصول والامالة)[52].

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: (أمال حمزة والكسائي أواخر آيهما، إلا قوله: (سجى)(2): فإنّ حمزة فتحه)[53].

قال محمد بن الحسن بن محمد المنير السمنودي(ت 1199هـ):(وليس في سورة الشمس والليل والضحى وألم نشرح والتين والعلق شيءٌ من المخالفة)[54].

المطلب الثاني

الاختلاف في سبب تأخر الوحي ومدته وحكم التكبير:

تعددت الروايات والآراء حول الأسباب التي أدت إلى احتباس الوحي عن النبي ﷺ، وكذلك في المدة التي استغرقها هذا الانقطاع، وما صاحب عودته من شعائر كالتكبير.

أولا: أسباب تأخر الوحي

(52) التبصرة :385.
(53) التيسير في القراءات السبع: 527.
(54) الدرة المضيئة في قراءات الأئمة الثلاثة المتممة للعشر: الإمام محمد بن محمد بن الجزري (ت 833 هـ): 256.

ذكر العلماء عدة أسباب مروية في كتب التفسير والسير، ومنها:

ترك الاستثناء (قول إن شاء الله):

حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فقال: ائتوني غدًا أخبرُكم، ونَسِي أن يقول: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي[55].

وجود جرو في بيت النبي ﷺ:

ذكر زيد بن أسلم أن السبب كان بسبب جرو ميت كان في بيته ولم يعلم به، والملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة[56].

نقد الرأي: نُوقش هذا الرأي بأن النبي ﷺ غير ملازم للبيت، فكان يمكن أن ينزل عليه الوحي في موضع آخر كالمسجد، وأُجيب بأن ذلك من باب التربية الإلهية لخواص العباد وتنبيههم على دقائق الأمور.

زجر السائل (قصة العنقود):

[55] القرطبي، محمد بن أحمد. (2006). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق: عبد الله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج13، ص341.
[56] العسقلاني، ابن حجر. (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، ج8، ص710.

قيل إن النبي ﷺ انتهر سائلاً ألحّ في طلب "قطف عنب" أُهدي إليه، وهو رأي وصفه المحققون بأنه غريب جدًا ومعضل[57].

وعلى تقدير صحته، فالتوجيه أن الانتهار كان تأديبًا للسائل على الإلحاح لا بخلًا، فالنبي ﷺ أكرم الناس، وقد روي في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (ما سئل عن شيءٍ قطّ، فقال: لا)[58].

ثانيا: مدة احتباس الوحي:

اختلف الرواة في تحديد مدة الانقطاع على أقوال:

فبينما ذهب ابن جريج إلى أنها اثنا عشر يومًا، نقل عن ابن عباس (رضي الله عنهما) تقديرها بـ خمسة عشر يومًا.

مقاتل: قال أربعون يوما[59].

فلما نزل جبريل عليه السلام، قال له النبي ﷺ: «يا جبريل، ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت إليك أشوق، ولكني عبد مأمور»، فنزل قوله تعالى: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم: 64][60].

---

[57] البغوي، الحسين بن مسعود. (1997). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: محمد النمر وآخرون، الرياض: دار طيبة، ج8، ص455.
[58] البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ج8، ص13، حديث رقم 6034.
[59] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص440.
[60] معالم التنزيل، ج5، ص244.

ثالثا: حكم التكبير وسببه:

أطبق القائلون بمشروعية التكبير على كونه ليس جزءًا من النص القرآني المنزّل، بل هو صيغة ذكرية تعظيمية ندب إليها الشرع، وجعل القارئ مخيّرًا في الإتيان بها عند الفواصل بين سور الختم[61].

وقد ورد حديث التكبير من طريق "البزي" عن عكرمة بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، ورواه الحاكم في مستدركه وصححه[62].

يُعزى أصل التكبير إلى حالة الاستبشار التي صاحبت نزول سورة الضحى، وما تضمنته من وعد رباني في قوله عز وجل: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} (الضحى: 5)؛ تلك الآية التي نُقل عن آل البيت (عليهم السلام) وصفها بأنها أبعث آيات الذكر الحكيم على الرجاء والأمل.

وتعظيما لرؤية جبريل عليه السلام على صورته الملائكية عند نزول السورة.

المبحث الثالث

[61] أسباب نزول القرآن. الواحدي، علي بن أحمد. (1411هـ). تحقيق: عصام الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ص483.
[62] المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (1990). تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ص344، حديث رقم5231.

سُورَةُ الضُّحَى، وَاخْتِلَاف الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ

الْمَطْلَب الْأَوَّل

أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ السُّورَةِ، وَاسْمُهَا، وَعَدَدُ آيَاتِهَا

أولا: أَوَّل مَا نَزَلَ مِنَ السورَةِ:

أجمع أهل العلم على أنّ هذه السورة من القسم المكي من التنزيل، ويرجع أصل نزولها إلى ما أورده الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن الأسود بن قيس عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال: "اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث؛ فأنزل الله عز وجل: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}"[63].

والمقصود بهذه المرأة هي أروى بنت حرب، المشهورة بـ (أم جميل)، وهي زوجة عبد العزى بن عبد المطلب (أبي لهب)، وفقاً لما نقله الإمام ابن عباس رضي الله عنهما في إحدى رواياته[64].

---

[63] صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل. (1422هـ). تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ج6، ص173، حديث رقم 4950.
[64] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (1422هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ج5، ص492.

أورد الإمام الترمذي من طريق الأسود بن قيس عن جندب البجلي رضي الله عنه واقعةً جرت للنبي ﷺ في أحد الغيران، حيث أُصيبت إصبعه فسال منها الدم، فخاطبها قائلاً: «هل أنتِ إلّا إصبعٌ دميتِ، وفي سبيلِ الله ما لقيتِ». وعقب تلك الحادثة تأخر نزول الوحي، مما دفع المشركين للزعم بأن محمداً قد تُرِك، فجاء الرد الإلهي بنزول سورة الضحى[65].

المناقشة التحليلية:

يرى العلماء أن جندبا رضي الله عنه لم يسمع قول أم جميل مباشرة لصغر سنه حينها، ولعله أسلم متأخرا، مما يرجح أن ابن عيينة جمع بين حديثين.

قيل: إن كلمة (في غار) الواردة في الرواية قد تكون تصحيفاً لأصلها (كنت غازيًا)، وهو ما يفسر حدوثها في وقت متأخر عن وقت نزول السورة بمكة.

وجاءت هذه السورة في المرتبة الحادية عشرة من حيث ترتيب النزول الوحي، حيث أُنزلت في أعقاب سورة (الفجر) وقبل سورة (الشرح)، وهي تُمثل فاتحة قسم (قصار المفصل) في المصحف الشريف.

[65] سنن الترمذي. الترمذي، محمد بن عيسى. (1998). تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج5، ص335، حديث رقم 3345.

ثانيًا: اسْمُهَا:

سورة الضحى: وهو الاسم المشهور في معظم المصاحف وكتب التفسير، وورد في جامع الترمذي[66].

سورة والضحى: بإثبات الواو، وهو ما بوبه البخاري في صحيحه[67].

سورة محمد: أطلق عليها بعض المفسرين هذا الاسم لمناسبة الخطاب المتمحض للنبي ﷺ في جميع آياتها، كما سموا سورة الليل "سورة أبي بكر".

ثالثًا: عدد آياتها وموضوعاتها:

آياتها إحدى عشرة آية بإجماع القراء، وتتمحور السورة حول محورين أساسيين:

القسم والتبشير: ابتدأت بالقسم على عظمة قدر النبي ﷺ، ونفي مزاعم المشركين بترك الله له {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}، ثم بشرته بالعطاء الجزيل والشفاعة {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}.

(66) سنن الترمذي، ج5، ص335.
(67) صحيح البخاري، ج6، ص173.

الامتنان والتوجيه: ذكرته بنعم الله عليه في يتمه وعيلته {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}، وختمت بوصايا ثلاث تقابل النعم الثلاث (إيواء اليتيم، إرشاد السائل، التحدث بنعمة الله) في تناسق بياني فريد[68].

الْمَطْلَبُ الثاني

اخْتِلَافُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الآيَاتِ

تعددت أنظار أهل التأويل في بيان معاني المفردات القرآنية في سورة الضحى، ومن أبرز ذلك اختلافهم في مراد الله تعالى من قوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى: 2]، وفيما يأتي عرض لآراء المفسرين كما أوردها شيخ المفسرين الإمام الطبري:

أولا: تَفْسِيرُ الإمام الطبري (ت 310هـ):

ذكر ابن جرير الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في تأويل قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} على ثلاثة أقوال رئيسة[69]:

1. بمعنى أقبل بظلامه:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية محمد بن سعد عن عمه قوله: «والليل إذا أقبل».

---

[68] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمر. (1407هـ) بيروت: دار الكتاب العربي، ج4، ص767.

[69] الكشاف، ج24، ص485.

وعن الحسن البصري قال: «إذا لبس الناس، إذا جاء».

2. بمعنى ذهب:

روي قول آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي عن أبي صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة قال: «إذا ذهب».

3. بمعنى استوى وسكن:

وهو قول مجاهد بن جبر حيث قال: «إذا استوى».

وعن قتادة قال: «سكن بالخلق».

وعن الضحاك قال: «يعني: استقراره وسكونه».

وعن ابن زيد قال: «إذا سكن، قال: ذلك سجوه، كما يكون سكون البحر سجوه».

ترجيح الإمام الطبري وتوجيهه للآية:

بعد استعراض الروايات، رجح الإمام الطبري المعنى اللغوي المرتبط بالسكون، إذ قال:

«وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه والليل إذا سكن بأهله وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج، إذا كان ساكناً»[70].

واستشهد على ذلك من كلام العرب بما يأتي:

قول أعشى بني ثعلبة:

فما ذَنبُنا إن جاش بحرُ ابنِ عمِّكم ... وبحرُك ساجٍ ما يواري الدِّعامِصَا

قول الراجز:

يا حَبّذا القَمراءُ، واللّيلُ السّاجْ ... وطُرُقٌ مثلُ مُلاءِ النّسّاجْ

(70) تفسير الطبري، ج24، ص487.

الخلاصة: إن معنى {سَجَى} عند الطبري ومجاهد وقتادة والضحاك هو: سكن فأظلم وادلهم، وهذا السكون دليل ظاهر على قدرة الخالق، كما في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل: 1]، وقوله: {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} [الأنعام: 96][71].

ثانيا: تَفْسِيرُ الإمام التُّسْتَرِيّ (ت 283هـ):

يُعد تفسير التستري من التفاسير التي تعتني بالإشارات الصوفية والتربوية، وقد أورد في سورة الضحى معانٍ إشارية ترتبط بالنفس والروح[72]:

{وَالضُّحَى}: أشار إلى أنها "نفس الروح في البطن".

{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}: فسرها بأنها "نفس الطبع إذا سكن إلى نفس الروح في إدامة الذكر إلى الله تعالى".

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى}: اعتبر أن الله ادخر للنبي ﷺ المقام المحمود والشفاعة، وهي خير مما أُعطي في الدنيا من النبوة والرسالة.

---

(71) المصدر نفسه، ج24، ص488.
(72) تفسير التستري. التستري، سهل بن عبد الله. (1423هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ص196.

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}: أي وجدك فردا فآواك إلى أصحابك.

{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}: ذكر فيها وجهين؛ الأول: أنه سبحانه بصرك بحقيقة قدرك بعد خفاء، وهداك إلى أنوار محبته الصافية حين كنت غافلا عن كمال وداده، فأذاقك من معين القرب ما أحيا قلبك. والثاني: أنه وجد في جبلّتك وطبعك البشري فقرًا وافتقارًا إلى معارفه، فأفاض عليك من هداياته.

والمعنى في قوله: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}؛ أي: أنه سبحانه بصرك حينما كانت النفس في تطلع وحيرة، طلبا لعين اليقين، فأمدَّ روحك بمددٍ من عنده، وملأ جنباتها بفيض القرآن وأنوار الحكمة حتى استغنت بالله عن كل ما سواه.

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}: أشار إلى أن النبي ﷺ ذاق طعم اليتم فعلم موقع اللطف من قلب اليتيم.

ثالثا: تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيّ (ت 327هـ):

يُعد تفسير ابن أبي حاتم من أمهات التفاسير بالمأثور، حيث اعتمد فيه المصنف على سياق الروايات المسندة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وقد أورد في سورة الضحى جملة من الآثار التي توضح معانيها وأسباب نزولها[73]:

[73] تفسير القرآن العظيم. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. (1419هـ). تحقيق: أسعد محمد الطيب، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ج10، ص3442.

1. تفسير القسم (الضحى والليل):

{وَالضُّحَى}: أورد فيه عدة أقوال؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن أسلم أنه: "النهار كله"، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "شروق الشمس"، وعن الضحاك: "النهار إذا أضاء".

{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}: روي عن ابن عباس أن معناه: "إذا ذهب"، بينما ذهب مجاهد وأنس بن مالك إلى أن معناه: "أظلم"، وعن ابن جريج: "سكن بالناس"، وهو المعنى الذي استقر عليه الجمهور بأن المراد هو تغطية الظلام وسكون الخلق فيه[74].

2. سبب النزول وجواب القسم:

أورد ابن أبي حاتم عدة روايات في سبب نزول قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}، منها حديث جندب بن سفيان في الصحيحين، ورواية ابن عباس أن جبريل عليه السلام أبطأ عن النبي ﷺ أياماً، فقال المشركون: "ودعه ربه وقلاه"، فنزلت الآيات ردا عليهم؛ ومعنى (ما ودعك): ما تركك، و(ما قلى): ما أبغضك منذ أحبك.

3. فضل الآخرة ورضا النبي ﷺ:

[74] المصدر نفسه، ج10، ص3444.

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى}: نقل عن ابن عباس وزيد بن أسلم أن ما أعده الله للنبي ﷺ في الآخرة خير مما أعطاه في الدنيا.

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}: ذكر عن ابن عباس أن النبي ﷺ سُرّ بما عُرض عليه من الفتوحات لأمته من بعده، فأعطاه الله في الجنة ألف قصر. وروي عن علي بن عبد الله بن عباس أن "رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار"[75].

4. الامتنان بالنعم والتوجيهات الأخلاقية:

تفسير النعم: أوضح ابن أبي حاتم أن اليتم كان لفقد الأب، والضلال المراد به "الضلال عن النبوة" أو عما كان عليه النبي ﷺ قبل الوحي، والعيلة هي الفقر الذي أعقبه الغنى برزق الله.

الوصايا الثلاث:

{فَلَا تَقْهَرْ}: أي لا تحتقر اليتيم، وعن سعيد بن جبير قال: "كن لليتيم كالأب الرحيم".

{فَلَا تَنْهَرْ}: أي بَيِّن للسائل عن العلم برفق.

[75] تفسير القرآن العظيم، ج10، ص3446.

{فَحَدِّثْ}: روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: "إذا أصبت خيرًا فحدث به إخوانك"، وعن مجاهد أن النعمة هي "القرآن" وتحديثه بقراءته وتبليغه.

خلاصة المطلب: المقارنة بين التفسير الإشاري والتفسير بالمأثور في سورة الضحى.

من خلال استعراض تفسيري التستري وابن أبي حاتم، نجد تباينا منهجيا يثري النص القرآني بأبعاد مختلفة:

من حيث المنطلق:

ابن أبي حاتم (المأثور): ينطلق من الظاهر اللغوي والسياق التاريخي (أسباب النزول)، معتمداً على الآثار المروية عن السلف لضبط المعنى المراد.

التستري (الإشاري): ينطلق من الباطن التربوي والوجداني، حيث يرى في المفردات (الضحى، الليل، اليتيم) رموزاً لحالات روحية يمر بها السالك إلى الله.

تفسير النعم الثلاث (اليتم، الضلال، العيلة):

في المأثور: هي حقائق مادية مر بها النبي ﷺ في طفولته (فقد الأب، والفقر، والبحث عن الحق) فامتن الله عليه بتغيير حاله واقعيا.

في الإشاري: هي رموز لحالات معنوية؛ فالضلال هو "الغيبة في محبة الله"، والغنى هو "غنى النفس بالقرآن والحكمة"، واليتم هو "الانفراد لله".

تفسير التوجيهات الأخلاقية:

ركز ابن أبي حاتم على التطبيق العملي للوصايا (كف الأذى عن اليتيم، وبذل العلم للسائل، والتحدث بالنعمة شكرا).

ركز التستري على الجانب الذوقي، فاعتبر أن تجربة "اليتم" التي مر بها النبي ﷺ كانت لإعداده روحيا ليكون رحيما بالخلق من كمال معرفته باللطف الإلهي.

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل القرآن نورا نهتدي به، وطريقا نافعا نسير في ظل هداه، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه، وأرسله ربه رحمة وهداية للثقلين، وبعد:

فإن رحلة البحث التي مررت بها لإتمام هذه الأطروحة العلمية قد بلغت منتهاها، وقد وقفت في الجانب النظري من الرسالة على جملة من المسائل المرتبطة باختلاف السلف في التفسير، والممارسة العلمية للترجيح بين أقوال المفسرين في مواضعها، من سورة الضحى وحتى نهاية السورة، مع إعمال قواعد الترجيح التي ناقشتها؛ إذ أسفرت عن جملة من النتائج والتوصيات التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

أهم النتائج: الأهمية البالغة لتفسير السلف: (رضوان الله عليهم) في تيسير فهم كتاب الله تعالى؛ فبمعرفة تفسيرهم وإدراكه يسلم القائل في التفسير من الزلل والخطأ، فالحق في جملته لا يخرج عن أقوالهم.

تعدد مصادر المفسرين: إن المصادر التي استقوا منها فهمهم لمراد الله تعالى هي: (القرآن الكريم، والسنة النبوية، واللغة العربية)، وهي أوثق المصادر التي تعين المفسر على القول الصائب، ولا غنى لطالب حق في التفسير عن تلك المصادر.

طبيعة الخلاف: إن خلاف المفسرين في جملته هو "اختلاف تنوع"، والقليل منه هو "اختلاف تضاد"؛ ويرجع ذلك في عمومه إلى تقارب مصادرهم وسلامة سريرتهم وقلة خطئهم مقارنة بمن بعدهم.

تنزه أقوال السلف: إن خلاف المفسرين في المواضع التي وقفت عليها لم يكن عن هوى في النفس، أو جهل ناتج عن قول بلا علم، أو تعصب لمذهب أو فرقة.

منهجية النقد: لا يتسنى لأحد أن يصف تفسير المفسرين بالخطأ قبل أن يسلك سبل التوثيق، والتأكد من الأسانيد، وثبوت نسبة الأقوال إلى أصحابها، وفهمها على الوجه الذي قصدت به في سياقها الذي وردت فيه.

التفسير باللازم: من أساليب المفسرين في توسيع دائرة المعنى حتى يسهل على السامع إدراكه: التفسير باللازم.

أهم التوصيات:

ضرورة تبني الجامعات توجيه جهود الباحثين والدارسين نحو موضوع "الاختلاف في التفسير"، وتوسيع دائرة البحث في هذا المجال لما له من أثر في ضبط فهم النص القرآني.

وفي خاتمة هذا البحث العلمي، فإني أسأل الله الكريم أن يكتب له حسن القبول، وأن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم، ويجعله شفيعاً لي يوم القيامة.

والحمد لله أولا وآخرا، سرّا وجهرا، وهو أهل الحمد تبارك وتعالى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت 327هـ). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. تحقيق: أسعد محمد الطيب. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ.

2- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت 630هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة. تح: علي معوض وعادل عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.

3- ابن الجزري (الابن)، أحمد بن محمد (ت 835هـ). شرح طيبة النشر في القراءات العشر. تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل / أو الشيخ أنس مهرة.

4- ابن الجزري، محمد بن محمد (ت 833هـ). تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر. تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة.

5- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ). مقدمة في أصول التفسير. بيروت: دار مكتبة الحياة، طبعة 1980م.

6- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ). اقتضاء الصراط المستقيم لمخافة أصحاب الجحيم. اعتنى به: ناصر عبد الكريم العقل. بيروت: دار عالم الكتب، ط7، 1419هـ.

7- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.

8- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر (ت 1393هـ). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

9- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. دراسة وتحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ.

10- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.

11- ابن مجاهد، أحمد بن موسى التميمي (ت 324هـ). السبعة في القراءات. تحقيق: د. شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف.

12- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ). لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر، 1414هـ.

13- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت 745هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر، طبعة عام 1412هـ.

14- الأصفهاني، الراغب (ت 502هـ). تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني. طنطا: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1420هـ.

15- التستري، سهل بن عبد الله (ت 283هـ). تفسير التستري. جمع: البلدي، تح: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ.

16- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ت 875هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تح: محمد معوض وعادل عبد الموجود. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.

17- الجواد، عبد الجواد. مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن. ص 101.

18- الخالدي، صلاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. ط1. دمشق: دار القلم، 2002م.

19- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ). التيسير في القراءات السبع. تحقيق: أوتو برتزل / د. حاتم الضامن.

20- الذهبي، د. محمد السيد حسين (ت 1398هـ). التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة.

21- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. مفردات ألفاظ القرآن. ط2. دمشق: دار القلم، 1412هـ.

22- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ). الإتقان في علوم القرآن. بعناية: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ.

23- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (ت 790هـ). الموافقات. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان، ط1، 1417هـ.

24- الصفاقسي، علي بن محمد النوري (ت 1118هـ). غيث النفع في القراءات السبع. تح: أحمد محمود الحفيان. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ.

25- الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ). تفسير الطبري (جامع البيان). تحقيق: د. عبد الله التركي بالتعاون مع دار هجر. ط1، 1422هـ.

26- الطيار، د. مساعد بن سليمان. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. ط2. دار ابن الجوزي، 1428هـ.

27- الطيار، د. مساعد بن سليمان. فصول في أصول التفسير. تقديم: د. محمد الفوزان. ط2. دار ابن الجوزي، 1423هـ.

28- عوامة، محمد. أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين. ط2. بيروت: دار البشائر، 1418هـ.

29- القيسي، مكي بن أبي طالب (ت 437هـ). التبصرة في القراءات السبع. تحقيق: د. محمد غوث الندوي (أو د. أحمد فرحات).

30- مجموعة من العلماء. الموسوعة القرآنية المتخصصة. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1423هـ.

إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف

للشيخ العلامة الامام محمد بن احمد بن حسن الجوهري الصغير

دراسة وتحقيق : أ . م . د . وليد منفي عبد الخليفاوي

ا . م . د . وليد منفي عبد ظاهر الخليفاوي

وزارة التربية – مديرية تربية محافظة الانبار – / Waleedabed726@gmail.com

الكلمات المفتاحية : (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف ، محمد بن احمد ، الجوهري الصغير ، دراسة وتحقيق ، ا . م . د . وليد منفي عبد الخليفاوي ، الفقه الاسلامي ، الفقه الشافعي). العام – 1447 هـ – 2026 م

الملخص:

يسر الله تعالى لي بفضله وكرمه الحصول على نسختين مخطوطتين من كتاب (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) للإمام محمد بن احمد الجوهري الصغير ت (1215 هـ – 1801 م) . وهي من الرسائل الفقهية الصغيرة النافعة ومع صغر حجم هذه الرسالة الا انها مفيدة جدا في مناقشة موضوع (صحة النذر للموسر والشريف) ونقل ومناقشة اقوال الائمة الشافعية في هذه المسالة الفقهية .

'iithaf allatif bisihat alnadhr lilmuasir walsharif

Itihaaf Al-Latif on the validity of vows for the wealthy and the noble

---

(Ithaf al-Latif Sahhat al-Nadr for the Affluent and the Sharif)

Al-Latif makes the vow valid for the affluent and honorable

By Imam Muhammad bin Ahmed Al-Jawhari Al-Saghir - Deceased (1215 AH - 1801 AD)

Study and investigation- Islamic jurisprudence - Shafi'i jurisprudence

First Author Name/ Waleed manfy abed / Ministry of Education / Directorate of Education, Anbar Governorate / Waleedabed726@gmail.com / Phone- 07803581660

Keywords:

Ithaf al-Latif on the validity of vows by the wealthy and the honorable, Muhammad bin Ahmad, Al-Jawhari Al-Saghir, study and investigation, A. M . Dr . Walid Manfi Abd, Islamic jurisprudence, Shafi'i jurisprudence

Abstract:

God Almighty made it easy for me, by His grace and generosity, to find two manuscript copies of the book (Ithaf al-Latif Sahhat al-Nadr for the Affluent and the Sharif) by Imam Muhammad bin Ahmad al-Jawhari al-Saghir (d. 1215 AH - 1801 AD).

It is one of the small useful jurisprudential treatises. Despite the small size of this treatise, it is very useful in discussing the topic (the validity of vows for the wealthy and the noble) and in conveying and discussing the sayings of the Shafi'i imams on this jurisprudential issue

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وال بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين .

وبعد :

فأن الكثير من المخطوطات الفقهية والرسائل الصغيرة المهمة لم تصل اليها عناية المحققين والباحثين بسبب صغر حجمها ووجودها بين المجاميع من المخطوطات ، وهذه الرسائل الفقهية الصغيرة يقع فيها فوائد كبيرة لكونها تحتوي على فتاوى مهمة في الفقه الاسلامي لقضايا وامور كثيرة ، ومن هذه الرسائل المهمة هي رسالة (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) للشيخ العلامة الامام محمد بن احمد بن حسن الجوهري الصغير – رحمه الله تعالى – .

وقد تضمنت هذه الرسالة مناقشة امور فقهية نافعة تخص مسالة (صحة النذر للموسر والشريف) وقد قمت بتحقيقها بعد صعوبة الحصول على نسخ خطية منها لكن الله تعالى يسر لي الامور وسخر لنا ذلك بفضله وكرمه وتمكنت من الحصول على نسختين مخطوطتين من مكتبة الازهر الشريف وهما النسخ الفريدة والوحيدة في العالم الاسلامي وقمت بتحقيقها .

مع الاخذ بنظر الاعتبار انه سبقني بالتعريف بالقسم الدراسي وحياة المؤلف عدد من الباحثين لوجود بعض الرسائل العلمية التي تعود للإمام رحمه الله تعالى منشورة ومحققه من قبل الباحثين وسأعتمد على اسلوب الاختصار في القسم الدراسي لكونها مكررة .

وقد قمت بتقسيم البحث الى قسمين :

القسم الاول : القسم الدراسي وفيه مبحثان :

المبحث الاول : التعريف بالمؤلف .

المبحث الثاني : التعريف بالرسالة ومنهجي بالتحقيق .

القسم الثاني : النص المحقق

نسال الله تعالى القبول والسداد ومن الله التوفيق .

أ . م . د . وليد منفي عبد الخليقاوي

القسم الاول :القسم الدراسي

القسم الاول : القسم الدراسي وفيه مبحثان :

المبحث الاول : التعريف بالمؤلف .

اولاً : اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

هُوَ: الامام العلامة أبو هادي محمد بن شهاب الدين أحمد بن حسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف بن كريم الدين الكريمي الجوهري الصغير الخالدي الشافعي [76] .

الجوهري لأن جده كان يبيع الجوهر؛ أي: الذهب.

الخالدي نسبة لسيدنا الصحابي الجليل سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه [77] .

ثانياً : ولادته

وُلِدَ: الامام سَنَةَ 1151هجريًا، وحج مع والده إلى أرض الحرمين لطلب العلم سنة ثمان وستين [78] .

---

[76] ينظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، لعبد الرزاق بن حسن البيطار الدمشقي (ت 1335 هـ) حققه : محمد بهجت البيطار ، دار صادر ، بيروت ط / 2 ، 1993 م : (3 / 1321) ، وعجائب الاثار في التراجم والاخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت 1237 هـ) دار الجيل – بيروت : (2 / 440) ، و ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لاسماعيل باشا الباباني البغدادي (ت 1339 هـ) طبع بعناية محمد شرف الدين و رفعت بلكيه ، منشورات مكتبة المثنى – بغداد : (3 / 15) ومعجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية – لعمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى بيروت ، دار احياء التراث العربي بيروت ، 1376 هـ – 1957 م : (8 / 250)

[77] ينظر : معجم المطبوعات العربية الياس سركيس ، مصر ، 1346 هـ ،(1 / 722) ، والاعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي (ت 1976 م) دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / 5 ، (2002 م) : (6 / 214)

[78] ينظر : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لابي الفضل السيد محمد افندي بن علي بن محمد المرادي الحنفي (ت 1206 هـ) دار البشائر الاسلامية ودار ابن حزم ط / 3 ، بيروت ، 1987 م (1 / 97) هدية العارفين اسماء المؤلفين وأثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي ، بيروت – مكتبة المثنى (2 / 352)

ثالثا : شيوخه وتلاميذه

تَفَقَّهَ عَلَى :

جده الشيخ حسن بن عبد الكريم الجوهري اللغوي .

والده الفقيه الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسن بن عبد الكريم الجوهري الكبير القارئ ولد سنة 1096 هـ، توفي 9 جمادى الأولى سنة 1182 هـ [79] وغيرهم .

ومن طلابه : " مفتي زبيد الامام سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل الزبيدي أبو المحاسن (ت1197هـ) " [80] .

رابعاً : آثاره ومصنفاته : "للشيخ كتب ومؤلفات كثيرة في شتى أنواع العلوم (الفقه والأصول والعقيدة والادب والحديث وغيرها من العلوم "

ومن كتبه في الفقه:

- إِتْحَافُ الأحبة فيمن سأل عَنْ الضبة.
- اتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف(موضع بحثنا هذا)
- تقرير على المعجم الوجيز للسيد ميرغني.
- ثمرة غريس الاغتناء بتحقيق أسباب البناء.
- حاشية عَلَى (شرح منهج الطلاب) ، هي حاشية على الاتحاف.

---

[79] ينظر : فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد بن عبد الحي بن محمد الادريسي المعروف بعبد الحي الكناني (1382 هـ) نشره د : أحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي بيروت ط / 2 (1983 م) : (1 / 221) .

[80] عجائب الاثار (2 / 440) ، وحلية البشر (3 / 1321)

- "حاشية للشيخ على الإتحاف. وللشيخ عبد الحي الشبيني الأزهري (حاشية اتحاف الراغب بشرح نهج الطالب)"
- الدر المنثور في الساجور.
- رسالة في أركان الحج.
- رسالة في النذر الشريف.
- رسالة في مسألة الغصب.
- الروض الوسيم في المفتى به من المذهب القديم.
- شَرْح عَلَى اختصاره ، سَمَّاهُ: (إتحاف الراغب عَلَى منهج الطالب).
- فتح الرحمن في سهولة التوجه وإتمام الأركان.
- كيفية إثبات شهر الصيام.

خامساً : وفاته :

" توفي الامام في يوم الاحد الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة ، عام (1215 هـ - 1801 م) بالقاهرة ودفن عند اخيه ووالده بزاوية القادرية " [81] .

المبحث الثاني : التعريف بالرسالة ومنهجي بالتحقيق .

اولاً : اسم الكتاب ونسبته الى مؤلفه

[81] ينظر : عجائب الاثار (2 / 442) وحلية البشر (3 / 1323)

الكتاب هو (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) للإمام محمد بن احمد الجوهري الصغير ت (1215 هـ - 1801 م) .

ثانياً : نسبة الكتاب اليه :

ومما يؤكد صحة اسم الكتاب ونسبته الى الامام محمد الجواهري أن من ترجم له نص على اسم الكتاب إليه :

فقد ذكره البغدادي في (هدية العارفين) عند ترجمته له ضمن تصانيفه باسم : (اتحاف اللَّطِيف بِصِحَّة النّذر للموسر والشريف) [82] .

وافرده بالذكر ايضا مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي في كتابه (إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) بالقول : اتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف لإبن الجوهري ايضا [83] .

وذكر ايضا في خزانة الكتب الازهرية ، والفهرس الشامل للمخطوطات ، وخزانة التراث [84] .

أضافة لما تقدم يتضح صحة نسبة الكتاب (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) للإمام محمد بن احمد الجوهري الصغير اليه .

ثالثا : المنهج العام للمؤلف وموضوع الكتاب :

[82] ينظر : هدية العارفين (2/ 353)

[83] ينظر : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (3/ 20)

[84] ينظر : الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط – قسم الفقه واصوله المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلاميه – عمان الاردن (1420هـ-1999م) (1 / 40) وخزانة التراث قهرس مخطوطات قام باصداره مركز الملك فيصل ، السعودية بلا تاريخ ، الرقم التسلسلي (103437) فهرس المكتبة الازهرية (2 / 433- 498) .

موضوع الكتاب هو النذر ، والنذر في اللغة: " هو النحب ، أو هو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحبا واجبا، "

يقال: " نذر على نفسه لله كذا، ينذر، وينذر، نذرا ونذورا، كما يقال: أنذر وأنذر نذرا، إذا أوجبت على نفسك شيئا تبرعا، من عبادة أو صدقة، أو غير ذلك " [85] .

والنذر اصطلاحا: هو إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى بالقول شيئا غير لازم عليه بأصل الشرع [86] .

او هو :" أن يُلزم المكلّف نفسه بشيءٍ قربةً لله، لم يكن لازماً عليه شرعاً،"

ومن خلال متابعة اقوال الامام محمد الجوهري في كتابه هذا (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) تبين انه يؤكد على صحة النذر للاغنياء وميسوري الحال ونقل اقوال العلماء الشافعية على هذا الكلام ومما اورده في كتابه قولا :

---

[85] ينظر : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ (٥/ ٢٠٠) ، تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) مجمع اللغة العربية (1385 هـ – 1965 م) تحقيق : عبد الستار احمد فراج وآخرون (١٤ / ١٩٧) .

[86] ينظر : كشاف القناع للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي المتوفى سنة 1051 هـ عن متن الإقناع للامام موسى بن أحمد الحجاوي الصالحي المتوفي سنة 960 هـ ، قدم له الاستاذ الدكتور/ كمال عبد العظيم العناني ، تحقيق : أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى 1418 هـ – 1997 م (6 / 273) ، الشرح الصغير على أقرب المسالك ط عيسى الحلبي واولاده – مصر (2 / 249) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده بمصر 1377 هـ = 1958 م (4 / 354) ، الاختيار لتعليل المختار – عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: 683هـ) مطبعة الحلبي – القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية – بيروت، وغيرها) : 1356 هـ – 1937 م (4 / 76 – 77) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ) دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1406هـ – 1986م (5 / 82) .

- : "ولو نذر التصدق على اهل بلد معين تعينوا وان كانوا الفا او اغنياء او فقراء على ما صرح به من كلام الشيخين " .
- ونقل الامام الاوجه والمسائل والاقوال المؤيدة لموضع النذر والصدقة على الاغنياء والموسرين بقوله : " ولو نذر التصدق على ولده الغني كان يقول : ان شفى الله مريضي فعلي ان اتصدق على ولدي او على زيد الموسر لزمه ذلك " . ودليله على ذلك بقوله : " ان التصدق على الموسر والغني خير من النذر او التصدق على الكافر ، ..... " .

واورد مسألة اخرى : " لشخص قال لمريد التزوج بابنته : لله عليّ أن اجهزها بقدر مهرها مراراً ، فهو نذر تبرر لزمه ذلك " .وقال اذا علمت صحة النذر للذمي والغني والبنت ، فمثلهم الشريف والمطلبي [87] . وهكذا اورد الادلة على جواز ذلك .

---

[87] موضوع هذه المسالة في الفقه الشافعي ينظر : الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني– لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، 1419 هـ –1999 م (15/ 503) و حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء – محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقيّ، الملقب فخر الإسلام، المستظهري الشافعي (المتوفى: 507هـ) مؤسسة الرسالة / دار الأرقم – بيروت / عمان الطبعة: الأولى، 1980م المحقق: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة (3 / 18) . و الوسيط في المذهب لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار السلام – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1417 المحقق: أحمد محمود إبراهيم , محمد محمد تامر (7 / 260) . و الشرح الكبير – فتح العزيز شرح الوجيز – للامام الرافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / 1 (1417 هـ – 1997 م) تحقيق الشيخين : علي محمد معوض ، وعادل عبد الموجود (5 /510) . وفتاوى ابن الصلاح – عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ) مكتبة العلوم والحكم , عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، 1407 المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر (2 / 714) . و عمدة السالِك وَعدة النَّاسِك ، لأحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي، أبو العباس، شهاب الدين ابن النَّقِيب الشافعي (المتوفى: 769هـ) عُني بطبعِهِ وَمُراجَعَتِه: خَادِمُ العِلم عبدُ الله بن إبراهِيم الأنصَاري الشؤون الدينية، قطر الطبعة: الأولى، 1982 م (1 / 149) و فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع) لمحمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (المتوفى: 918هـ) بعناية: بسام عبد الوهاب

رابعاً : بيانات المخطوط (وصف النسخ الخطية)

استطعت بتوفيق الله تعالى الحصول على نسختين من النسخ الخطية لهذا الكتاب وهما النسخ الفريدة في العالم وموجدة حصرا في جمهورية مصر العربية – خزانة الكتب الازهرية

النسخة – أ –

وهي نسخة المكتبة الازهرية – القاهرة ، وقد جعلتها النسخة – أ – لانها تحمل حيازة مؤلف المخطوط الشيخ العلامة محمد الجوهري عليها وختمه وتوقيعه ، وكذلك وضوح كلماتها .

عنوان المخطوط:

اتحاف اللطيف بضمة النذر للموسر والشريف

المؤلف: ابن الجوهرى، أبو هادى محمد بن احمد بن حسن بن عبدالكريم الخالدى (سنة 1215 هـ).

القسم: فقه الإمام الشافعي

أوله: فهذه فوايد عديده وعوايد من نقولهم المفيده تتضمن صحه النذر المقيد للغنى والهاشمى والمطالبى...

الجابي الناشر: الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م (1 / 322) و الغرر البهية في شرح البهجة الوردية لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) الناشر: المطبعة الميمنية بدون طبعة وبدون تاريخ (5 / 209) و منهج الطلاب في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة: الأولى 1417هـ - 1997م (1 / 180) و حاشيتا قليوبي وعميرة المؤلف: أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: بدون طبعة، 1415هـ-1995م (4 / 289) وفتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: 1204هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ (5 / 325) وتحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: 1221هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م (4 / 362) .

آخره: اوان يحمد الله عقبا شربه انعقد او ان يجدد الوضوء عند مقتضيه فكذلك...

اللغة: عربى – الخط: نسخ

عدد الأوراق: 74 – عدد الأسطر: 82

القياس: 22 × 16

مصدر المخطوط: المكتبة الأزهرية

رقم المخطوط: (2170 فقه شافعى) 28917 السقا الرسالة رقم : 4.

النسخة – ب –

وهي نسخة للكتاب ضمن مجموعة رسائل وكتب الامام تبدأ (بمسالة الساجور) للمؤلف وينتهي المخطوط بكتاب (اتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) وتقع في (31 لوحة) ويقع كتاب (اتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) اخر المجموع من لوحة (28 – 31) .

الفن: فقه شافعي

عنوان المخطوط: اتحاف اللطيف بصحه النذر للموسر والشريف

اسم المؤلف: محمد بن احمد بن حسن, ابن الجوهري

اسم الشهرة: ابن الجوهري – اسم الشهرة: الجوهري الصغير

تاريخ الوفاة: 1215هـ – قرن الوفاة: 13هـ

اسم المكتبة: المكتبه الازهريه [نسخه في العالم]

اسم الدولة: مصر– اسم المدينة: القاهره

رقم الحفظ: [1005 مجاميع] امبابي 49093

خزانة التراث – فهرس مخطوطات الرقم التسلسلي: 103437

خامساً : منهجي في التحقيق :

منهجي في تحقيق كتاب (اتحاف اللطيف بضمة النذر للموسر والشريف) يتلخص في النقاط الآتية :

- قابلت النسخ التي تمكنت من الحصول عليها وقد جعلت النسخة (أ) أصلا للمقابلة , وعند حدوث خلل في الجمل أو الكلمات اخترت اللفظة الصحيحة والمناسبة التي يقتضيها سياق الجملة , وأشرت إلى المخالف في الهامش , وكذلك أشرت إلى مواضع السقط والزيادة في النسخ وميزت السقط والزيادة بقوسين [---] .
- قمت بضبط الآيات التي استشهد بها المؤلف , وأشرت إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية , وقد ميزت الآيات فكتبتها بخط النسخ وبلون غامق وجعلتها بين قوسين مزهرين بهذا الشكل { ---- }.
- خرجّت الأحاديث النبوية الشريفة , وآثار الصحابة الواردة من كتب الحديث المعتمدة ان وجدت , ونقلت أقوال العلماء في درجة صحتها وضعفها , وميزت هذه الأحاديث والآثار بخط غامق وجعلتها بين أقواس صغيرة بهذا الشكل ((-----)) .
- عند بداية او نهاية كل لوحة من نسخ المخطوطتين وضعت إشارة لذلك .
- قمت بتوثيق الأقوال والمسائل الفقهية من مصادرها المطبوعة والمخطوطة
- قمت بتوثيق القوال والمسائل المنسوبة لائمة المذاهب المتبوعة من الكتب الفقهية المعتمدة لتلك المذاهب .

- ذكرت في الهامش ما رايته ضرورياً من التعليقات المتممة والعبارات المناسبة من التفاسير والكتب الفقهية التي يقتضيها تفسر وتوضيح بعض المسائل .
- قمت بترجمة الأعلام الواردة في النص من غير المشهورين , وذكرت مصادر الترجمة أن وجدت , ولم أترجم للأعلام المشهورين كالنبي محمد ﷺ والخلفاء الراشدين وأئمة المذاهب الأربعة المشهورة والمتبوعة لعدم الحاجة إلى ذلك .
- ترجمت للكتب التي وردت في النص المحقق وأشرت إلى مصادر الترجمة أن وجدت .
- شرحت بعض العبارات والمصطلحات الفقهية التي تحتاج إلى الشرح مستعيناً بكتب المعاجم اللغوية والفقهية .

سادساً : صور المخطوطات

نسخة – أ –







نسخة – ب –





القسم الثاني : النص المحقق

إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف

لعلامة الزمان وفريد العصر والاوان [شيخنا العلامة سيدي محمد الجوهري] [88] اطال الله بقاؤه

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين] [89]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى اله وصحبه أجمعين

وبعد :

فهذه فوائد عديدة ، وعوائد من نقولهم المفيدة ، تتضمن صحة النذر المقيد للغني والهاشمي والمطلبي ، وسميتها (إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف) فقلت وبه أستعين :

قال في الروضة ما نصه : " فرع هل يجب تبييت النية في الصوم المنذور، أم تكفي نيته قبل الزوال؟ يبنى ذلك على أنه إذا التزم عبادة بالنذر وأطلقها، فعلى أي شئ ينزل نذره ؟ فيه قولان مأخوذان من معاني كلام الشافعي رحمه الله.

أحدهما: ينزل على أقل واجب من جنسه يجب بأصل الشرع، لان المنذور واجب، فجعل كواجب بالشرع ابتداء.

---

(88) وفي نسخة (ب) الشيخ محمد الجوهري .

(89) نهاية لوحة 76 – أ – من نسخة – أ –

والثاني : ينزل على أقل ما يصح من جنسه. وقد يقال: على أقل جائز الشرع، لان لفظ الناذر لا يقتضي التزام زيادة عليه. وهذا الثاني، أصح عند الامام، والغزالي، ولكن الأول أصح، فقد صححه العراقيون، والروياني، وغيرهم " [90] .

وقال في كتاب الرجعة منها : " المختار أنه لا يختار ترجيح واحد من القولين ، بل يختلف الراجح منهما بحسب المسائل لظهور دليل أحد الطرفين في بعضها وعكسه في بعض " [91] انتهى .

وصوبه في المجموع وقال فيها : " ولو نذر أن يصلي ركعتين على الأرض مستقبل القبلة لم يجز فعلهما على الراحلة ، ولو نذر فعلهما على الراحلة فله فعلهما على الأرض مستقبل القبلة ، وإن أطلق فعلى أيهما يحمل فيه خلاف مبني على هذا الأصل " [92] أنتهى .

وقال فيها ايضا : " ولو نذر أن يصلي قاعدا جاز القعود قطعا كما لو صرح بنذر ركعة اجزأته قطعا ، فإن صلى قائما فهو أفضل " [93] .

وقال أيضاً : " ولو نذر صوم رمضان في السفر فوجهان :

---

[90] ينظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) تحقيق: زهير الشاويش – المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان – الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م (3/ 306)

[91] وهذا نصه في الروضة : قُلْتُ: الْمُخْتَارُ مَا اخْتَارَهُ الرَّافِعِيُّ، أَنَّهُ لَا يُطْلَقُ تَرْجِيحٌ، وَنَظِيرُهُ الْقَوْلَانِ فِي أَنَّ النَّذْرَ يُسْلَكُ بِهِ مَسْلَكَ وَاجِبِ الشَّرْعِ، أَمْ جَائِزِهِ، وَأَنَّ الْإِبْرَاءَ إِسْقَاطٌ أَمْ تَمْلِيكٌ؟ وَيَخْتَلِفُ الرَّاجِحُ بِحَسَبِ الْمَسَائِلِ، لِظُهُورِ دَلِيلِ الطَّرَفَيْنِ فِي بَعْضِهَا، وَعَكْسُهُ فِي بَعْضٍ. – وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ينظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين (8/ 223)

[92] واصل الكلام في المجموع : لَوْ نَذَرَ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ لَمْ يَجُزْ فِعْلُهُمَا عَلَى الرَّاحِلَةِ وَلَوْ نَذَرَ فِعْلُهُمَا عَلَى الرَّاحِلَةِ فَلَهُ فِعْلُهُمَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْتَقْبِلًا وَإِنْ أَطْلَقَ فَعَلَى أَيِّهِمَا يُحْمَلُ فِيهِ خِلَافٌ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . –

ينظر : المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار الفكر(طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي) (8/ 464)

[93] واصل الكلام في المجموع : وَلَوْ نَذَرَ أَنْ يُصَلِّيَ قَاعِدًا جَازَ الْقُعُودُ قَطْعًا كَمَا لَوْ صَرَّحَ بِنَذْرِ رَكْعَةٍ فَإِنَّهَا تُجْزِئُهُ بِلَا خِلَافٍ فَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَهُوَ أَفْضَلُ – ينظر : المجموع شرح المهذب (8/ 464)

(أحدهما) : وبه قطع الغزالي في الوجيز ونقله إبراهيم المروذي عن عامة الأصحاب لا ينعقد نذره ، وله الفطر لأنه التزام يبطل رخصة الشرع .

(والثاني) وهو اختيار القاضي حسين وصاحب التهذيب إنعقاده ولزم الوفاء به كسائر [94] المستحبات " [95] انتهى .

وقال في الروض وشرحه [96] ما نصه : " فرع : وسلك بالنذر مسلك واجب الشرع ابتداء لاشتراكهما في الوجوب لا مسلك جائزه إلا ما يأتي استثناؤه في الباب مما قوي دليله على دليل الأول وقد نبه عليه كأصله في باب الرجعة أيضا " [97] انتهى .

وكتب عليه الشهاب الرملي ما نصه : " ويسلك بالنذر مسلك واجب الشرع أي غالباً " [98] انتهى

وكتب ايضاً ما نصه : " لو نذر التصدق على أهل بلد معين لزمه ، وشمل ما لو كانوا أغنياء أو فقراء أو أغنياء وفقراء؛ لأن الصدقة على الأغنياء قربة " [99] انتهى .

---

[94] نهاية لوحة 28 – أ – من نسخة – ب –

[95] واصل الكلام في المجموع : وَلَوْ نَذَرَ صَوْمَ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ فَوَجْهَانِ
(أَحَدُهُمَا) وَبِهِ قَطَعَ الْغَزَالِيُّ فِي الْوَجِيزِ وَنَقَلَهُ إبْرَاهِيمُ الْمَرْوَرُوذِيُّ عَنْ عَامَّةِ الْأَصْحَابِ لَا يَنْعَقِدُ نَذْرُهُ وَلَهُ الْفِطْرُ لِأَنَّهُ الْتِزَامٌ يُبْطِلُ رُخْصَةَ الشَّرْعِ (وَالثَّانِي) وَهُوَ اخْتِيَارُ الْقَاضِي حُسَيْنٍ وَالْبَغَوِيِّ يَنْعَقِدُ وَيَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ كَسَائِرِ الْمُسْتَحَبَّاتِ . – ينظر : المجموع شرح المهذب (8/ 454)

[96] نهاية لوحة 76 – ب – من نسخة أ –

[97] قال الشيخ زكريا الانصاري في اسنى المطالب في شرح روض الطالب : (فَرْعٌ وَيَسْلُكُ بِالنَّذْرِ مَسْلَكَ وَاجِبِ الشَّرْعِ) ابْتِدَاءً لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْوُجُوبِ (لَا) مَسْلَكَ (جَائِزِهِ) إلَّا مَا يَأْتِي اسْتِثْنَاؤُهُ فِي الْبَابِ مِمَّا قَوِيَ دَلِيلُهُ عَلَى دَلِيلِ الْأَوَّلِ وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ كَأَصْلِهِ فِي بَابِ الرَّجْعَةِ أَيْضًا –
ينظر : أسنى المطالب في شرح روض الطالب ، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) دار الكتاب الإسلامي ، بدون طبعة وبدون تاريخ (1/ 579) .

[98] أسنى المطالب في شرح روض الطالب(1/ 579)

[99] أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/ 580)

وقال في العباب وشرحه للعلامة ابن حجر ما نصه : " ولو نذر التصدق بكذا واطلق لم يجزه صرفه لكافر او عبد او مستولدة ،كما في الانوار ، وهو ظاهر [100] ،

وان قال : نذرت التصدق على اهل الذمة ففي لزومه وجهان في الجواهر عن ابن الصلاح انه رأهما بخط الشيخ ابي محمد " [101] .

والذي يتجه ترجيحه منهما أنه يلزمه لان على الكافر مندوب .

ثم رأيت قول القفال الآتي : " [لو] [102] نذر التصدق على اهل الذمة [103] جاز أبدالهم بالمسلمين وهو صريح فيما [رجحته] [104] لأن جواز الابدال فرع صحة النذر ولا ينافي ذلك ما صرح به القاضي وغيره من انه لا يجوز وضع المنذور في اهل الذمة لان ذلك في منذور مطلق " .

ثم قال : " فصل : ينزل مطلق النذر على اقل واجب من جنسه شرعا لاشتراكهما في الوجوب ، وهذا هو الاصل والغالب والا فقد استثنوا مسائل سلكوا بها مسلك الجائز لقوة دليلها كما ياتي بعض ذلك

---

[100] ينظر : العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والاصحاب للامام صفي الدين ابي السرور احمد بن عمر بن محمد المذحجي الزبيدي الشافعي الشهير بالمزجد (ت 930 هـ) اعتنى به مهند تيسير خذها – دار المنهاج – لبنان بيروت – ط / 1 ، 2011 م (1 / 577)
ومخطوط الايعاب الايعاب شرح العباب للمزجد ، للامام ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد ، نسخة خطية برقم 5541 تاريخ النسخ 1316هـ ينظر : لاعلام 1 : 223 ، الازهرية 2 : 45

[101] ينظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م (6/ 255)

[102] غير واضحة في نسخة ب بسبب الختم وسط المخطوط وهو ما اثبتناه من نسخة – أ – .

[103] نهاية لوحة 77 – أ – نسخة – أ –

[104] غير واضحة في نسخة – ب – بسبب الختم وسط المخطوط واثبتناه من نسخة – أ –

ثم قال في الروضة : " المختار أنه لا يطلق ترجيح واحد من الوجهين بل يختلف الراجح بحسب المسائل لظهور احد الوجهين وصوبه في المجموع " [105].

ومما لم يسلكوا به مسلك الواجب الاعتاق لتشوق الشارع اليه لا بقيد ، والصلاة المنذورة فانه لا يؤذن لها قطعا لانتفاء المقصود الاصلي من الاذان وهو الاعلام ، ولا يقتل تاركها كما مرّ أحتياطاً لحقن الدماء ، وبهذا الذي وجهت به هاتين المسألتين يظهر لك انه لا يخرج بالنذر عن واجب الشرع الا اذا قوي المعنى المخرج عنه [106] والا بقى على اصله فمن ذلك الصلاة لمن نذر صلاة وأطلق بان لم يقيد بزمن ولا عدد لزمه ركعتان ، ولا يجزيه صلاة جنازة ولا سجدة تلاوة او شكر كالركعة [بل أولى] [107] وخرج [بأطلاق] [108] ما اذا قيد بعدد فيتعين وكذا الوقت [على المعتمد] [109] من أضطراب وقع للشيخين فلا يجوز قبله ، فان أخر بلا عذر أثم والا فلا ، ويقضي مطلقاً ، وكذا لو عين زمنا للصوم او الحج ثم قال : لو عين للصدقة وقتاً لم يتعين أعتبارا بما ورد به الشرع من جنسها وهو الزكاة فيجوز تقديمها عليه .

قال في المجموع : " عن الصيدلاني بلا خلاف وكذا تأخيرها عنه كما اقتضاه كلامهم لكن استبعده الاذرعي [110] ، قال : بل الوجه يحرم عليه .

---

[105] واصل الكلام في الروضة : قُلْتُ: الْمُخْتَارُ مَا اخْتَارَهُ الرَّافِعِيُّ، أَنَّهُ لَا يُطْلَقُ تَرْجِيحٌ، وَنَظِيرُهُ الْقَوْلَانِ فِي أَنَّ النَّذْرَ يُسْلَكُ بِهِ مَسْلَكَ وَاجِبِ الشَّرْعِ، أَمْ جَائِزِهِ، وَأَنَّ الْإِبْرَاءَ إِسْقَاطٌ أَمْ تَمْلِيكٌ؟ وَيَخْتَلِفُ الرَّاجِحُ بِحَسَبِ الْمَسَائِلِ، لِظُهُورِ دَلِيلِ الطَّرَفَيْنِ فِي بَعْضِهَا، وَعَكْسُهُ فِي بَعْضٍ. – وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ينظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين (8/ 223)

[106] نهاية لوحة 77 – ب – من نسخة – أ – ، ونهاية لوحة 28 – ب – من نسخة –ب –

[107] غير واضحة من نسخة – ب – ويمكن ان تكون (بل أولي) او (بلا أولى) والصحيح ما اثبتناه من نسخة – ب

[108] وفي النسختين باطلق – ربما تكون بأطلاق .

[109] كلام في الحاشية من نسخة – أ – واثبتناه من – ب –

[110] ينظر :المجموع شرح المهذب (6/ 8)

ثم قال في العباب وشرحه : " ومن ذلك الصدقة ومرّ قريبا انه لوعين لها زمناً لم يتعين اعتباراً بما ورد به الشرع من جنسها وهو الزكاة فيجوز تقديمها عليه لا تأخيرها عنه على ما فيه ، فأن قال : لله عليّ صدقة وأطلق أو قال : لله عليّ التصدق بشيْ او بمال عظيم كما قاله القاضي ابو الطيب أجزأه متمول لا غيلا متمول " [111]

ثم قال في [112] [الشرح] [113] : " وسكت عمن يجب صرف الصدقة اليه ، وصرح ابن سراقة بانه يجب صرفها لمساكين المسلمين وكذا الصيمري حيث قال : لو [نذر] [114] التصدق بمائة درهم لم يكف التصدق بها على كافر ولا عبد ولا أم ولد لان ذلك واجب فاشبه الزكاة والكفارة ويوافق ذلك تصريح القاضي المروذي انه لا يجوز وضع المنذور في أهل الذمة ، ثم قال : " والاوجه تعيين الفقراء والمساكين وأن اقتضى البناء والتشبيه بالزكاة انه يعم اصنافها لان الغالب في الصدقة المطلقة انصرافها اليهم عرفا وفعلا فحمل لفظها على ذلك "

ثم قال : " أو قال لله عليّ أو ان شفي مريضي فلله عليّ أن اتصدق على زيد بدرهم لزمه حالا في الاولي وبعد الشفاء في الثانية التصدق عليه وان كان غنيا كما رجع اليه القاضي اخر ، قال : لان الصدقة على الغني والولد قربة فيجوز التزامه بالنذر " [115] .

ومنه يعلم انه لو نذر التصدق على اهل بلد معين تعينوا وان كانوا الفاً أو اغنياء على ما يصرح به كلام الشيخين كالبغوي الى آخر ما قال .

---

[111] ينظر :تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي – لاحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد – 1357 هـ – 1983 م (10/ 70)

[112] نهاية لوحة 78 – أ – من نسخة – أ –

[113] وفي ب : الشر

[114] غير واضحة في نسخة – ب – بسبب الختم وسط اللوحة .

[115] ينظر : منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه – للامام النووي ، مطبوع بالمطبعة الميمنية – مصر طبع احمد البابي الحلبي (1308 هـ) (ص: 333) وتحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (10/ 72) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (6/ 233) حاشيتا قليوبي وعميرة (4/ 289) حواشي الشرواني والعبادي (10/ 72)

ثم قال : " لو عيّن شيئاً للصدقة كالله عليّ [116] أن أتصدق بهذا لم يجز ابداله ولو [117] بأفضل منه لتعلق الحق بعينه ، وقد يكون اطيب لخلوه [عن الشبهة] [118] اكثر وكذا لو عين محلا ولو غير مكة للصدقة فان [فقراءه] [119] يتعينون كما لو عين فقيرا لها فانه يتعين ولا يجوز ابداله ولو بأفقر وافضل منه وكالفقير في ذلك ما في معناه من كل وصف يقصد التقرب به فيما يظهر وذلك كله معلوم من أطراف كلامه ، ولو عينّ فقيراً لزكاته أو نذره المطلق لم يتعين على المذهب " أنتهى .

ثم قال : " أو نذر التصدق على ولده الغني مثلاً كأن قال : " ان شفى الله مريضي فعليّ أن اتصدق على ولدي او زيد الموسر لزمه ، لان التصدق مع ذلك قربة " .

فان قلت : ما ذكره في الغني هنا ينافيه قوله السابق ايضاً : ان كان فقيرا لا تلزمه نفقته ، قلت : " فرق بين ان يتعرض في نذره لوصف الغنا وبين ان يطلق ، ففي الاول يعمل بوصفه لان اعتبره وهو غير مناف لما قصده لانه اعتبره وهو غير مناف لما قصده فلم يسغ [120] الغاؤه " انتهى [121] .

---

[116] نهاية لوحة 78 – ب – من نسخة – أ –

[117] نهاية لوحة 29 – أ – من نسخة – ب – مع ملاحظة كل لوحتين من نسخة – أ – تعادل لوحة واحدة من نسخة – ب –

[118] في نسخة – أ – : من الشبهة ، وفي نسخة – ب – عن الشبهة .

[119] وفي النسختين فقراه

[120] نهاية لوحة 79 – أ – من نسخة – أ –

[121] ينظر :الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني– لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، 1419 هـ –1999 م (15/ 503)

وقال الشمس الرملي في [شرح] [122] المنهاج ما نصه : " وله فيما اذا عين اهل الذمة أو اهل البدعة ابدال كافر أو ..... بمسلم أو ..... لا درهم بدينار ولا موسر عينه بفقير لانهما مقصودان " [123] انتهى .

وكتب عليه [ع ش][124] قوله : " ولا موسر لعل وجه تعيين الدفع للموسر وجواز العدول عن الكافر والمبتدع للمسلم والسني ، ان التصدق عليهما قد يكون سببا لبقائهما على الكفر والبدعة بخلاف التصدق على الموسر فانه لا يترتب عليه شيء "[125] انتهى .

وقال بعد ذلك ما نصه : " مرّ أنه لو نذر لذمي أو .... جاز صرفه لمسلم او سني وعليه فلو اقترض من ذمي ونذر له بشيء ما دام دينه في ذمته انعقد نذره لكن يجوز دفعه لغيره من المسلمين فتفطن له فانه دقيق " .

وقال قيل ذلك ما نصه : " ومن ذلك ما وقع السؤال عنه من ان شخصاً قال لمريد التزويج بانبته : لله عليّ ان اجهزها بقدر مهرها مرارا فهو نذر تبرر فيلزمه ذلك واقل المرار ثلاث مرات [126] زيادة على مهرها " [127] انتهى . ولم يقيد بكونها فقيرة أو غنية تلزمه نفقتها او لا فعلم من ذلك كله الفرق بين النذر المطلق والمقيد ، وانه يجوز النذر لمن لم تجز له الزكاة بخصوصه .

---

[122] وفي كلا النسختين لفظ (شر) والمراد بها شرح وضعها بصيغة الاختصار .

[123] ينظر :نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للامام الرملي (8 / 320)

[124] راجع اطروحتنا للدكتوراه (المهمات في شرح الرافعي والروضة للامام الاسنوي (ت 772 هـ) من بداية الكتاب الى الى باب الاواني دراسة وتحقيق – وليد منفي عبد ظاهر الخليفاوي – اطروحة مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاسلامية – الجامعة العراقية – لنيل شهادة الدكتوراه – اشراف الدكتور حوري ياسين حسين – 2011 م (ص 178) (ابرز اختصارات متأخري الشافعية) .

[125] ينظر : حاشية أبي الضياء نور الدين بن علي الشبراملسي الأقهري (1087هـ) على نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للامام الرملي (8 / 320)

[126] نهاية لوحة 79 – ب – من نسخة – أ –

[127] ينظر : نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للامام الرملي (8 / 320)

أما على انه يسلك بالنذر [128] مسلك جائز الشرع فظاهر ، واما على انه يسلك به مسلك واجبه فلان محله في النذر المطلق كأن يقول لله عليّ ان اتصدق بكذا وأما المقيد فالشرط فيه ان يكون المنذور قربة بأصل الشرع وحينئذ لا يسلك فيه مسلك الواجب بل يتبع فيه قول الناذر الا ما أستثنى من مسالة الذمي والمبتدع فأنه يجوز أبدالهما كما تقدم [129] .

اذا علمت ذلك علمت صحة النذر للذمي والغني والبنت كما ترشد اليه عبارات الروضة وشرحي الروض والعباب وتصرح به عبارة [ش م ر] [130] في أهل الذمة وعبارة والده في الاغنياء [ع ش] في الذمي والموسر والبنت مع انهم لا تجوز عليهم الزكاة ومثلهم الشريف والمطلبي [131] من باب ان لا فارق .

فأن قلت : لعل الفارق أن المانع فيه أقوى لكونه ذاتياً لا يمكن أنفكاكه عنه .

بخلاف أولئك فأن المانع فيهم ليس بقوي لامكان انفكاكه ، اذ الغني والكفر ووجوب الانفاق على البعض يمكن تخلفه كما هو واضح .

قلت : لا نسلم ذلك بل المانع فيهم أقوى بدليل أنه لم يختلف في مانع هو لا عند تحققه ، بخلاف مانعه وهو كونه من ذوي القربى فأنه اختلف فيه عند منع استحقاقه في خمس الخمس حتى قال الاصطخري وغيره من أئمتنا بجواز أخذه من الزكاة حينئذ .

---

[128] نهاية لوحة 29 – ب – من نسخة – ب –

[129] ينظر : كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار ابو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: 829هـ) مطبعة الشؤون الدينية بقطر (ص: 545) و الغرر البهية في شرح البهجة الوردية – لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) المطبعة الميمنية– البهجة الوردية في الفقه – للإمام المحقق والحبر المدقق أبي حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس الوردي (5/ 212) .

[130] ش م ر : هذه توضع في بداية المخطوط علامات واشارات واختصارات المؤلف رحمه الله تعالى

[131] ينظر : نهاية لوحة 80 – أ – من نسخة – أ –

قال في الروضة : " ولو انقطع خمس الخمس عن بني هاشم وبني المطلب لخلو بيت المال عن الفيء والغنيمة او لاستيلاء الظلمة عليهما لم يعطوا الزكاة على الاصح الذي عليه الاكثرون وجوزه الاصطخري واختاره القاضي ابو سعيد الهروي ومحمد ابن يحيى رحمهم الله تعالى " [132] انتهى .

اذا علمت ذلك بتحقيقه علمت ضعف ذلك الفارق [والغاؤه] [133] واتحاد الحكم في الجميع فتأمله ، واما قول [134] ع ش في مسالة النذر بالدين ما نصه : " ومحل الصحة حيث نذر لمن ينعقد نذره له بخلاف ما لو نذر لاحد بني هاشم والمطلب فلا ينعقد لحرمة [الصدقة] [135] الواجبة كالزكاة والنذر والكفارة عليهم فمحل نظر لا سيما مع ما قدمه من صحة النذر للذمي والبنت الموسر ، وليت شعري ما الفرق بين هؤلاء وبين الشريف حيث لم يسلك بالنذر لهؤلاء مسلك واجب الشرع وسلك في النذر له مسلك واجبه [136] وهل هذا الا تحكم بحت فلعله انتقل نظره من النذر المقيد الى المطلق فحكم كحكمه للمقيد فليتامل وليحرر بنقل يعتمد عليه .

فأن قلت : أليس قد نص عليه ع ش ، قلنا مثل ذلك لاسيما اشتماله على شبه بالتناقض غير كاف في أمثال هذه المباحث فلابد من نقل صريح عمن بلغ درجة الافتاء بأن يكون مجتهد فتوى كشيخ الاسلام زكريا وتلميذه الشهاب الرملي والعلامة ابن حجر والشمس الرملي ومن تقدمهم من مجتهدي الفتوى ، ومما يؤيد [137] ذلك ان العلامة ابن حجر في التحفة والعلامة الرملي في شرحه لما ذكر مسألة النذر لمن له الدّين لم يقيد بذلك [138] ، ونص عبارة الاول .

---

[132] ينظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين (2/ 322)

[133] وفي نسخة – أ – : والغاه .

[134] نهاية لوحة 80 – ب – من نسخة – أ –

[135] وفي ب : الصدقة عليهم .

[136] نهاية لوحة 30 – أ – من نسخة – ب –.

[137] نهاية لوحة 81 – أ – من نسخة – أ –

[138] ينظر : تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي – لاحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (10/ 70) نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للامام الرملي (8 / 320)

تنبيه : اختلف مشايخنا في نذر مقترض مالاً معيناً لمقرضه كل يوم مادام دينه في ذمته ، قال بعضهم : لا يصح ، لأنه على هذا الوجه الخاص غير قربة بل يتوصل به الى ربا النسيئة .

وقال بعضهم : يصح ، لأنه في مقابلة حدوث نعمة ربح القرض أن انجز فيه او اندفاع نقمة المطالبة ان احتاج لبقائه في ذمته لإعسار او انفاق ولأنه ليس للمقترض أن يرد زيادة عما أقترضه فإذا التزمها بنذر انعقد ولزمه فهو احسان لا وصلة للربا اذ هو لا يكون الا في عقد كبيع ومن ثم لو شرط عليه النذر في عقد القرض كان ربا " [139] انتهى .

وقد يجمع بحمل الاول على ما اذا قصد أن نذره ذلك في مقابلة الربح الحاصل له ، والثاني : على ما اذا جعله في مقابلة حصول النعمة او اندفاع النقمة المذكورين ويتردد النظر [140] في حالة الاطلاق والاقرب الصحة لان اعمال كلام المكلف حيث كان له محمل صحيح خير من أهماله .

وما مرّ عن القفال في ان [جامعتني] [141] والحاصل بعده يؤيد ما ذكرته من الجمع فتأمله .

ونص عبارة الثاني : وقد اختلف من أدركناه من العلماء في نذر من اقترض شيئاً لمقرضه كل يوم ما دام دينه او شيء منه في ذمته ، فذهب بعضهم لعدم صحته لانه على هذا الوجه الخاص غير قربة بل يتوصل به الى ربا النسيئة .

وذهب بعضهم وأفتى به الوالد رحمه الله تعالى الى صحته ، لانه في مقابلة ربح المقرض أو اندفاع نقمة المطالبة ان احتاج الى بقائه في ذمته لارتفاق ونحوه لانه يسنّ للمقترض ردّ زيادة عما أقترضه [142] فأذا التزمها ابتداءً بالنذر

---

[139] ينظر : تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي – لاحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (10/ 79)

[140] نهاية لوحة 81 – ب – من نسخة – أ –

[141] في المخطوط وفي كلا النسختين (حا منعني) والصحيح ما اثبتناه من تحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي (10 / 79) وهو قوله في التحفة (وَالثَّانِي عَلَى مَا إذَا جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ حُصُولِ النِّعْمَةِ أَوْ انْدِفَاعِ النِّقْمَةِ الْمَذْكُورَيْنِ وَيَتَرَدَّدُ النَّظَرُ فِي حَالَةِ الْإِطْلَاقِ وَالْأَقْرَبُ الصِّحَّةُ؛ لِأَنَّ إعْمَالَ كَلَامِ الْمُكَلَّفِ حَيْثُ كَانَ لَهُ مَحْمَلٌ صَحِيحٌ خَيْرٌ مِنْ إهْمَالِهِ وَمَا مَرَّ عَنْ الْقَفَّالِ فِي إنْ جَامَعْتنِي وَالْحَاصِلُ بَعْدَهُ يُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْته مِنْ الْجَمْعِ فَتَأَمَّلْهُ).

[142] نهاية لوحة 30 – ب – من نسخة – ب –

لزمته فهو حينئذ مكافأة أحسان لا وصلة للربا أذ هو لا يكون الا في عقد كبيع ، ومن ثم لو شرط عليه النذر في عقد القرض كان ربا ، وذهب بعضهم الى الفرق بين مال اليتيم وغيره ولا وجه له [143] .

ولو اقتصر على قوله في نذره ما دام مبلغ القرض في ذمته ثم دفع المقترض شيئاً منه بطل حكم النذر لانقطاع حكم الديمومة " [144] انتهى بالحرف .

وأنت كما تراها لم يقيدا بمن تجوز له الزكاة ولو كان ذلك القيد معتبرا لقيد به لكنه قد علم مما سلف ان محل [المنع] [145] هو النذر المطلق لا المقيد الذي ما نحن فيه فليتأمل وليراجع وليحرر .

خاتمة

قال في متن المنهاج وشرحه للعلامة الرملي ما نصه : " والصحيح أنعقاد النذر بكل قربة لا تجب أبتداءً كعيادة المريض تندب أعادته وتشييع جنازة والسلام أبتداءً حيث شرع ، وجواباً ما لم يتعين لما مرّ في فرض الكفاية وسواء في ذلك غيره ونفسه عند دخول بيت خال لان الشارع رغبّ فيها ، والعبد يتقرب فهي كالعبادات [146].

والثاني : المنع ، لانها ليستا على أنواع العبادات ومما ينعقد به تشميت عاطس وزيارة قادم وتعجيل مؤقته أول وقتها ولم يعارض ذلك معارض مما مرّ لان الشارع رغب فيها فكانت [147] كالعبادات البدنية وتصدق ميت او قبره ، ولم يرد تمليكه وأطرد العرف بأن ما يحمل له يصرف على نحو فقرأ هناك فأن لم يكن عرف بطل ، وخرج بلا تجب أبتداءً

---

[143] نهاية لوحة 82 – أ – من نسخة – أ –

[144] ينظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (8/ 223)

[145] وفي نسخة – أ – كلام ممسوح وتمت معالجته وكتب فوقه كلمة المنع وهي صحيحة كما في نسخة – ب

[146] ينظر : منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه (ص: 335) .

[147] نهاية لوحة 82 – ب – من نسخة – أ –

ما وجب جنسه شرعا كصلاة وصوم وصدقة وعتق وحج فيجب بالنذر قطعا ، ويعتبر زيادة في الضابط ايضاً وهو انه لا يبطل رخصة الشرع ليخرج نذر عدم الفطر في السفر من رمضان ونذر الاتمام فيه اذا كان الافضل الفطر فانه لا ينعقد .

ولو قال : ان شفي الله مريضي فعليّ تعجيل زكاة مالي لم ينعقد ، أو نذر الاعتكاف صائماً لزماه جزماً او قراءة الفاتحة أذا عطس أنعقد ، وأن لم يكن به عله فأن عطس نحو ركوع [قرأها] [148] بعد صلاته أو في القيام قراها حالا اذ تكريرها لا يبطلها وأن يحمد الله عقب شربه أنعقد أو ان يجدد الوضوء عند مقتضيه فكذلك " [149] انتهى .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الآمي وعلى اله وصحبه وسلم تسليما [150]

---

[148] وفي نسخة – ب –: قرأهما .

[149] قال الامام الرملي في نهاية المحتاج : " (وَالصَّحِيحُ) انْعِقَادُ النَّذْرِ بِكُلِّ قُرْبَةٍ لَا تَجِبُ ابْتِدَاءً) (كَعِيَادَةٍ) لِمَرِيضٍ تُنْدَبُ عِيَادَتُهُ (وَتَشْيِيعُ جِنَازَةٍ وَالسَّلَامُ) ابْتِدَاءً حَيْثُ شُرِعَ
وُجُوبًا مَا لَمْ يَتَعَيَّنْ لِمَا مَرَّ فِي فَرْضِ الْكِفَايَةِ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ وَنَفْسُهُ عِنْدَ دُخُولِ بَيْتٍ خَالٍ، لِأَنَّ الشَّارِعَ رَغَّبَ فِيهَا وَالْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ بِهَا فَهِيَ كَالْعِبَادَاتِ.
وَالثَّانِي الْمَنْعُ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى أَوْضَاعِ الْعِبَادَاتِ. وَمِمَّا يَنْعَقِدُ بِهِ تَشْمِيتُ عَاطِسٍ وَزِيَارَةُ قَادِمٍ وَتَعْجِيلُ مُؤَقَّتَةٍ أَوَّلَ وَقْتِهَا وَلَمْ يُعَارِضْ ذَلِكَ مُعَارِضٌ مِمَّا مَرَّ لِأَنَّ الشَّارِعَ رَغَّبَ فِيهَا فَكَانَتْ كَالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَتَصَدُّقٍ عَلَى مَيِّتٍ أَوْ قَبْرِهِ وَلَمْ يُرِدْ تَمْلِيكَهُ وَاطَّرَدَ الْعُرْفُ بِأَنَّ مَا يُحْمَلُ لَهُ يُصْرَفُ عَلَى نَحْوِ فُقَرَاءَ هُنَاكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عُرْفٌ بَطَلَ وَخَرَجَ بِلَا تَجِبُ ابْتِدَاءً مَا وَجَبَ جِنْسُهُ شَرْعًا كَصَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَصَدَقَةٍ وَعِتْقٍ وَحَجٍّ فَيَجِبُ بِالنَّذْرِ قَطْعًا، وَيُعْتَبَرُ زِيَادَةٌ فِي الضَّابِطِ أَيْضًا وَهُوَ أَنْ لَا يُبْطِلَ رُخْصَةَ الشَّرْعِ لِيُخْرِجَ نَذْرَ عَدَمِ الْفِطْرِ فِي السَّفَرِ مِنْ رَمَضَانَ وَنَذْرَ الْإِتْمَامِ فِيهِ إذَا **كَانَ** الْأَفْضَلُ الْفِطْرَ فَإِنَّهُ لَا يَنْعَقِدُ، وَلَوْ قَالَ إنْ شَفَى اللَّهُ مَرِيضِي فَعَلَيَّ تَعْجِيلُ زَكَاةِ مَالِي لَمْ يَنْعَقِدْ، أَوْ نَذَرَ الِاعْتِكَافَ صَائِمًا لَزِمَاهُ جَزْمًا، أَوْ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ إذَا عَطَسَ انْعَقَدَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ عِلَّةٌ، فَإِنْ عَطَسَ فِي نَحْوِ رُكُوعٍ قَرَأَهَا بَعْدَ صَلَاتِهِ، أَوْ فِي الْقِيَامِ قَرَأَهَا حَالًا إذْ تَكْرِيرُهَا لَا يُبْطِلُهَا، أَوْ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَقِبَ شُرْبِهِ انْعَقَدَ، أَوْ أَنْ يُجَدِّدَ الْوُضُوءَ عِنْدَ مُقْتَضِيهِ فَكَذَلِكَ. ينظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (8/ 235)

[150] نهاية لوحة 83 – أ – من نسخة – أ –

قال مؤلفه أطال الله بقاؤه : " وقد تمّ في سويعة من يوم الاحد المبارك سادس شهر الحجة الحرام الذي هو ختام سنة الف ومائة وسبعة وتسعين ، أحسن الله ختامها على المسلمين " [151]

[ونقلت هذه من مسودة المؤلف ثاني عشر الحجة عام التأليف والله اعلم] [152]

المصادر والمراجع

1. الاختيار لتعليل المختار– عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: 683هـ) مطبعة الحلبي – القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية – بيروت، وغيرها) : 1356 هـ – 1937 م .
2. أسنى المطالب في شرح روض الطالب ، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) دار الكتاب الإسلامي ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
3. الاعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي (ت 1976 م) دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / 5 ، (2002 م) .
4. ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لاسماعيل باشا البابانى البغدادي (ت 1339 هـ) طبع بعناية محمد شرف الدين و رفعت بلكيه ، منشورات مكتبة المثنى – بغداد .
5. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ) دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

---

[151] الى هنا نهاية لوحة 31 – أ – من نسخة – ب –

[152] كلام من أضافة النساخ الى نسخة – أ –

6. تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) مجمع اللغة العربية (1385 هـ - 1965 م) تحقيق : عبد الستار احمد فراج وآخرون.

7. تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: 1221هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م .

8. تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي - لاحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد - 1357 هـ - 1983 م .

9. حاشية أبي الضياء نور الدين بن علي الشبراملسي الأقهري (1087هـ) على نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للامام الرملي .

10. حاشيتا قليوبي وعميرة المؤلف: أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: بدون طبعة، 1415هـ-1995م .

11. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني- لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1999 م .

12. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، لعبد الرزاق بن حسن البيطار الدمشقي (ت 1335 هـ) حققه : محمد بهجت البيطار ، دار صادر ، بيروت ط / 2 ، 1993 م .

13. حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء – محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقيّ، الملقب فخر الإسلام، المستظهري الشافعي (المتوفى: 507هـ) مؤسسة الرسالة / دار الأرقم – بيروت / عمان الطبعة: الأولى، 1980م المحقق: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة .

14. خزانة التراث قهرس مخطوطات قام باصداره مركز الملك فيصل ، السعودية بلا تاريخ ، الرقم التسلسلي (103437) .

15. روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) تحقيق: زهير الشاويش – المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان – الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م .

16. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لابي الفضل السيد محمد افندي بن علي بن محمد المرادي الحنفي (ت 1206 هـ) دار البشائر الاسلامية ودار ابن حزم ط / 3 ، بيروت ، 1987 م .

17. الشرح الصغير على أقرب المسالك هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ط عيسى الحلبي واولاده – مصر .

18. الشرح الكبير – فتح العزيز شرح الوجيز – للامام الرافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / 1 (1417 هـ – 1997 م) تحقيق الشيخين : علي محمد معوض ، وعادل عبد الموجود.

19. عجائب الاثار في التراجم والاخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت 1237 هـ) دار الجيل – بيروت .

20. عمدة السالِك وَعدة النَّاسِك ، لأحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي، أبو العباس، شهاب الدين ابن النَّقِيب الشافعي (المتوفى: 769هـ) عُني بطبعِهِ وَمُراجَعَتِه: خَادِمُ العِلم عبدُ الله بن إبراهِيم الأنصَاري الشؤون الدينية، قطر الطبعة: الأولى، 1982 م .

21. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية – لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) المطبعة الميمنية– البهجة الوردية في الفقه – للإمام المحقق والحبر المدقق أبي حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس الوردي .

22. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) الناشر: المطبعة الميمنية بدون طبعة وبدون تاريخ .

23. فتاوى ابن الصلاح – عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ) مكتبة العلوم والحكم , عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، 1407 المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر.

24. فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع) لمحمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (المتوفى: 918هـ) بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي الناشر: الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م .

25. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: 1204هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

26. الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط – قسم الفقه واصوله المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلاميه – عمان الاردن (1420هـ-1999م) .

27. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد بن عبد الحي بن محمد الادريسي المعروف بعبد الحي الكناني (1382 هـ) نشره د : أحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي بيروت ط / 2 (1983 م) .

28. كشاف القناع للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي المتوفى سنة 1051 هـ عن متن الإقناع للامام موسى بن أحمد الحجاوي الصالحي المتوفي سنة 960 هـ ، قدم له الاستاذ الدكتور/كمال عبد العظيم العناني ، تحقيق : أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى 1418 هـ - 1997 م .

29. كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار ابو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: 829هـ) مطبعة الشؤون الدينية بقطر .

30. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

31. المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار الفكر(طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي) .

32. معجم المطبوعات العربية الياس سركيس ، مصر ، 1346 هـ .

33. معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية – لعمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى بيروت ، دار احياء التراث العربي بيروت ، 1376 هـ - 1957 م .

34. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م

35. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده بمصر1377 هـ = 1958 م .

36. منهاج الطلبين وعمدة المفتين – للامام النووي ، مطبوع بالمطبعة الميمنية – مصر طبع احمد البابي الحلبي (1308 هـ) .

37. منهج الطلاب في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى 1417هـ - 1997م .

38. المهمات في شرح الرافعي والروضة للامام الاسنوي (ت 772 هـ) من بداية الكتاب الى الى باب الاواني دراسة وتحقيق – وليد منفي عبد ظاهر الخليفاوي – اطروحة مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاسلامية – الجامعة العراقية – لنيل شهادة الدكتوراه – اشراف الدكتور حوري ياسين حسين – 2011 م – اطروحتي للدكتوراه .

39. هدية العارفين اسماء المؤلفين وأثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي ، بيروت – مكتبة المثنى .

40. الوسيط في المذهب لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار السلام – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1417 المحقق: أحمد محمود إبراهيم , محمد محمد تامر.

مادة (عقل) في القرآن الكريم دراسة دلالية نحوية

اسراء فاضل لفته صافي[1]

[1]مديرية تربية ذي قار – esraaljubore@gmail.com.

الملخص

لقد اخترت لميدان بحثي موضوعاً يتصل بأشرف ما في الإنسان ألا وهو العقل، لا كما تناوله الفلاسفة في جدلهم النظري، ولا كما تناوله المتكلمون، بل كما عرفه القرآن الكريم في صفائه الأول بالخطاب الإلهي الموجه للإنسان هداية وإرشاداً.

جاءت مادة (عقل) في القرآن لا على صورة الاسم الجامد، بل على صورة الأفعال الحسية بصيغ متعددة نحو: يعقلون، تعقلون، تعقل، يعقلها يعقلوه؛ لأن القرآن ركز على العقل كوظيفة وعمل، ولم يرد فيه الاسم الجامد، بل أراد الوظيفة العقلية؛ فإن للعقل عدة معاني: التفكر والتدبر وربط الأحكام وفهمها.

والتفكر: في قوله تعالى: <وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ> [البقرة : 164]، <وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ> [القصص : 60].

وربط الأحكام وفهمها: كما في قوله تعالى: <وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ> [الحشر : 21].

ويجيب البحث عن إشكالية: لماذا ورد العقل في القرآن بصيغة فعلية؟ والجواب له عدة جوانب منها:

أولاً: يمكن القول أن هذه الظاهرة اللغوية ليست أمراً عشوائياً بل تحمل دلالات فكرية وتربوية عميقة.

ثانياً: إن القرآن الكريم يلفت النظر إلى أن الفعل ليس مجرد ملكة موجودة، بل هو ممارسة عملية ونشاط مستمر لذلك جاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد.

ثالثاً: تتجلى فلسفة القرآن الكريم في أن الإنسان قد يملك عقلاً بيولوجيا، لكنه لا يمارس فعل التعقل الحقيقي كما في قوله تعالى: <إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ> [آل عمران : 118].

ونجد ان القرآن الكريم لا يطرح العقل في مواجهة الوحي، بل يعتبره مكمل للوحي، فتارة الوحي يوجه العقل، وتارة أخرى العقل يفهم الوحي ويتدبره.

الكلمات المفتاحية: (دلالة العقل، نعقل، تعقلون)

The Root (Aql) in the Holy Quran: A Semantic-Grammatical Study

Israa Fadel Lafta Safi

University of Dhi Qar - College of Education for Humanities,

esraaljubore@gmail.com

Abstract:

For my research, I have chosen a subject concerning the noblest faculty of the human being-the intellect-approached not through the theoretical debates of philosophers or the discourse of theologians, but rather as defined

by the Holy Quran in its pristine purity: as a divine address directed at humanity for the purpose of guidance and instruction.

In the Quran, the concept of *ʻaql* (intellect/reason) appears not as a static noun, but in the form of active verbs-such as *yaʻqilūn*, *taʻqilūn*, *taʻqil*, *yaʻqiluhā*, and *yaʻqilūhu*. This is because the Quran focuses on the intellect as a function and an active process; the static noun itself does not appear, as the emphasis is placed on the intellectual function-encompassing reflection, contemplation, the connecting of rulings, and comprehension.

And reflection: upon the words of the Almighty: "And [in] the directing of the winds and the clouds driven between the heaven and the earth are signs for a people who use reason" [Al-Baqarah: 164]; and "And whatever thing you have been given-it is but [for] the enjoyment of worldly life and its adornment. And what is with Allah is better and more enduring; will you not then use reason?" [Al-Qasas: 60].

And connecting and comprehending rulings-as in the Almighty's saying: "And We present these examples to the people that perhaps they will reflect" [Al-Hashr: 21].

The research must address the question: Why does the concept of the intellect (*al-aql*) appear in the Quran in a verbal form? There are several facets to the answer, including:

First, it can be said that this linguistic phenomenon is not random; rather, it carries profound intellectual and educational implications.

Secondly, the Holy Quran draws attention to the fact that the action is not merely an existing faculty, but rather a practical practice and a continuous activity; hence, it is expressed using a verbal form that signifies movement and renewal.

Thirdly: The philosophy of the Holy Quran is evident in the fact that a human being may possess a biological faculty of reason yet fail to engage in the true act of reasoning-as seen in the Almighty's words: "if you reason" [Al-Imran: 118].

We find that the Holy Quran does not place reason in opposition to revelation; rather, it regards reason as complementary to revelation-at times, revelation guides reason, while at other times, reason comprehends and reflects upon revelation.

Keywords: (**lndication of intellect**, **we reason**, **yoy reason**)

المقدمة:

العقل في القرآن الكريم ليس مجرد أداة للجدل العقيم، ولا ترفا ذهنيا بل هو وسيلة للهداية، ومسؤولية أمام الله، وميزان يزن به الإنسان خطاه بين الإيمان والضلال، كما يبين البحث أهمية العقل وارتباطه بمقاصده من الهداية، والتفكر ، وفهم الوحي.

العقل لغة:

يرى الخليل أن العقل: نقيض الجهل وأصله عقَلَ يعقلُ عقلاً فهو عاقل، والمعقول: ما تعقله في فؤادك ويقال: هو ما يُفهَمُ من العَقْل(الفراهيدي، 2003، ج1، ص159؛ الازدي، 1987، ج2، ص939؛ ابن فارس 1986، ص617).

ويتسع المعنى بقولهم: (والعقل: ضد الحمق والعَقل يد البعير، وهو أن يُشد وطبقه إلى ذراع) (ابن السكيت 2002، ص47؛ ابن سيده، 1996، ج1، ص250).

ويقسم العقل إلى قسمين متلازمين هما غريزي ومكتسب بقولهم: (وقد اجتمعت الحكماء على أن العقل المطبوع والكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب، ومثلوا ذلك بالنار والحطب، والمصباح والدهن، وذلك أن العقل الغريزي آلة والمكتسب مادة) (الجاحظ، 1964، ج4، ص73).

ويأتي العقل بمعنى المنع فعلاً وقولاً بقولهم: (وكل شيء حبسته فقد عَقَلته، ولذلك سمي العَقْل؛ لأنه يمنع عن الجهل) (ابن دريد 1991، ص2380)، أو هو (أصلٌ واحد منقاس مُطرد يدل عظمهُ على حُبسةٍ في الشيء أو ما يقارب الحُبسة من ذلك العَقْل، وهو الحابس عن ذميم القول والعقل)(الرازي 1979، ج4، ص66)، ومثله قولهم: (يقال

عَقَل الرجلُ يَعقِل عقلاً، إذا كان عاقلاً. وقال غيره، سمي عقلُ الإنسان وهو تمييزه الذي به فَارق جميع الحيوان عقلاً لأنه يعقله، أي يمنعه من التورط في الهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه) (ابو منصور 2001م، ج1، ص160).

العقل اصطلاحاً:

يمثل العقل قوة الإدراك والفهم بقولهم: (العقل جوهر مجرد عن المادة وهو الذي يدرك المعاني الكلية والحقائق المعنوية ومشتق من عقل البعير عقلاً، إذا شده، سمي به، لأنه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي، مثل العقال) (العسكري، 1412هـ، ص519).

والعقل هو المتحكم بأفعال الإنسان وتصرفاته لأنه (هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل) (العسكري، 1412هـ، ص83).

ويتسع المعنى عند ابن فارس بقوله: العقل هو الملجأ، وجمعه عقول(ابن فارس 1986، ص617).

ويأتي العقل بمعنى الربط بقولهم: (العقل: الشَّد، والعاقل الذي يحبس نفسه عما تدعوا إليه الشهوات، لا شهوة لله تعالى فيُحبَس عنها، فلذلك لا يقال الله عاقل، ويقال : عقل فلان الشيء، وهو يعقله بمعنى حصره بإدراكه له عما لا يدركه) (الاسكافي، 2001، ج1، ص313).

والعقل يمكن الإنسان من إدراك العواقب الاخلاقية والسلوكية إذ (أفاد العلم بموجباته، وقيل: بل هو التمييز بين الحق والباطل. وقيل: هو العلم بخفيات الأمور التي لا يوصل إليها إلا بالاستدلال والنظر)(الماوردي، 1409هـ، ص19).

المبحث الأول

1. مادة عقلوه

العقل في القرآن وسيلة للهداية وليس غاية بحد ذاتها، يكون ممدوحاً إذا ارتبط بالتقوى والتذكر والتدبر، ومذموماً إذا انفصل عن الوحي أو عُطل بالهوى والتقليد الأعمى.

ورد لفظ (عقلوه) في آية واحدة في قوله تعالى: <أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ> [البقرة : 75].

حين يأتي العقل بمعنى الفَهْم مستنداً إلى السماع، فقد ذهب الطبري إلى خصوص هذا الأمر باليهود بقوله: (فلذلك وصفهم بما وصفهم به: للخصوص الذي كان خص به هؤلاء الفريق الذي ذكرهم في كتابه تعالى ذكره) (الطبري، د.ت، ج2، ص248).

وقد أيده الزجاج بقوله: (هذه الألف ألف استخبار وتجري في كثير من المواضيع مجرى الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي كأنه ايئسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود) (الزجاج 1988، ج1، ص158). فإن شدة إنكار اليهود وصلابة تعندهم الغى تعقلهم عن فهم كلام الله فقد (غيروه من بعد ما حفظوه وفهموه) (السمرقندي، 1409، ج1، ص66).

ويأتي العقل بمعنى العمل والفهم وإلى هذا القول ذهب الثعلبي بقوله: (من بعد ما عقلوه علموه وفهموه) (الثعلبي، 2002، ج1، ص22، الشافعي، 1994، ج1، ص160؛ الفارس 2008، ج1، ص160، البغوي، 2002، ج1، ص135).

في حين يرى الماوردي أن اللفظ (عقلوه) معنيان: أحدهما من بعد ما سمعوه، وهم يعلمون أنهم يحرفونه.

والثاني: من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ما في تحريفه من العقاب) (الماوردي، 1406هـ، ج1، ص147).

فإن إصرارهم وتعندهم نحى بهم هذا المنحى لأنهم (لم يفعلوا ذلك عن نسيان أو خطأ بل فعلوه عن تعمد وهم يعلمون أن ذلك مكسبة للأوزار)(الواحدي، 1415هـ، ص113).

في حين يرى الراغب الاصفهاني إن سماع كلام الله واسناده إلى العقل قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: (الأول: من يسمع علامة ويعقل معناه ويعمل بمقتضاه.

والثاني: من يسمعه أو يعقله ولا يعمل به وهم الذين ذكرهم بقوله: يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، والثالث: من يسمعه ولا يعقله ولا يعمل به بقوله: <يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا>(الاصفهاني، 1999، ج1، ص97).

ويضيف الزمخشري أنهم: (من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يتق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون) (الزمخشري، 2006، ج1، ص156، النسفي، 1998، ج1، ص102، ابن حبان 1993، ج1، ص439، ابو السعود، د.ت، ج1، ص116؛ الالوسي، 1999، ج1، ص299).

كما إن سماع كلام الله زادهم وعياً بقولهم: (ومعنى عقلوه: سمعوه ووعوه) (الجوزي 1422هـ، ج1، ص90)، و(المراد أنهم علموا بصحته وفساد ما خلفوه فكانوا معاندين مقدمين على ذلك بالعمد، فلأجل ذلك يجب أن يحمل الكلام على أنهم العلماء منهم وأنهم فعلوا ذلك لضرب من الأعراض على ما بينه الله تعالى) (الرازي، 1981، ج3، ص561، الخازن، 1415هـ، ج1، ص56).

إذن قد أسندت الآية السماع بصيغته العقلية (يسمعون) إلى السماع بالصيغة العقلية أيضا بقوله: (يعقلون)، لتوضيح الجانب الواعي في فهم كلام الله ، لأن الله لم يتركهم غافلين جاهلين.

وهذا يعطي دلالة الاستمرارية فالقرآن اوضح احكام الله مخاطبا البشرية فديما وحديثا مع استمرار الحياة فقد خرجت الآية الخصوص بشأن اليهود الى العموم بكونها ارشاد وهداية لجميع البشر.

وكذلك افادة تعدية الفعل إلى المفعول به (الهاء) زيادة على التوبيخ، أي أحاطوا بمعناه فهماً وضبطاً ثم مع ذلك حرفوا كلام الله.

المبحث الثاني

2. لفظة (تعقلون)

يدعو القرآن الإنسان إلى التأمل في الظواهر الطبيعية باعتبارها دلائل على الخلق حيث ورد لفظ الآيات أو ذكر الدلائل على الخلق مثل خلق السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وتنوع الكائنات، وهنا يصبح العقل وسيلة لاكتشاف النظام والحكمة وليس أداة مادية منفصلة عن الإيمان.

وردت في القرآن الكريم في (أربع وعشرين) آية كما في قوله تعالى: <َتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ> [البقرة : 44]، هنا الفعل لازم والفاعل (أنتم) مستتر يريد القرآن أفلا تستعملون عقولكم.

يرى الطبري في قوله: (افلا تعقلون) معناه: لا تفهمون، فنساهم عن الخلق القبيح(الطبري، د.ت، ج1، ص10).

أو إن المعنى: أفلا عقول لكم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر، أو نوجهكم لاختيار خير المنزلتين على شرهما(الطبري، د.ت، ج19، ص406).

ويرى الزجاج أن (الألف ألف استفهام: معناه: التقرير والتوبيخ هنا كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة) (الزجاج 1988، ج1، ص125).

ويحتمل المعنى أيضا: إلا بأمر أحدا أحدا بمعروف إلا وبأمر نفسه بمثله، بل الواجب أن يبدأ بنفسه، ثم يغيره، فذلك أنفع واسرع إلى القبول أفلا تعقلون أن ذلك في العقل لازم أن يجعل أول السعي في إصلاح نفسه، ثم الأمر لغيره(الماتردي 2005، ج1، ص448).

ويذهب الناس إلى أن الله نبههم بالاستفهام الذي معناه التوفيق فقال عزوجل: أفلا تعقلون(النحاس، 1421هـ، ج3، ص47).

فقد نبههم في كثير من المواضع القرآنية بأن يقال لكم وأنتم تتلون كتاب الله: أفلا تعقلون إن ذلك حجة عليكم(السمرقندي، 1409، ج1، ص49).

ويرى الثعلبي أن المعنى: تعتبرون بعرض حجتكم وبطلان قولكم(الثعلبي، 2002، ج22، ص426، ج3، ص87)..

ويرى بعضهم: إن الألف للتقرير والتوبيخ والغاء جواب الإخبار عنهم، فالآية تُنبههم إلى فهم ما أخبروه (الحوفي، 2015، ج71، ص332؛ القيسي، 2008، ج7، ص4734).

فالتنبيه على معنى: إنه حق فتتبعونه، والعقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

والتوبيخ على معنى: استدلوا بالصنعة على صانعها فتؤمنون(الحنبلي، 2009، ج1، ص94).

وعليه أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا إن مثل هذا القرآن العظيم هو الإنسان لم يتعلم ولم يتتلمذ ولم يطالع كتابا، لأنه لا يكون إلا على سبيل الوحي وليس اجتهاداً شخصيا للنبي محمد (الشافعي، 1285هـ، ج2، ص10).

نلحظ إن القرآن أشار بأسلوب جميل هو (الانكار التقريري) ليحث البشر على التفكر في كلام الله فلو قلنا إن معنى الآية أتتلون القرآن فلا تعقلون، لم تعطِ دلالة واسعة كما في قوله أفلا تعقلون فقد أوجز الكلام لبيان معنى التعقل والحث على التفكر والتنذير في آيات الله.

أما في قوله تعالى: <إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ> [آل عمران : 118] أي (إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم وتفهمون ما تسمعون ما يعين لكم) (الطبري، د.ت، ج17، ص564).

ويحتمل الماتردي قوله إن كنتم تعقلون إن كنتم تنتفعون بعقولكم؛ لأنه عزوجل ذكر في غير أي من القرآن إنهم لا يعقلون، قد كان لهم عقول لكنهم لم ينتفعوا بعقولهم فإذا لم ينتفعوا نفى عنهم العقل رأساً) (الماتردي 2005، ج2، ص464)، (السمرقندي، 1409، ج2، ص53)؛ القيسي (2008، ج2، ص1106).

فقد ذكر الله الآيات والدلائل والبراهين ثم نفى العقل عنهم، التي (إن كنتم من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما يبين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه)(ابو السعود، د.ت، ص48).

ونلحظ إن الله ذكر الأدلة والبراهين والقى عليهم الحجج المتنوعة ثم نفى عنهم فعل التعقل عندما سمحوا لأنفسهم بإنكار الآيات الواضحات.

ثم جاء القرآن الكريم بتعبير آخر هو (لعل) مع فعل التعقل (تعقلون) كأن الله يعطيهم سببا بما قدم لهم من براهين، ليكونوا من أصحاب العقول بقوله: (لعلكم تعقلون) أي: (كي تعقلوا حجج الله عليكما بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها إنه لا إله غيره فعل ذلك) (الطبري، د.ت، ج21، ص412)؛ الماتردي، 2005، ج1، ص495).

فإن لعل تأتي بمعنى (كي) للتعليل(ابن السماج، د.ت، ج1، ص259، النحاس، 1421هـ، ج4، ص43)، والمعنى : (لكي تعقلوا وتفهموا وتعلموا به) (السمرقندي، 1409، ج2، ص516)؛ (الثعلبي، 2002، ج22، ص426).

ففي قوبه تعالى: <إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ>.

فهو يحيل معنى الترجي: أي (إذا أبصر المبصرون من البشر هذا الفعل منا، يرجى منه أن يعقل الكلام ويفهمه؛ لأنه لو نزل بغير لغتهم ما فهموه)(الحنبلي، 2009، ج3، ص389).

أو أن يكون المعنى (لكي تكمل عقولكم وتعلموا إن من قَدَرَ على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها) (ابو السعود، د.ت، ج1، ص114؛ ابو العباس، د.ت، ج2، ص571، الالوسي، 1999، ج1، ص554).

فإن في الآيات معنى التعجب والتقرير؛ لأن الله أوضح بالحجج والبراهين كانه يرفق الأسباب بالمسببات في خطاب عقلاني متدرج ابتدأه بتوضيح الأدلة والبراهين في كل آية ثم استفهم بقوله (أفلا تعقلون) ثم تفسير الأسلوب فكان توبيخا لهم بقوله: (إن كنتم تعقلون) منكرا عليهم انعدام تعقلهم ثم جاء بأسلوب الترجي مع فعل التعقل بقوله (لعلكم تعقلون) إلا أنهم أمسكوا عقولهم ومنعوها من فهم كلام الله، فقد أقر الله عليهم أفعالهم ووبخهم عليها.

ونلحظ إن دلالة الخطاب المباشر يكون أكثر توبيخاً وتحقيراً عندما يقول القرآن (افلا تعقلون) كما إنه يتضمن أسلوب المواجهة لأنه يخاطب السامع مباشرة ويحثه على استخدام عقله.

وبعد تحليل الآيات نجد فيها ثلاثة أمور: أحدها تلقي الحجة عليهم فأغلب الآيات فيها ذكر للفظ الآيات أو تعداد يقرره الله عن خلق الكون وما فيه من ظواهر.

ثانياً: إنها تنكر على المخاطب التكذيب بآيات الله بما اجترحتموه من السيئات.

ثالثاً: دعوتهم إلى التفكر، وتدبر ما في القرآن من مواعظ وعبر.

فقد ورد في الآية: الأسلوب الاستفهامي الإنكاري (22) اثنتان وعشرون مرة بقوله: (أفلا تعقلون) ويشمل الهمزة: للإنكار والتوبيخ.

والفاء" للعطف على محذوف تقديره (أغفلتم فلا تعقلون).

ولا: الدالة على نفي الفعل، أي نفي لاستمرار التعقل.

وقد يتغير التعبير القرآني ليرد بقوله (يعقلون) كما في قوله تعالى: <بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ> [المائدة: 58]، فإن في الآية دلالة على وصف حالهم وإقرار بما يكونون عليهم فهو يصف أناس بأن عقولهم غائبة.

نجد إن الفاعل هم العقلاء (المكلفون) كما في قوله تعالى: <إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ> [الرعد : 4]، الفاعل هم القوم وفي قوله تعالى: <أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا> [الحج : 46]، الفاعل ضمير مستتر يعود على (لهم) ، فالنفي هنا نفي للفعل لا نفي لوجود الفاعل أي الفاعل موجود لكنه معطل بنفي فعل التعقل.

وردت الصيغة الفعلية المضارعة في (سبع وعشرين) آية وفي (آيتين) فقط بالصيغة الماضية فإن وزن : فَعَل يفعل دالة على (السجية والغريزة).

المبحث الثالث

3. لفظة (نعقل)

كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا ...﴾ [الملك : 10]، أشرك الله سبحانه وتعالى الجانب الحسي (السمع) مع (العقل) للدلالة على أن السماع والعقل يأتيان بمعنى القبول والتفكر، وإن درجة القبول لدى البشر متفاوتة ومختلفة بحسب قدرات كل شخص.

يرى الزجاج في معانيه: (لو كنا سمعنا سَمع من يعي وبفكر ما كنا من أصحاب السعير، أو يعقل عَقل منا يميز ما كنا في أهل النار) (الزجاج 1988، ج5، ص199؛ القرطبي، 1964، ج18، ص212، البيضاوي، د.ت، ج5، ص229).

وللنحاس في الآية قولان: أحدهما: لو كنا نقول كما يقال: سمع الله لمن حمد أو نعقل أي نفكر ونتبين، والقول الآخر: انهم إذا سمعوا لم ينفعوا بما سمعوا فهم بمنزلة الصم (النحاس، 1421هـ، ج4، ص209).

فقد جعلوا انعدام السماع لهم سبباً في العقوبة أي: (لو كنا من الرسل من يفهم ويتفكر أو (نعقل) عقل من ينظر ما كنا من أصحاب السعير)(الواحدي، 1415هـ، ص1117).

فقد حجبوا أسماعهم وعقولهم بإرادتهم ولم تكن خلقه فيهم (لأنهم كانوا ذوي أسماع وعقول صحيحة ولم يريدوا بقولهم (لو كنا نسمع او نعقل) إنهم صم الأسماع مجانين) (الشافعي، 1994، ج22، ص49).

ولأهمية السمع في قبول الآخر وجعله سببا للوصول إلى العقل والتعقل، وجب أن يكون السمع أفضل من البصر لأن البصر مشترك فيه بين سائر الحيوانات ومتعلقه الإدراك أما السمع فمتعلقه النطق الذي به حصل شرف الإنسان(الرازي، 1981، ج17، ص258).

ولتقديم حاسة السمع على آلة العقل فقد شَرَفُ السمع للعقل من شَرَف وافضلية على باقي أعضاء جسم الإنسان (لأن المدعو إذا لقي الرسول فأول المراتب إنه يسمع كلامه ثم إنه يتفكر فيه، فلما كان السمع مقدما بهذا السبب على التعقل والتفهم لا جَرَمَ قدم عليه في الذكر)(الرازي، 1981، ج3، ص588).

كما جعل الله السمع بوابة للخلاص من العذاب؛ لأن (الإنذار سماع طالب الحق أي لو كنا نعقل ما كنا من أصحاب السعير في جملة أهل النار)(النسفي، 1998، ج3، ص513).

كما أيد هذا القول صاحب البحر المحيط بقوله: (لو كنا نسمع سماع طالب الحق أو تعقل عقل متأمل له لم تستوجب الخلود في النار، فاعترفوا بذنبهم أي تكذيب الرسل)(ابن حبان 1993، ج10، ص224؛ النعماني، 1998، ج10، ص339، ابو السعود، د.ت، ج9، ص6).

نلحظ إن لفظة (نعقل) وردت في القرآن الكريم في آية واحدة خرجت إلى معنى الندم من البشر؛ لأنهم كانوا السبب في القصور العقلي، فهي إقرار منهم بالتقصير كما إن مجيئها بالصيغة العقلية الدالة على التجدد أعطت معنى الاعتراف وتحمل المسؤولية، أي تحت اسئنا استعمال عقولنا.

المبحث الرابع

4. لفظة (يعقل)

جاءت في القرآن الكريم في آية واحدة في قوله تعالى: <وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ> [العنكبوت : 43].

كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك ففي الآية معنيان: أحدهما:

لا يدرك الأمثال وحقيقتها وما فيها من الفوائد بأسرها إلا العالمون(الرازي ، 1981، ج25، ص59).

والآخر: لا يفهمها إلا العالمون بالله لأن العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه(القرطبي، 1964،ج13، ص346؛ البيضاوي، د.ت، ج4، ص195؛ الخازن، 1415هـ، ج3، ص381؛ ابن حبان 1993، ج8، ص358).

وفي الآية إشارة إلى أن دقائق المعارف لا يفهما إلا أصحاب العلم (لأن العقل آلة تدرك بها معاني الأشياء بالتأمل فيها ولا يمكن التأمل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم ودلت الآية على فضل العلم على العقل ولا عالم منا إلا وهو عاقل فأما العاقل فقد يكون غير عالم)(مصطفى، د.ت، ج6، ص472).

نلحظ إن في الآية معنى الاستيعاب للمعلومات وربط الأسباب بالنتائج بواسطة العقل، بل يستوعب المقصد منها ويستخرج العبرة ويربطها بالواقع، لذلك خصها بالعالمون؛ لأن العقل هنا يشير إلى الإدراك مع الاستيعاب كما إن مجيئها بالصيغة الفعلية (يعقلها) أي يفهم القصد منها مع تقييد النفس عن الخطأ فهي صيغة متجددة.

تشير إلى العمل والتفكر كأنه يربط المعلومات في ذهنه ويمنعها من الضياع، كما إنها أقوى في الدلالة على الفهم والتدبر والانتفاع.

ففي قوله تعالى: <وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ> [العنكبوت : 43]، الهاء في يعقلها عائدة على الأمثال فقد تعدى الفعل إلى المفعول كبه (الهاء) ، حيث أفادت التعدية على قوة الإدراك واستيعاب المعنى ، وأعطت التعدية معنى آخر هو إن العقل عملية إدراكية تقع على (المعقول) وليست مجرد حركة ذهنية.

الخاتمة

وبعد أن شارف البحث على النهاية، يمكن إيجاز أهم نتائجه بما يأتي:

1. يؤكد القرآن أن غياب العقل يؤدي بالإنسان إلى الضلال لذلك ربط بين التعقل والهداية بقوله (أفلا تعقلون) (وإن كنتم تعقلون).

2. ورد ذكر العقل في القرآن في صيغ متعددة منها: (يعقلون، تعقلون، يعقلها، عقلوه، نعقل) حيث تكررت هذه الألفاظ (تسع وأربعون) مرة.

3. لم يرد العقلُ في القرآن بالاسم الصريح الجامد، إشارة إلى أن العقل عملية حسية حية ونشاط مستمر لا ملكة ساكنة.

4. العقل في القرآن يمثل قوة الادراك التي تمكن الإنسان مع من عدة أمور أولها: فهم آيات الله في الكون، ثانياً: التمييز بين الحق والباطل، ثالثاً: إدراك العواقب الاخلاقية والسلوكية.

5. يعد العقل في القرآن ذو بعد اخلاقي، فالعاقل ليس الأكثر معرفة، بل الأكثر وعيا بالخبر والعدل والمسؤولية، ولهذا ذمّ القرآن التقليد الأعمى واتباع الآباء دون تفكر.

6. نجد إن القرآن يواجه أخطر ازمة للإنسان وهي رفض استخدام العقل كما في قوله تعالى: <صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ> [البقرة : 171].

7. نجد إن لحاسة السمع أهمية تقارب أهمية العقل ولذلك ورد ذكرها مع العقل في عدة آيات بل يقدم السمع على العقل باعتباره البوابة الأولى للوصول إلى العقل كما في قوله تعالى: < أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ> [يونس : 42] وقوله <وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ> [الملك : 10] وقوله: <يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ> [البقرة : 75] وقوله <صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ> فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ [البقرة : 171].

8. للعقل القرآني عدة خصائص:

أولها: عقل وظيفي عملي يظهر في السلوك الإنساني.

ثانياً: عقل يكشف الدلائل والآيات الكونية حين يدعو إلى السؤال والتجربة.

ثالثاً: عقل أخلاقي إيماني يدعو إلى المعرفة المرتبطة بالمسؤولية.

9. لم يفرد المفسرون للفظ (العقل) في القرآن بحثاً خاصاً على حد علمي.

10. القرآن خاطب العقل بأسلوب الاستفهام الإنكاري في (22) مرة، وهذا يبين أن تعطيل العقل مشكلة انسانية.

11. العقل عملية إدراكية متعدية، تحتاج الى (معقول) تعقل عليه.

12. الأفعال جاءت بصيغة المضارعة إلا موضعين ماضي (عقلوا)، والمضارع يفيد الاستمرار، أي العقل عملية مستمرة.

12. ورد فعل التعقل في القرآن الكريم (لازم ومتعدٍ)، والاستعمال المتعدي أبلغ بمعنى الدلالة.

13. يعد العقل في القرآن ذو بعد أخلاقي، فالعاقل ليس الأكثر معرفة، بل الأكثر وعيا بالخير والعدل والمسؤولية، ولهذا يذم القرآن التقليد الأعمى واتباع الآباء دون تفكير.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب المطبوعة

- ابن السكيت، ابو يوسف يعقوب بن ابي اسحاق (ت244ه)، 1433ه. 2002م، اصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار احياء التراث، ط1،.
- ابن السماج، ابو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السماج (ت316ه)، د.ت، الاصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- ابن حبان، محمد بن يوسف الشهير بابن حبان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حبان الاندلسي،143ه. 1993م، تح: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت458ه)، 1417ه. 1996م، المخصص، تح: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1.
- ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ابو الحسين (ت395ه)، 1406ه. 1986م، مجمل اللغة، تح: زهير عبد الحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.

- ابو السعود، قاضي القضاة ابو السعود العمادي الحنفي، (د.ت)، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ، تح: د. عبد القادر احمد عطا، مكتبة السعادة، مصر، د.ط.
- ابو العباس، احمد بن عجيبة، د.ت، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، بيروت، لبنان، ط1.
- ابو منصور، محمد بن احمد بن الازهري الهروي ابو منصور (ت370ه)، 2001م، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1.
- الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت351ه)، 1441ه. 1991م، الاشتقاق، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1.
- الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي(ت221ه)، 1987م، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
- الاسكافي، ابو عبدالله محمد بن عبدالله الاصبهاني المعروف بالخطيب الاسكافي (ت420ه)، 1422 . 2001م، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى زيد بن، جامعة ام القرآن، مكة المكرمة، ط1.
- الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني (ت502ه)، 142ه. 1999م، تفسير الراغب الاصفهاني، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الاداب، جامعة طنطا، ط1.
- الاصفهاني، الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، 1416ه. 1996م، تح: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط1.
- الالوسي، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود، 1420ه. 1999م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، علق عليه: محمد احمد الاحمد، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.

- بالجاحظ، عمر بن بحر بن محبوب الكناشي بالولاء ابو عثمان الشهير بالجاحظ (ت255ه)، 1384ه. 1964م، الرسائل للجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.
- بالماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت450ه)، 1409ه، اعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1.
- البغوي، الحسين ابو مسعود البغوي، 1423ه. 2002م، معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2.
- البيضاوي، ناصر الدين ابو الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، د.ت، انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- الثعلبي، احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ابو اسحاق (ت447ه)، 1422ه. 2002م، الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح: الامام ابي محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597ه)، 1422ه، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العربي، بيروت، ط1.
- الحنبلي، مجير الدين بن محمد العليمي الحنبلي(ت927ه)، 1430ه. 2009م، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، ادارة الشؤون الاسلامية، ط1.
- الحوفي، علي بن ابراهيم بن سعيد ابو الحسن الحوفي(ت430ه)، 1436ه. 2015م، البرهان في علوم القرآن للامام الحوفي، اطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، الباحث: ابراهيم عناني عطية عناني، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الاسلامية قسم القران الكريم وعلومه، ماليزيا.

- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن (ت741ه)، 1415ه، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الرازي، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395ه)، 1399ه ـ 1979م، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الري، 1401ه ـ 1981م، مفاتيح الغيب الشهير (تفسير الرازي)، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1.
- الزجاج، ابراهيم بن السري بن سهل ابو اسحاق الزجاج (ت311ه)، 1408ه ـ 1988م، معاني القرآن واعرابه، تح: عبد الجليل عبد شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1.
- الزمخشري، ابو القاسم جارالله محمود بن محمد الزمخشري، 1427ه ـ 2006م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل، صححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد بن احمد السمرقندي (ت373ه)، 1409ه، تفسير السمرقندي، بحر العلوم، تح: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ط1.
- الشافعي، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي الشافعي، 1415ه ـ 1994م، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الشافعي، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي الواحدي الشافعي (ت648ه)، 1415ه، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط1.
- الشربيني، شمس الدين محمد بن احمد الخطيب الشربيني، (ت977ه)، 1285ه، السراج المنير في الاعانة في معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق، القاهرة.

- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت224 ـ 310ه)، د.ت، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط1.
- العسكري، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد العسكري (ت395ه)، 1412ه، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم، ط1.
- الفارس، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارس (ت471ه)، 1429ه ـ 2008م، درج الدرر في تفسير الاي والسور، تح: وليد بن احمد بن صالح، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط1.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد الفراهيدي، 1424ه ـ 2003م، العين، ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري شمس الدين القرطبي (ت671ه)، 1384ه ـ 1964م، الجامع لاحكام القرآن، تح: احمد البردوشي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2.
- القيسي، ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت437ه)، 1429ه ـ 2008م، الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرن وتفسيره، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريفة، جامعة الشارقة، ط1.
- الماتردي، محمد بن محمد بن محمود، ابو منصور الماتردي (ت333ه)، 1426ه ـ 2005م، تفسير الماتردي، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الماوردي، ابو الحسن الماوردي، 1406ه، النكت والعيون، مطابع مفهوي، الكويت، ط1.
- مصطفى، اسماعيل بن مصطفى (ت1127ه)، د.ت، روح البيان، ، دار الفكر، بيروت.

- النحاس، ابو جعفر النحاس احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت338ه)، 1421ه، اعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل ابراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- النسفي، ابو البركات عبدالله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710ه)، 1419ه. 1998م، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التاويل)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1.
- النعماني، ابو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي النعماني (ت775ه)، 1419ه. 1998م، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

عَوْدُ الضَّمِيرِ المُفْرَدِ عَلَى مُتَعَدِّدِ المَرْجِعِ فِي النَّظْمِ القُرْآنِيّ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ فِي ضَوْءِ نَظَرِيَّةِ العُدُولِ

The Reference of the Singular Pronoun to Multiple Antecedents in the Qur'anic Discourse: A Syntactic and Exegetical Study in Light of the Theory of Rhetorical Shift ('Udul')

مهند سعد مهدي [1]

[1]المديرية العامة لتربية ذي قار / قسم تربية الناصرية / إعدادية التفوق للبنين – mohaneedsaad3536@gmail.com

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة ظاهرة أسلوبية ونحوية بالغة الأهمية والفرادة في النظم القرآني، وهي ظاهرة عود الضمير المفرد على مرجع متعدد (تثنية أو جمعاً، ذكوراً وإناثاً)، وذلك عبر تتبع أثر هذا العدول التركيبي في توجيه الدلالة، وتشكيل الوعي النفسي والسياقي للمتلقي. تنطلق المشكلة البحثية من التنازع المعرفي بين صرامة القاعدة النحوية المعيارية التي تشترط المطابقة الحسابية والجنسية الظاهرة، وبين المرونة الحرة للنظم القرآني المعجز الذي يقهر التعدد اللفظي في المتن لصالح وحدة الإضمار؛ تحقيقاً لغايات تداولية وبلاغية عليا.

واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي التكاملي الذي يدمج بين أدوات التحليل النحوي الصرفي والاستنطاق البياني التفسيري، مستنداً إلى أمهات المصادر اللغوية والتفسيرية والتراثية. وقُسمت الدراسة هندسياً إلى تمهيد وفصلين

ومواضع تطبيقية؛ حيث شمل الإطار التأصيلي ضبط المفاهيم لغة واصطلاحاً، بينما نهض الجانب التطبيقي باستنطاق ستة مواضع قرآنية مركزية حافلة بالانزياحات الإضمارية ودارت حولها معارك التأويل بين المدارس النحوية والتفسيرية.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج؛ أبرزها أن إفراد الضمير بعد تعدد المرجع ليس مجرد رخصة لفظية للتخفف، أو خياراً جوارياً عابراً، بل هو آلية أسلوبية دقيقة لإنتاج المعنى، وتأدية وظائف سياقية متفردة؛ كإبراز التلازم العقدي والوجودي المطلق، وتكريس مبدأ الاستغراق والتوزيع الكلي من خلال تشظي المسؤولية الفردية، والانحياز للمهيمِن السياقي والأقرب رغبة، فضلاً عن رسم لوحات نفسية مصمتة عبر الإطباق الصوتي، مما يسهم في نقل النص الشريف من حيز الإحصاء الشكلي الرتيب إلى آفاق المعايشة النفسية والإنسانية الرحبة.

- الكلمات المفتاحية: عود الضمير، تعدد المرجع، النظم القرآني، العدول التركيبي، الاستغراق والتوزيع.

Abstract

This study examines a highly significant and unique stylistic and grammatical phenomenon in the Qur'anic text: the singular pronoun reference to multiple antecedents (whether dual or plural, masculine or feminine). It explores the semantic and psychological impact of this syntactic divergence (Adul) on the receiver's consciousness. The research problem emerges from the cognitive tension between the rigidity of prescriptive grammar—which demands literal numerical and gender

agreement—and the dynamic flexibility of the miraculous Qur'anic composition, which bypasses superficial pluralities to assert an undifferentiated pronominal unity for higher communicative and rhetorical purposes.

Adopting an integrated descriptive-analytical approach, this study synthesizes grammatical-morphological analysis with exegetical and stylistic interpretation, drawing extensively upon foundational classical linguistic and theological sources. The structural framework is systematically organized into a theoretical introduction and subsequent analytical sections. The applied analysis scrutinizes six pivotal Qur'anic contexts marked by pronominal shifts, which historically served as focal points for interpretive debates among classical grammatical schools.

The study concludes that using a singular pronoun for multiple referents is neither a mere phonological license for abbreviation nor a casual proximity-based choice. Rather, it functions as a precise stylistic mechanism designed to generate nuanced meaning. It serves distinct contextual functions, such as emphasizing absolute doctrinal and existential interdependence, enacting

the principle of comprehensive individual accountability through distributed responsibility, prioritizing the most situationally dominant or textually relevant antecedent, and projecting intense psychological states of spiritual closure through acoustic and structural convergence. Ultimately, this shifts the sacred text from formal numerical symmetry into the wider horizons of human psychological experience.

- **Keywords**: Pronoun Reference, Multiple Antecedents, Qur'anic Composition, Syntactic Divergence (Adul), Inclusivity and Distribution.

مقدمة البحث: بنيوية الضمير وسياقات العدول

تُمثّل بنية الإضمار في اللسان العربي الحامل الخفي لتماسك النص، والنسيج الدلالي المتين الذي يشد أطراف الكلام بعضها إلى بعض. الا أن هذه الآلية الإحالية، حين ترتطم بخصوصية النظم القرآني، تكشف عن تحولات أسلوبية بالغة العمق؛ إذ يمارس النص القرآني المقدس نوعاً من التغيير التركيبي في مواجهة القواعد المعيارية الجافة، مفعّلاً الطاقة الكامنة في اللغة، ليخلق وعي دلالي جديد يتجاوز ضيق التقعيد البشري التعليمي إلى سعة التنزيل الإلهي ومقاصده.

وتتراءى ذروة هذا الانزياح الأسلوبي في ظاهرة إفراد الضمير العائد على مراجع متعددة؛ حيث ينكسر أفق التوقع تماماً، ويرتد التعدد المادي المشهود في ظاهر اللفظ إلى وحدة شعورية مستوعبة تختزلها عين المتلقي. إن هذا التنازع الحاد بين

ظاهر اللفظ المستدعي –في قياس النحاة– للتثنية أو الجمع، وبين بنية الإضمار المفردة، لا يمكن تأويله بوصفه عجزاً عن مطابقة تركيبية، أو مجرد رغبة في تخفف لفظي عابر تنشده العين طلباً لاختصار المسافة داخل المتن. النص القرآني يربأ عن العفوية، إنه هندسة بيانية شديدة الإحكام والتوجيه، تسعى صراحة إلى صهر المرجعيات المتعددة في بؤرة بصرية ونفسية موحدة، تذوب فيها الفوارق الكمية لتهيئة وعي المخاطب لتلقي دلالة مغايرة.

أولاً: الإطار التأصيلي: مقاربة بين التراث واللسانيات الحديثة

لتفكيك هذه الظاهرة أسلوبياً، نجد تقاطعاً عميقاً بين الطروحات التراثية ومفاهيم الأسلوبية البنيوية واللسانيات المعاصرة، وهو ما يمكن إجماله في مستويين:

1. العدول التراثي في مقابل الانزياح الغربي

يتأسس مفهوم العدول في الفكر البلاغي الأصيل كحركة واعية داخل النظام؛ إذ يرى ابن جني في *الخصائص*" أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"(ابن جني، د.ت، ج 2، ص 360).اي أن مفارقة الأصل القياسي تجسيد لشجاعة العربية، حيث يملك المتكلم حرية الانحراف عن السنن الظاهر شرط أن يحمل هذا الانحراف شحنة دلالية تستثير ذهن السامع

أما عبد القاهر الجرجاني، فيربط العدول بنظرية النظم؛ فالعدول عنده ليس خروجاً شكلياً، بل إعادة صياغة للعلاقات النحوية (التعليق) لتطابق حركة المعاني في النفس، وبذلك يكتسب الضمير المفرد ميزته الأسلوبية من مقتضى السياق لا من مطابقة اللفظ "عبارة النص: هي النظم المعنوي المسوق له الكلام؛ سميت عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى

المعنى، والمتكلم من المعنى إلى النظم ، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب الكلام من الأمر والنهي يسمى: استدلالًا بعبارة النص. " (الجرجاني، 1992، ص 43).

في المقابل، يلتقي هذا الفهم مع مفهوم الانزياح (Écart) في الأسلوبية البنيوية الحديثة عند جان كوهين (Jean Cohen) ومايكل ريفاتير (Riffaterre). يرى كوهين أن الانزياح انتهاك مقصود للغة المعيار النفعية لتوليد شعرية النص (كوهين، 1986، ص 52). بينما يرى ريفاتير أن هذا الانزياح كسر أفق التوقع فهو" خروج عن القواعد اللغوية ولجوء إلى ما ندر من الصيغ"(ريفاتير,1997, ص 4) لدى المتلقي؛ فعندما يواجه القارئ ضميراً مفرداً في سياق يقتضي الجمع، تُحدث هذه المفاجأة التركيبية صدمة أسلوبية تلفت انتباهه إلى المعنى الكامن خلف الكسر التركيبي. غير أن النظم القرآني يفارق الأسلوبية الغربية في كونه لا يخرق المعيار لغاية الهدم، بل يتسامى به لتحقيق إعجاز تداولي تفرضه حقائق الوعي الإنساني.

2. التمييز اللساني الإجرائي

لضمان الدقة المنهجية وتجنب الخلط اللغوي، يميز هذا البحث بوضوح بين مستويين في التطبيق:

- إفراد الضمير العائد على متعدد: مثل: ﴿أَنْ يُرْضُوهُ﴾، و﴿كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾؛ حيث يتحد الضمير في الإفراد ويتعدد المرجع صراحة.
- إفراد الاسم الظاهر المضاف إلى ضمير الجمع: (مثل: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾)؛ حيث يظل الاسم مفرداً بينما يُشحن بضمير الجمع، وهو وجه آخر من وجوه قهر التعدد لصالح وحدة الإطباق الصوتي والانسداد المعرفي، ليتسق هذا النمط مع الرؤية الكلية للبحث.

ثانياً: مشكلة البحث ومنهجيته

الدراسة تحاول الإجابة عن تساؤل مركزي: كيف يسهم إفراد الضمير (أو اللفظ) مع تعدد مرجعه وسياقه في تشكيل المعنى القرآني وتوجيهه؟ وكيف تحول هذا العدول من مظنة المخالفة إلى أداة لإنتاج معانٍ مضافة كان يمكن أن تُحجب لو أُجري اللفظ على جادة المطابقة المألوفة؟

أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف العلمية والمنهجية الآتية:

- أولاً: الرصد والاستقصاء المنهجي للشواهد المركزية في القرآن الكريم التي تمثل ظاهرة عود الضمير المفرد على مرجع متعدد، أو إفراد اللفظ المضاف إلى جمع، وضبطها وفق تصنيف أسلوبي محكم.
- ثانياً: التفكيك المعرفي للمنطلقات التأويلية والعلل النحوية التي اعتمدها أئمة اللسان والمفسرون (بين تقعيد البصريين وتأويل الكوفيين) في التعامل مع هذا الانزياح البنيوي.
- ثالثاً: الاستنطاق الدلالي للكشف عن الأسرار الجمالية والوظائف التداولية الكامنة وراء قهر التعدد اللفظي في المتن لصالح وحدة الإضمار، وربطها بنظريات الأسلوبية البنيوية الحديثة.
- رابعاً: إبراز الهيمنة السياقية وأثر السياق النفسي، والتربوي، والعقدي في توجيه حركة الضمائر والألفاظ داخل النص المعجز، وتحولها من حيز الإحصاء الشكلي إلى فضاء التجربة الإنسانية.

أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة مشروعيتها وأهميتها المعرفية من كونها:

- تُعيد الاعتبار للنص القرآني بوصفه بنية لسانية حية، مرنة، وديناميكية تنتج دلالاتها عبر حركة حرة تتجاوز الأطر المصمتة للقاعدة المعيارية الجامدة، دون أن تخرج عن السنن اللغوي.
- تُسهم في ردم الفجوة المعرفية التقليدية بين علوم النحو التقعيدية وعلوم التفسير التأويلية، من خلال تقديم مقاربة أسلوبية تكاملية تجمع بين صرامة الصنعة الإعرابية وبين عذوبة الذوق البياني.
- تمنح البحث صبغة عالمية معاصرة عبر تلاقح المفاهيم التراثية (كشجاعة العربية والنظم) مع المقولات اللسانيات الحديثة (كالانزياح عند جان كوهين وريفتير، ونظرية الأدوار الدلالية لتشارلز فيلمور)، مما يخرج الدراسة من إسار إعادة إنتاج الشروح القديمة إلى أفق المساءلة النقدية الذاتية.

منهجية البحث وعمله الاستقرائي

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي التكاملي، القائم على استقراء الشواهد المحددة ووصف بنيتها التركيبية الظاهرة أولاً، ثم الانتقال إلى التحليل الأسلوبي المعمق الذي يستعين بنظرية "العدول" وتوجيهات أئمة التفسير.

الخطة الاستقرائية للبحث ومشروعيتها:

استقصاء هذه الظاهرة في النظم القرآني، وانتخاب ستة مواضع مركزية حافلة بالتنازع النحوي، نظراً لتمثيلها الدقيق للأنماط الأسلوبية المتنوعة للظاهرة؛ وهي: (نمط التلازم العقدي والوجودي، ونمط استغراق الجنس وتوحيد الوظيفة، ونمط تشظي المسؤولية والتوزيع الكلي)، مما يمنح هذا الاختيار مشروعية علمية رصينة تحميه من عفوية الانتقاء، وتتيح قراءة الشواهد عبر مستويين متكاملين:

منهجية البحث التكاملية



]المستوى التقعيدي اللساني

تتبع آراء الفراء، والزجاج، والزمخشري، وابو حيان لتفكيك العلل النحوية والصرفية

المستوى التأويلي النفسي والسياقي

استنطاق أبعاد النظم عند ابن عاشور، والقرطبي، والرازي لربط البنية اللفظية بالوعي الانساني

مع تطعيم هذا التحليل التكاملي بالتميز الإجرائي الحاسم بين إفراد الضمير العائد على متعدد لفظي، وإفراد الاسم الظاهر المضاف لضمير الجمع (الإطباق الصوتي)؛ ليتسق البناء التطبيقي للبحث بتمامه مع عنوانه الاستهلالي ومقاصده.

الدراسات المرجعية ومراجعة الأدبيات

لقد شغلت ظاهرة الضمائر والعدول التركيبي فكر المحققين الأوائل من علماء الأمة؛ إذ انتبهوا مبكراً إلى أن النظم القرآني المعجز يمتلك فضاءه الاستعمالي الخاص والتداولي الذي يتجاوز الأطر الضيقة التي وضعها النحاة المعياريون. ومن هنا،

يمكننا تصنيف الجهود السابقة التي اتكأت عليها هذه الدراسة، وناورتها نقداً وتأصيلاً وتفكيكاً، إلى مسارين معرفيين متكاملين:

أولاً: المسار النحوي التأسيسي والتقعيدي

يتسم هذا المسار برصد البدايات الأولى لمحاولات قوننة الظاهرة اللغوية وحمايتها من اللحن، ومحاولة إدخال الانزياحات القرآنية داخل أطر النظام القياسي. ويمثله:

- "معاني القرآن" للفراء (ت 207 هـ): وهو من الأوائل الذين التفتوا مبكراً لظاهرة عدم المطابقة اللفظية (الكمية والجنسية). لقد حاول الفراء –بوصفه ممثلاً للمدرسة الكوفية المرنة– تغليب سياق المعنى المراد على حساب الصرامة الشكلية للفظ، مقدماً وعياً أسلوبياً مبكراً يربط الإضمار بالمقاصد الذهنية المتولدة لدى المتلقي، ومستعيناً بفكرة العود على المعنى أو جنس اللفظ.
- "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج (ت 311 هـ): يمثل الزجاج النزعة البصرية الكلاسيكية الصارمة. لقد اتسم جهده بالميل الشديد نحو التقدير، والحذف، والتأويل الصارم؛ فارضاً سطوة القاعدة المعيارية لحمايتها من التفكك، حتى لو اقتضى الأمر إكراه التركيب القرآني وتأويله تأويلاً عَقلياً تعليمياً متكلفاً ليتوافق مع أصل القياس البشري المسبق.

ثانياً: المسار التفسيري البلاغي والأسلوبي

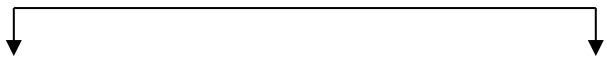
انتقل هذا المسار بالدرس اللغوي من التقعيد الجاف وهوس الصناعة الإعرابية إلى فضاء الجماليات الإعجازية؛ حيث يغدو العدول خياراً أسلوبياً مقصوداً بذاته لإنتاج دلالات نفسية ووجودية مضافة. ويمثله:

- "الكشاف" للزمخشري (ت 538 هـ): أرسى الزمخشري دعائم ربط العدول التركيبي بالصدمة النفسية للمخاطب وتوجيه الخطاب. فالإضمار وعود الضمير عنده ليس مجرد أداة ربط ميكانيكية صماء، بل هو التفات بياني مقصود يكسر أفق التوقع لإثارة الذهن، وتحريك الوجدان، وترسيخ المآلات العقدية.
- "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي (ت 745 هـ): يُعد أوسع موسوعة رصدت التنازع النحوي والأسلوبي داخل الشاهد القرآني. لقد استنطق أبو حيان العلل البنيوية الكامنة خلف كسر أفق التوقع في ثنائية اللفظ ووحدة الإضمار، واضعاً يده على مواطن التلازم الكلي والجزئي بين المفردات، موازناً بين الصناعة وبلاغة النص.
- "التحرير والتنوير" لابن عاشور (ت 1393 هـ): يمثل الذروة الحديثة في هذا المسار؛ إذ صاغ مصطلحات أسلوبية غاية في الدقة كـ "الاستغراق والتوزيع الكلي" لتفسير ظاهرة الإفراد بعد التعدد. لقد فكك ابن عاشور مرجعيات الضمير بوصفها بنية قادرة على التشظي لتعم الأفراد استقلالاً، دون إخلال بانسجام النص وتماسكه التداولي.

التميز المنهجي للدراسة الراهنة

تنبثق مشروعية هذه الدراسة من تجاوزها لعتبة التجميع الإحصائي، أو التكرار الوصفي المعياري البارد، أو إعادة إنتاج شروح الأقدمين. لقد تميزت هذه الدراسة عن سابقاتها بالآتي:

التميز المنهجي للدراسة



الانفتاح اللساني العالمي والاتكاء الصهر التكاملي للتراث

إذ تذوب الفجوة بين تقدير النحاة عبر استنطاق الانزياح

وبلاغة المفسرين في كائن حي متصل على الأدوار الدلالية . لقراءة تشظي المسؤولية

نحاول ان نستنطق التطبيق القرآني مباشرة بوصفه بنية إنسانية حية تنتج دلالاتها عبر حركة حرة. إن تطعيم البحث بـ الأسلوبية البنيوية الحديثة (كوهين وريفتير) يمنح خرق المطابقة تبريراً جمالياً يكسر أفق التوقع، في حين يوفر استخدام نظرية الأدوار الدلالية (Semantic Roles) أداة ألسنية عالمية لتفسير كيفية تحول الجوارح من دور المنفذ الفاعلي إلى دور المسؤول التجريبي عند إفراد الضمير؛ وبذلك يوازن البحث بين موروثنا الرصين وآفاق المناهج اللسانية الحديثة، مما يمنحه مشروعية علمية وصبغة عالمية معاصرة.

هيكلية البحث

ينتظم هذا البحث الأكاديمي وفق خطة هندسية تتوزع على مستويين؛ تأصيلي وتطبيقي، لتشريح بنية الإضمار وقهر التعدد، وجاءت الهيكلية متمثلة في الآتي:

التمهيد والإطار التأصيلي

- تمهيد: الإضمار ونظرية العدول في الفكر الأسلوبي والتراث اللساني.
- المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والتأصيلي لظاهرتي العدول والانزياح والتمييز الإجرائي بين إفراد الضمير العائد على متعدد وإفراد اللفظ المضاف إلى جمع.

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي والتحليل الأسلوبي للشواهد القرآنية

يتوزع هذا المبحث على ستة مواضع مركزية، تم انتخابها استقرائياً لتمثيل الأنماط الأسلوبية المتنوعة لقهر التعدد:

النمط الأول: نمط التلازم العقدي والوجودي

- الموضع الأول: ذوبان الثنائية المادية في بؤرة الطاعة (آية الإرضاء) ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: 62].
- الموضع الثالث: ثقل التكليف ومحورية الذات التعبدية (آية الاستعانة) ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾[البقرة: 45].

النمط الثاني: نمط استغراق الجنس وانحياز المهيمن السياقي

- الموضع الثالث: الاكتناز المالي واستيعاب الجنس اللفظي (آية الكنز) ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾} [التوبة: 34].
- الموضع الرابع: مفاجأة العَرَض الدنيوي وانحياز الأقرب سياقاً (آية الانفضاض) {﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11].

النمط الثالث: نمط تشظي المسؤولية والانسداد المعرفي (الأدوار الدلالية والإطباق)

- الموضع الخامس: تشظي المسؤولية التوزيعية واستغراق الجوارح (آية الجوارح) ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: 36].
- الموضع السادس: إفراد اللفظ المشحون بضمير الجمع بوصفه وجهاً لقهر التعدد لصالح وحدة الإطباق الصوتي والانسداد النفسي (آية الختم) ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: 7].

الخاتمة والتوثيق العلمى

- خاتمة البحث: خلاصة التحليل الأسلوبي وأهم النتائج المستخرجة.
- المصادر والمراجع

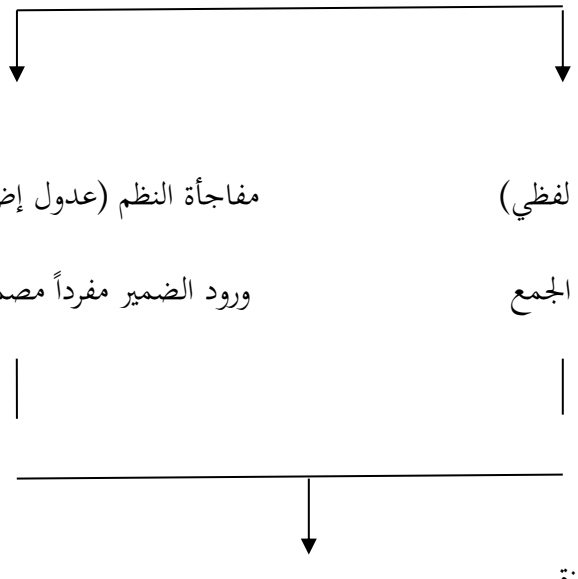
تمهيد: الإضمار ونظرية العدول في الفكر الأسلوبي والتراث اللساني

إن مفهوم "العدول" في أصله الأسلوبي ليس مجرد خروجٍ عارض على النمط، أو فلتة لسانية تائهة، بل هو تجاوزٌ واعٍ ومقصود للمعيار اللفظي السائد. هو انزياحٌ عميق عن الخط الأفقي المألوف للغة؛ رغبةً في اقتناص دلالات بكر لا تفي بها الأنماط الرتيبة المشاعة. وحين يقع هذا العدول في بنية الإضمار القرآنية، فإنه ينعتق من وثاق التقعيد التعليمي البارد، ليتحول من مظنة المخالفة التركيبية أو الاضطراب النظمي إلى أداة لسانية بالغة الخصوبة لإنتاج معانٍ مضافة وثيقة الصلة بالسياق البشري والوجودي. فالضمير في التنزيل الإلهي ليس علامة إعرابية ساكنة، ولا مجرد ركن ميكانيكي وظيفته سد الفراغ البنيوي في المتن، بل هو مركز ثقل دلالي متأهب؛ يعيد ترتيب علاقة المتلقي بالنص من خلال خلخلة أفق توقعه النحوي والصدمة الجمالية التي يفرزها هذا التحول اللفظي المفاجئ.

- تكتسب نظرية العدول مشروعيتها التراثية من فكرة "شجاعة العربية" التي رسخها ابن جني (ت 392 هـ)؛ " أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"(ابن جني، د.ت، ج 2، ص 360)حيث يرى أن اللسان العربي يمتلك من المرونة والجرأة ما يجعله يخرق النمط الشكلي طلباً لتكثيف المعنى وعلو البيان. هذا الخرق الواعي يتجلى في بنية الإضمار حين يُقهر التعدد العددي لصالح المفرد، كاشفاً عن تحول النفس من فضاء المعاينة البصرية التجزيئية للمفردات إلى فضاء المعايشة الروحية للمفهوم الموحد.

إن هذا المفهوم التراثي يلتقي بوضوح مع ما طرحته الأسلوبية البنيوية الحديثة عند جان كوهين (**Jean Cohen**) تحت مسمى "الانزياح" (**Écart**) يرى كوهين أن الانزياح انتهاك مقصود للغة المعيار النفعية لتوليد شعرية النص (كوهين، 1986، ص 52). غير أن النص القرآني يمارس –عبر إفراد الضمير العائد على متعدد– هندسةً بيانية بالغة الإحكام، لا تكتفي بخرق المعيار من أجل الجمالية المحضة كما يرى كوهين، بل تذيب الفوارق الكمية لتهيئة وعي المخاطب لاستقبال حكم تشريعي أو وعظي شمولي، وهو ما عبّر عنه مايكل ريفاتير (**Riffaterre**) بكسر "أفق التوقع" (**Horizon of Expectation**)؛ فهو" خروج عن القواعد اللغوية ولجوء إلى ما ندر من الصيغ"(ريفاتير,1997, ص 4)حيث تصدم البنية المفردة وعي السامع الذي ينتظر تثنية أو جمعاً، مما يجبره على الانتقال من التلقي الخامل إلى التأويل الفاعل .

آلية كسر أفق التوقع في الإضمار القرآني



إجبار الوعي على ممارسة التأويل واستبطان الدلالة

وفي هذا الأفق المعرفي، تتقاطع هذه المقاربة الأسلوبية مع أطروحات المحققين من أئمة اللغة والتفسير الذين رفضوا التعامل مع القرآن بوصفه نصاً يُكره على مقاييس النحاة العقلية والمصنوعة. فالفراء (ت 207 هـ) يقرر في *معاني القرآن* أن اللفظ قد يتعدد في الظاهر لكنه يتحد في مراد النفس، مما يسوغ للضمير أن يرتد مفرداً رعاية لجهة المعنى الكامن في الوعي؛ إذ العبرة بالحقائق المستقرة لا بالقشور اللفظية.

هذا التوجيه يلتقي بالعمق مع ما صاغه ابن عاشور (ت 1393 هـ) في التحرير والتنوير عند دراسته لجماليات الإفراد؛ حيث يرى أن هذا العدول يمثل ذروة التوزيع الذهني والاستغراق التام، فإفراد الضمير بعد المتعدد يهدف صراحة إلى إيقاع الحكم على كل فرد من الأفراد المذكورة على وجه الاستقلال والشمول، لا على المجموع بما هو مجموع "هَذِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ فَالضَّمَائِرُ الْمَذْكُورَةُ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا بِتَخْصِيصِ عُمُومِهَا..... وَهُوَ تَخْصِيصٌ لَفْظِيٌّ مِنْ دَلَالَةِ السِّيَاقِ وَهُوَ مِنْ قِسْمِ الْمُخَصَّصِ الْمُنْفَصِلِ اللَّفْظِيِّ. وَالْخِلَافُ الْوَاقِعُ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ فِي اعْتِبَارِ عَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَى بَعْضِ أَفْرَادِ الْعَامِّ مُخَصِّصًا لِلْعُمُومِ يَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ خِلَافًا لَفْظِيًّا" (ابن عاشور، 1984، ج 20، ص 24).

- إن استنطاق الشواهد المركزية في هذا البحث يؤكد أن العدول الإضماري ليس عجزاً عن مطابقة تركيبية، أو رغبة عفوية في اختصار المسافة الصوتية داخل المتن اللفظي، بل هو خيار أسلوبي يفرض نفسه بقوة السياق ومقتضى الحال. فعندما يعود الضمير المفرد إلى ذاتين أو أكثر، فإنه إما أن ينحاز إلى الأقرب رعاية لسرعة التلقي الذهني والانسجام الموسيقي للجرس، وإما أن يصهر المرجعين معاً كذات واحدة لا تقبل القسمة نظراً

لتلازمهما الوجودي والوظيفي، كما ينبه أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) بقوله:" وتارة يراعى به الأول في الذكر ، نحو : زيد أو هند منطلق ، وتارة يراعى به الثاني نحو : زيد أو هند منطلقة . وأما أن يأتى مطابقاً لما قبله في التثنية أو الجمع فلا " (أبو حيان، ، ج 2، ص 338).

- ولضمان الموثوقية اللسانية، تعمد الدراسة إلى تفعيل "نظرية الأدوار الدلالية" (Semantic Roles) لتوضيح كيف تتحول المراجع المتعددة عند إفراد ضميرها من دور "المنفذ الفاعلي الشكلي" (Agent) إلى دور "المسؤول التجريبي الفردي" (Experiencer)، مما يشظي الحكم ويعممه.
- ومن ثم، يغدو التعدد الخارجي مجرد واجهة حركية، بينما الجوهر الحقيقي الكامن في الضمير هو حقيقة شعورية متصلة تختزل الكثرة المادية في بؤرة نفسية موحدة؛ لتمنح الدرس اللساني المعاصر أداة نقدية وإنسانية رصينة تتجاوز الجدران المصمتة للقاعدة المعيارية الجامدة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والتأصيلي

تأسيسًا على الرؤية المنهجية التي تبتغي استنطاق العتبة العنوانية وتفكيك مقولاتها، فإن البحث يفضي بنا بالضرورة إلى استجلاء المفاهيم الإجرائية الحاكمة للنص في مستوييه الدلالي والتركيبي. إن الثنائية الكامنة في الإفراد والجمع، وانتقال النص بينهما، لا تتحقق كظاهرة أسلوبية عيانية قابلة للمعاينة إلا من خلال قنوات لسانية محددة تشكل عصب هذا الفصل ونواته الصلبة؛ ونقصد بها تحديداً: الضمير، وعود الضمير، والعدول وعلاقته بالانزياح.هذه الأدوات اللغوية لا تؤدي في لغة التنزيل وظيفة ربط ميكانيكية صماء لتنسيق المتن اللفظي، بل هي محركات أسلوبية حية؛ تذيب الفروق العددية الظاهرة لصالح وحدة المعنى الكلي، وتعيد هندسة الوعي البشري ليتلقى الفيض الإلهي خارج حدود الرتابة المعيارية الجافة.

1. الضمير في اللسان واللغة

يدور جذر (ض م ر) في معاجم العربية حول معنيين جوهريين متلاحمين: الخفاء، والضيق أو اللطافة. جاء في لسان العرب: " والضَّمِيرُ :السِّرُّ وداخِلُ الخاطِرِ، وَالْجَمْعُ الضَّمائرُ..... الضَّمِيرُ الشَّيْءُ الَّذِي تُضْمِره فِي قَلْبِكَ ..... وأضمرت الشيء أَخْفَيته" (ابن منظور، 1993، ج 4، ص 490). كما يُقال للمكان الضامر إذا غاب وخفي، ويقال ناقة ضامر إذا خف لحمها ولطف انحناؤها صبراً وجهداً. فالضمير لغةً ينطوي على بنية مستترة ذات كينونة خفية؛ كينونة تختزن شحنة شعورية أو دلالية مكثفة في الداخل، ولا تظهر في القشرة الخارجية للنص إلا برمزية لطيفة تومئ ولا تصرح.

2. الضمير في الاصطلاح النحوي والأسلوبي

انتقل الضمير من فضائه النفسي والخفي ليكون مصطلحاً لسانياً راسخاً يحكم أمن الجملة العربية وسياجها الإحالي. يُعرّفه ابن هشام في شرح شذور الذهب بأنه: " عما دل على متكلم نحو انا ونحن ,او مخاطب نحو أنت وأنتما , او غائب نحو هو او هما " (ابن هشام، د.ت، ص 134).

وفي ميزان التحليل الأسلوبي البنيوي، يُعد الضمير أداة الاختزال الكبرى داخل النص. هو اللفظ الوجيز الذي ينوب عن اسم ظاهر طويل اختصاراً وتكثيفاً، ويمتلك في الوقت نفسه طاقة مرنة مذهلة تمكنه من استيعاب المفرد أو المجموع في بنية لفظية واحدة. هذا الانضغاط التركيبي يجعله الميدان الأرحب لتجلي ثنائية الإفراد والجمع؛ حيث يغدو الضمير المفرد قادراً على تمثيل حشد من الذوات دون أن ينكسر الوزن أو يضطرب النظم.

ثانياً: عود الضمير (المرجع الدلالي)

1. عود الضمير في اللسان واللغة

العود من (ع و د) ، وهو الرجوع إلى الشيء بعد البدء به والانفصال عنه. يُقال: عاد إليه عوداً ومعاداً أي رجع (الفراهيدي، د.ت، ج 2، ص 244). ومنه الميعاد والمعاد. وعود الضمير لغةً يعني ارتداد اللفظ اللاحق على اللفظ السابق؛ خطوة استرجاعية إلى الوراء يقفز بها النص ليربط أوصاله، ويغلق دائرته التعبيرية فلا يتشظى الكلام في فضاء التلقي.

2. عود الضمير في الاصطلاح النحوي والبياني

"إن الأصل في الضمير أن يعود على الاسم المتقدم..... وقد يعود على متأخر في اللفظ، متقدم في الرتبة" (السامرائي، 2000، ج 1، ص 61).

يمثل عود الضمير (أو مرجع الضمير) الركيزة الأساسية في نظرية التماسك النصي والسبك والنظم؛ تراثية ومعاصرة على حد سواء. وهو في الاصطلاح: "أن يرتد الضمير إلى اسم متقدم لفظاً أو رتبة أو حكماً ليرتبط الكلام بعضه ببعض" (السيوطي، 2006، ج 1، ص 312).

وفي الفكر البياني القرآني، يُشكل عود الضمير معضلة أسلوبية بالغة الدقة تتحدى التفسير الآلي الحسابي. إذ كثيراً ما نجد اللفظ دالاً على الجمع في ظاهره المادي الحسي (مثل أسماء الأجناس أو المصادر أو التراكيب المعطوفة)، بيد أن الضمير يعود إليه بصيغة الإفراد المصمت. هذا الارتداد اللفظي المفاجئ ليس عجزاً عن مطابقة لغوية، بل هو تقنية بيانية مقصودة لإحالة المتعدد المشهود إلى حقيقة نفسية شعورية واحدة. إنه صهر للشتات العددي في جوهر كلي متصل، يتجاوز الفروق الكمية ليؤسس لوحدة المفهوم.

ثالثاً: العدول والانزياح (المقاربة التأصيلية)

1. العدول في اللسان والاصطلاح

يدور جذر (ع د ل) حول مسارين متقابلين في الظاهر، متكاملين في العمق: الاستقامة والميل. فالعدل هو القسط والاستقامة، والعدول عن الشيء هو الميل عنه والتحول إلى غيره؛ يُقال: عدل عن الطريق إذا تركه وتنكبه (ابن فارس، 1972، ج 4، ص 247). فالعدول في أصله اللغوي حركة خروج واعية عن خط سير مفترض سلفاً، نحو مسار بديل تقتضيه مصلحة السير وعلو المقصد.

أما اصطلاحاً، فيُقصد به: خروج المتكلم عن السَنَن المألوف والنمط الرياضي المتوقع للغة إلى نمط آخر لغرض تستدعيه البلاغة" أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"(ابن جني، د.ت، ج 2، ص 360).

2. جَدليّة التراث والأسلوبية البنيوية الحديثة

يتجلى العدول كتقنية أسلوبية عليا تفكك جمود القواعد العددية التي قننها النحاة المعياريون. ولكي نلج إلى عمق هذه الظاهرة في شواهدنا، وجب وضعها في ميزان المقارنة المفاهيمية بين الدرس العربي القديم والنقد الغربي الحديث:

مفهوم العدول التراثي (ابن جني والجرجاني) | مفهوم الانزياح الأسلوبي الحديث (كوهين وريفتير)

حركة مرنة داخل السنن: الخروج عن القياس الشكلي يمثل "شجاعة العربية" الكامنة في أصل السليقة (ابن جني). تدمير إيجابي للنظام: الانزياح (Écart) خرق مقصود للغة المعيار النفعية لتوليد "الشعرية" (جان كوهين).

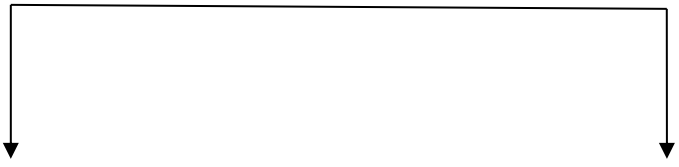
استجابة لنظم المعاني في النفس: العدول إعادة هندسة للتعليق النحوي ليطابق حركة الوجدان والبيان (الجرجاني). خلخلة أفق التوقع: صدمة أسلوبية تفاجئ المتلقي وتنقله من وضع الاستهلاك إلى فضاء التأويل الفاعل (مايكل ريفاتير).

يتضح من هذه الموازنة أن الخطاب القرآني حين يعصِف بتوقعات المتلقي، فيعدل من الجمع إلى الإفراد في عود الضمير، لا يمارس انزياحاً عبثياً بالمعنى التدميري الصرف، بل يخلق هزّة أسلوبية ومفاجأة تداولية تؤصل لوحدة دلالية مستحدثة.

3. التمييز الإجرائي الحاسم

لتلافي أي خلط منهجي في تشريح الشواهد التطبيقية اللاحقة، يُلزم البحث نفسه بتمييز إجرائي صارم بين آليتين لغويتين تعتمدان على قهر الكثرة:

آليات قهر التعدد



إفراد اللفظ المشحون بضمير الجمع إفراد الضمير العائد على متعدد

ضمير مفرد صريح يرتد إلى مراجع متعددة. لفظ مفرد (ظاهره الإفراد) مضاف إلى ضمير جمع

مثال: ﴿أَنْ يُرْضُوهُ﴾ ، ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ مثال: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾

الهدف: صهر المرجعيات في بؤرة دلالية موحدة. الهدف: وحدة الإطباق الصوتي والانسداد النفسي.

هذا التمييز يمنح اختيار الشواهد مشروعية لسانية تخرج بالبحث من إسار الصدفة إلى أفق الاستقراء المنظم، حيث يصبح إفراد اللفظ المضاف إلى الجمع وجهاً آخر مكملاً لقهر التعدد لصالح وحدة الإطباق، متسقاً بتمامه مع العنوان الاستهلالي لبنيوية الضمير وسياقات العدول.

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي والتحليل الأسلوبي للشواهد القرآنية

الموضع الأول: ذوبان الثنائية في وحدة الإرضاء

تتكثّف في هذا الموضع الأسلوبي أسمى تجليات التلاحم الدلالي والمعرفي بين المقام الإلهي والملح الفياض للرسالة النبوية. يبرز النص القرآني هنا كبنية متعالية تتجاوز الهندسة اللفظية المعتادة، ملقيةً بظلالها على البنى النفسية والاعتقادية للمخاطب؛ إذ يقول الحق سبحانه: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: 62]

المشهد اللساني الخارجي مزدحم ومحتدم؛ ثمة تعدد مرجعي صريح فرضته الواو العاطفة التي جمعت بين اسم الجلالة سبحانه والرسول (ص). غير أن حتمية التثنية المترقبة في الوعي القياسي الكلاسيكي تتلاشى فجأة؛ إذ يباغتنا النظم الرباني بضمير مفرد مذكر في قوله ﴿يُرْضُوهُ﴾. هنا ينكسر أفق التوقع النحوي، ويرتد التعدد اللفظي إلى الواحد الصمد في بؤرة الضمير.

أولاً: المأزق التأويلي ومسالك الفكر النحوي

إن هذا الانزياح التركيبي المفاجئ وضع الفكر النحوي والتفسيري أمام مأزق تأويلي عميق، تفرعت عنه مسالك تكشف في جوهرها عن الصراع التاريخي بين صرامة القاعدة الرياضية وسعة النظم البياني المفتوح على غايات التنزيل ومقاصده:

1. المسلك البصري (النزعة التقديرية الحِفظية)

يتجلى هذا الخيار في محاولة التخريج القائمة على الحذف المقدر، حيث ينحو النحاة البصريون إلى الحفاظ على استقلالية كل مرجع لغوي حمايةً لأصل القياس الإعرابي من التمزق. ويرى الزجاج (ت 311 هـ) في معاني القرآن وإعرابه أن في الآية حذفاً وإيجازاً، ليكون التقدير الأصلي المستقر في ذهن النحوي: " ولم يَقُل يُرْضوهُمَا، لأن المعْنَى يَدُلُ عليه فحذف استخفافاً، المعنى واللَّه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ، وَرَسُوله أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ" (الزجاج، 1988، ج 2، ص 461).

ويعضد هذا الاتجاه ما ذهب إليه أبو البقاء العكبري (ت 616 هـ) في *إملاء ما منَّ به الرحمن*، إذ يرى أن الضمير المفرد راجع إلى اسم الجلالة، وخبر الرسول محذوف "والرسول مبتدأ ثان وخبره محذوف دل عليه خبر الأول " (العكبري، د.ت، ج 2، ص 17)، أو أن الكلام على تقدير حصر التلازم اللفظي مع الإبقاء على الفصام البنيوي"احق ان يرضوه خبر عن الاسمين ,لان امر الرسول تابع لامر الله تعالى " (العكبري، د.ت، ج 2، ص 17).

بيد أن هذا التوجيه التقديري ـــعلى رصانته الشكليّة وصيانته للقانون النحوي— يظل قاصراً عن ملامسة الروح الإنسانية والعقدية الكامنة في الآية؛ فهو يتعامل مع النص الإلهي كمعادلة رياضية تحتاج إلى جبر وموازنة، متغافلاً عن البعد الشعوري المستكن في بؤرة الإضمار الموحد.

2. المسلك الكوفي والتفسيري (بلاغة التلازم والذوبان)

من هنا، ينفتح الخيار الثاني الذي ارتضاه الفراء وتبعه كبار أئمة اللسان كصاحب الكشاف والمحققين من المفسرين الأسلوبيين. يرى الكوفيون أن هذا العدول يمثل ذروة التلازم العقدي الذي يذيب التعدد المادي في وحدة التوجه التعبدي والروحي الحاصل في قلب المؤمن. يعبر الفراء (ت 207 هـ) عن هذا التلاحم اللغوي الباذخ بكلام بليغ في كتاب معاني القرآن، مؤكداً أن السياق هنا لا يحتمل التجزئة أو الفصل العضوي؛ لأن إرضاء الرسول هو إرضاء الله، فكانا كشيء واحد"ولم يقل: يرضوهما لأن المعنى– والله أعلم –بمنزلة قولك:ما شاء الله وشئتُ إنما يقصد بالمشيئة قصدُ الثاني، وقوله : مَا شاءَ اللَّهُ تعظيم لله مقدم قبل الأفاعيل كما تَقُولُ لعبدك: قد أعتقك الله وأعتقتُك .وإن شئت أردت :يرضوهما فاكتفيت بواحد " (الفراء، 1980، ج 1، ص 440).

إن الفراء هنا لا يقدم حلاً إعرابياً مجرداً، بل يستنطق البنية النفسية للمؤمن الذي لا يمكنه الفصل في سلوكه الإيماني واليومي بين مرضاة الخالق واتباع المخلوق الموحى إليه.

ثانياً: التحليل الأسلوبي والبلاغي للشاهد

وفي هذا الفلك التفسيري الرحب، يرتفع الزمخشري (ت 538 هـ) بالتحليل البلاغي إلى أفق معرفي باهر، متأملاً سر الكسر التركيبي الذي وحّد الضمير بعد تثنية المرجع، فيشير في الكشاف إلى أن إفراد الضمير جاء تنبيهاً على أن إرضاء الله وإرضاء رسوله شيء واحد لا فرق بينهما؛ إذ تلاشت المسافة الفاصلة بين المرجعين لصالح وحدة المقصد (الزمخشري، 2009، ص 482). هذا الدمج البياني ليس مجرد إيجاز عابر لتخفيف المتن، بل هو إلغاء مطلق للمسافة وتأكيد على حقيقة الذوبان الكلي.

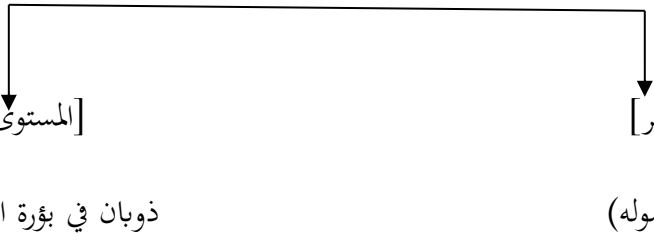
وينضم إلى هذا التحليل القرطبي (ت 671 هـ) في الجامع لأحكام القرآن، مستدعياً حكماً لسانياً وتداولياً دقيقاً؛ حيث ينقل عن المتقدمين أن ثنائية الاسم الظاهر ذابت في وحدة الضمير لأن الجهتين جهة واحدة في استحقاق الإرضاء، فصار الذكر المتعدد تلازماً لا انفصام له في الوجود ."وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانا في حكم مرضيّ واحد،" (القرطبي، 2006، ج 10، ص 173).

ويعمق السمين الحلبي (ت 756 هـ) في الدر المصون هذا الكشف الأسلوبي، مبيناً أن النظم عدل عن التثنية المعتادة رغبة في قطع توهم المخاطب بأن هناك رتبتين متغايرتين أو منفصلتين في الامتثال، بل هما مقام واحد تلاشت فيه "الواو" العاطفة دلالياً وإن ثبتت لفظاً ."إنما أفرد الضمير في يُرْضوه ، وإن كان الأصل في العطف بالواو المطابقةَ لوجوهٍ أحدُها :أنَّ رضا الله ورسولِه شيء واحد: مَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله " (الحلبي، د.ت، ج 6، ص 72).

ثالثاً: النتيجة الدلالية والجمالية للعدول

إن التأمل النقدي والتحليل المعمق في هذا التوجيه الأسلوبي يكشف أن النص القرآني تعمّد صهر الهويتين اللفظيتين في قالب إضماري واحد لإفراز دلالة الهيمنة السياقية؛ فطاعة الرسول (ص) ليست تابعة لطاعة الله في رتبة متأخرة أو منفصلة، بل هي تجلٍّ وجودي وعملي لها، مما يمنع الذهن البشري من توزيع مشاعر الإرضاء وجدولة الولاء بين جهتين مستحقتين. تلاشت ثنائية الذوات في أفق وحدة الهدف والمصير.

هندسة الإضمار في آية الإرضاء



المآل الأسلوبي التداولي

استحالة تجزئة الولاء الإيماني وصهره في مقام واحد

إن إفراد الضمير في ﴿يُرْضُوهُ﴾ يتحول هنا من مجرد ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، إلى بؤرة دلالية مكثفة تعيد ترتيب المشهد النفسي للمتلقي، معلنةً أن القبيلين في مقام المحبة والامتثال قد تمازجا تمازجاً حيوياً حتى استحال الفصل بينهما، فغدا المرجعان لفرط التلازم في عقيدة التوحيد ذاتاً واحدة لا تقبل التشظي أو الانقسام.

الموضع الثاني: الاكتناز واستيعاب الجنس اللفظي

تتحول المعادن النفيسة في هذا النص النبيل من مجرد أدوات جامدة للتبادل المالي والقيمة الاقتصادية، إلى عبء وجودي وأخلاقي ثقيل. هنا تكمن المفارقة البيانية الباهرة. يضعنا النظم الإلهي أمام مشهد تراجيدي تتحول فيه الأموال المعبودة لدى البشر إلى مادة لعذابهم الشخصي وكيّ جباههم، محققاً صدمة شعورية هائلة تتوازى مع الصدمة التركيبية التي يفرزها الانزياح اللفظي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34]

المشهد اللساني هنا مأزوم بوضوح؛ ثمة تغاير جنسي وصرفي صارم في بنية المعطوفات؛ فالذهب مذكر، والفضة مؤنث. وهو تباين بنيوي كان يقتضي ـــ في العرف النحوي والقياس الرياضي المشاع ـــ استدعاء ضمير التثنية ﴿ينفقونهما﴾ طوعاً للقاعدة المعيارية التي تلم الشتات اللفظي وتحفظ حقوق المطابقة الظاهرة. بيد أن النص المعجز يكسر هذا التوقع الكلاسيكي؛ إذ يفاجئنا بضمير المؤنث المفرد المتصل في قوله ﴿يُنْفِقُونَهَا﴾. انحاز الضمير للواحد واختزل الكثرة.

أولاً: تزاحم التوجيهات ومحاولات التبرير الصرفي

هذا الانفصال الحاد بين ظاهر التركيب الكمي وبنية الإضمار الخفية أسال حبراً كثيراً في مصنفات أئمة اللسان؛ إذ تزاحمت التوجيهات النحوية الباحثة عن إدخال هذا العدول في عباءة التبرير القياسي:

1. توجيه الجوار والغلبة التداولية

ينبري جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) في الكشاف لتقديم محاولة تفسيرية مزدوجة، متكئاً على البُعدين اللفظي والاجتماعي معاً؛ حيث يرى أن الضمير أعيد إلى الفضة لأنها الأقرب لفظاً وجواراً، أو لأنها تمثل العملة الأغلب والأكثر شيوعاً في تداول الناس يوماً تلو الآخر، فاكتفى النظم بذكرها لتضمنها معنى الذهب دلالةً "فإن قلت :لم قيل: ولا ينفقونها، وقد ذكر شيئان؟ قلت :ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ" (الزمخشري، 2009، ص 482). هذا التوجيه السياقي ذكي بلا شك، غير أنه يظل حبيس المعاينة المادية للمفردات وقوانين القرب البصري.

2. توجيه التأويل بالمفهوم المستخلص

إن حصر المسألة في حدود الجوار اللفظي أو الغلبة العددية قد يُفرغ النص من زخم التهديد الشامل المستكن فيه، وهو ما تنبه إليه العقل النحوي الأكثر ميلاً للتحليل البنيوي العميق. إذ يرى أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) في البحر المحيط أن الاكتفاء هنا ليس مجرد اختصار مسافة صوتية، بل هو التفاتٌ واعٍ إلى حقيقة المعنى الأصلي الذي يذوب فيه الذهب والفضة معاً، مشيراً إلى أن الضمير قد يُرد إلى الكنوز أو الأموال أو الطائفة لكونها المفهوم الجوهري المستخلص من فحوى الفعل يَكْنِزُونَ "أو لأنهما محتويان على جمع دنانير ودراهم ، أو على المكنوزات ، لدلالة يكنزون . أو على

الأموال ، أو على النفقة وهي المصدر الدال عليه" . (أبو حيان ، ج 5، ص 39). فالمال في حقيقته النفسية واحد وإن تعددت معادنه وتغايرت صفاته الظاهرة.

ثانياً: اللسانيات المعرفية وبلاغة الاستغراق

بناءً على هذا التأمل النقدي، يتجاوز التفسير الأسلوبي الأكثر عمقاً فكرة المجاورة البصرية ليدخل في فضاء اللسانيات المعرفية؛ فالنص القرآني يعمد هنا إلى إلغاء التمايز الشكلي والنوعي بين الذهب والفضة؛ لأن المقام ليس مقام تصنيف اقتصادي أو جرد كمي، بل هو مقام إدانة صارمة لسلوك الكنز الإنساني الشحيح البخيل. هذا المقام يستدعي صهر الأعيان كلها في بؤرة ذم واحدة، مما يسوغ للضمير المفرد المؤنث أن يعود على دلالة الأموال المكنوزة بشكل يستغرق النوع بتمامه. لقد تحول الحكم اللفظي من صرامة الجنس إلى شمولية المفهوم الاستغراقي.

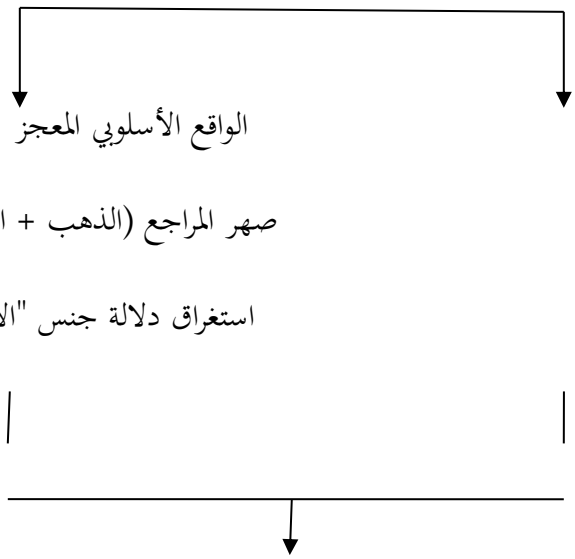
وينضم إلى هذا الكشف الأسلوبي القرطبي (ت 671 هـ) في الجامع لأحكام القرآن، محققاً رأي النحوي اللغوي المبرد؛ الذي يرى أن العرب إذا جمعت اسمين في سياق حكم واحد، وكان أحدهما مؤنثاً، فإنه يجوز لها رد الضمير إلى المؤنث على نية الجماعة أو الطائفة أو التركات، فيكون التقدير: ولا ينفقون جماعة التركات أو طائفة الأموال (القرطبي، 2006، ج 8، ص 124). النص هنا قهر التعدد اللفظي عنوة، ليرتقي بالعبارة إلى آفاق الكلية والعموم والتكثيف الدلالي.

ثالثاً: الأثر الجمالي والوجداني للعدول

إن إفراد الضمير في ﴿يُنْفِقُونَهَا﴾ يتحول بالتالي من عارض نحوي شاذ يحتاج إلى اعتذار أو تأويل متعسف، إلى أداة بلاغية قوية تختزل الرؤية النفسية والوجدانية للمكتنز نفسه؛ فالمكتنز الشحيح لا ينظر في لحظة جمعه وشغفه إلى ذهبه

وفضته بوصفهما معدنين متغايرين أو صنفين منفصلين، بل ينظر إليهما كتكتل مالي مدمج، وككتلة واحدة مهيمنة تمنحه القوة والخلود الزائف في خياله.

انزياح الضمير في آية الكنز



فجاء الضمير مفرداً مؤنثاً ليحاكي تلك النظرة الأنانية الضيقة التي ترى الكثرة وحدةً مستبدة، معلناً في الوقت ذاته أن ألسنة العذاب والنار ستشمل هذه الكتلة بتمامها وتطوقها كجسد واحد، دون أي تفريق أو تمييز بين أجزائها ومكوناتها اللفظية.

الموضع الثالث: ثقل التكليف ومحورية الذات التعبدية

تتجسد في هذا المقام الأسلوبي كابدة النفس البشرية وهي تواجه وطأة التكليف المشق. العبء ثقيل، والمسؤوليّة الروحيّة عظيمة. يضعنا البيان الإلهي أمام معادلة تربوية وعقدية بالغة الحرج والعمق؛ إذ يلتقي الصبر المعنوي الصامت بالصلاة

التعبدية الحركية المشهودة في سياق المواجهة الإنسانية لمشاق الحياة وتقلّباتها، محققاً صدمة دلالية وتداولية تتولد من رحم الكسر التركيبي والانزياح النظمي في قوله تعالى:(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]

البناء اللفظي الخارجي يفيض بالتعدد والتغاير المفهومي؛ فقد عطف النص الصلاة على الصبر بالواو الجامعة، وهو جمع كان يترقب في الذهن المعياري الكلاسيكي ضِميراً للتثنية ﴿وإنهما لكبيرة﴾ ليستوعب الطرفين المذكورين معاً في ميزان المطابقة الحسابية. بيد أن النظم القرآني فاجأ القريحة النحوية بضمير مؤنث مفرد متصل في قوله ﴿وَإِنَّهَا﴾. انزاح اللفظ عن المطابقة الشكلية الرتيبة؛ ليفتح باباً لإنتاج معانٍ مضافة.

أولاً: محاولات التوجيه وفك مغاليق النظم

هذا الانفصال المفاجئ والمقنن بين شفع المراجع ووحدة الإضمار أحدث حراكاً نقدياً واسعاً في مدونات أئمة التفسير واللسان المعنيين بفك مغاليق النظم وتوجيه عدول التنزيل:

1. التوجيه بالتأويل المصدري التجريدي

ينحو التوجيه الأول نحو تقدير مفهوم مجرد وبنية ذهنية مستخلصة من عمق السياق ليربط شتات الآية؛ إذ يرى أبو البقاء العكبري (ت 616 هـ) في إملاء ما منَّ به الرحمن أن الضمير لا يعود على العينين المذكورتين صراحة في المتن، بل يرتد إلى "الاستعانة لان استعينوا يدل عليها " (العكبري، د.ت، ج 1، ص 34). فالمصدرية المفهومة دلالةً وضِمناً من منطوق الفعل ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾، فيكون التقدير المحوري المستقر في ذهن النحوي: وإن الاستعانة بالصبر والصلاة لكبيرة .

هذا التخريج يتكأ بالأساس على تجريد الدلالة ورفعها إلى المستوى المفهومي لحماية الصنعة النحوية والقياس التعليمي البارد. غير أنه في نظر الدرس الأسلوبي الإنساني قد يغفل الخصوصية الوجدانية والارتباط الحي الكامن في البنية اللفظية الظاهرة للآية.

2. التوجيه بالانحياز والانتماء للمرجع الأسمى

من هنا، ينفتح أفق التوجيه الثاني، وهو الأقرب لروح النظم القرآني وأشدها التفاتاً للنفس الإنسانية وتصويراً لكابدتها. إن الضمير هنا أُفرد ليعود كلياً على "الصلاة" دون الصبر؛ لأنها تمثل أشرف العبادات البدنية، وأكثرها استغراقاً لوقت الإنسان بوعيه وحواسه وجهده، فضلاً عن كونها عبادة مكررة تسترعي مشقة مستمرة وتواصلاً دؤوباً، فغدت هي الذات المهيمنة التي ابتلعت المرجع الآخر لقوة حضورها النفسي والعملي في مقام المشقة والتحدي والتكليف.

يعضد هذا المنحى البياني القرطبي (ت 671 هـ) في الجامع لأحكام القرآن، موثقاً ثقلها على النفس غير الخاشعة، حيث يشير إلى أن الصلاة خُصت بالعود لأنها تشتمل على الصبر أصلاً في ماهيتها؛ إذ:"كل مصلٍّ صابرٌ على ما أوجبت الصلاة عليه، وليس كل صابرٍ في صلاة" (القرطبي، 2006، ج 1، ص 562).الصلاة بهذا المفهوم تحتوي الصبر وتزيد عليه زاداً روحياً وحركياً باهراً.

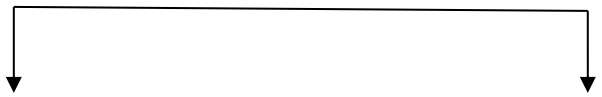
أما أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) في البحر المحيط، فيذهب بالتحليل الأسلوبي والبنيوي إلى مدى أبعد وأكثر عمقاً، رافضاً التكلف اللفظي والتقديرات الرياضية البعيدة التي تفقد البيان روحه وجاذبيته، ومؤكداً أن هذا الانحياز للضمير المفرد يعود لعظم شأن الصلاة وحضورها المركزي في سياق الخطاب؛ حيث: أعيد الضمير على الصلاة لعظمها؛ فصار الصبر كالمقدمة والوسيلة إليها"**فأعاد الضمير عليها على ظاهر الكلام ، لأنها أشرف** " (أبو حيان، ج 1، ص

285).لقد انحلت الثنائية الكمية وذابت الفوارق الشكليّة لصالح المرجع الأسمى والأشد فاعلية في توجيه السلوك البشري.

ثانياً: الأثر المعرفي والجمالي لهندسة الإفراد

بناءً على هذا التأمل النقدي الذاتي، يتضح بجلاء أن النظم القرآني المعجز لم يعبأ بالمطابقة الحسابية السطحية؛ لأن المقام هنا ليس مقام جرد كمي للوسائل أو إحصاء للمفردات، بل هو مقام الكشف عن محورية الذات التعبدية في تذليل العبء الروحي وتخفيف ثقل التكليف عن كاهل الإنسان. فالصلاة حين تستأثر بالضمير المفرد المؤنث، تنقل المخاطب من فضاء التعدد الشكلي والمعاينة البصرية للمفردات المعزولة، إلى فضاء التركيز النفسي والوجداني المطلق. قُهِر التعدد لتبرز الوحدة الشعورية المستوعبة.

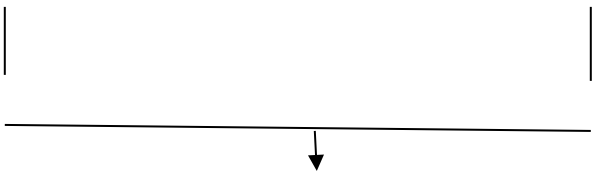
انزياح الضمير وهندسته في آية الاستعانة



التركيب الرياضي المفترض العدول والخرق الأسلوبي

مطابقة معيارية تفتقر للتركيز انحياز أسلوبي مطلق للصلاة.

مساواة كمية آلية بين الأدوات دمج دلالي (الصلاة تحتضن الصبر)



الأثر النفسي والتداولي

تركيز وعي المخاطب على الذات التعبدية بوصفها المذيب الأكبر للمشقة

إن إفراد الضمير في ﴿وَإِنَّهَا﴾ يتحول بالتالي من عارض نحوي يطلب الاعتذار والتأويل البارد، إلى ومضة أسلوبية مكثفة تلامس شغاف النفس البشرية، معلنةً أن المشقة الكبرى والسكينة العظمى إنما تتمثلان في تلك الوقفة التعبدية الجامعة؛ التي تختزل كل صبر، وتتسامى فوق كل كابدة، وتصهر الوسائل كلها في بؤرة روحية واحدة لا تقبل القسمة والتشظي.

الموضع الرابع: مفاجأة العَرَض الدنيوي ومراعاة الأقرب سياقاً

تهتزُّ النفس البشرية أمام بريق العَرَض العاجل اهتزازاً شديداً؛ هذا دأبها الفطري وجبلّتها الأولى في طلب العاجلة والتعلق بالمشهود. ويضعنا البيان القرآني هنا أمام مشهد نفسي واجتماعي بالغ الحرج والجرأة؛ إذ يرصد لحظة انخلاع إنساني مفاجئ تجاه مغريات المادة الصاخبة على حساب الجاذبية الروحية والجمالية السامقة للمقام النبوي (ص)، محققاً صدمة وعظية تتوازى بنيوياً مع الانزياح التركيبي الفارق في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: 11]

المشهد اللساني الخارجي مشحون بمرجعين متغايرين؛ فقد جمع صدر الآية الكريمة بين "التجارة" بما تحمله من جلبة المنفعة وثقل الكسب، و"اللهو" بما يمثله من خفة المتعة وعفوية الترويح، وتعاظفا بحرف ﴿أَوْ﴾ المفيد لأحد الشيئين في أصل الوضع. بيد أن القريحة النحوية التي تترقب —بحكم الرتابة المعيارية— ضميراً تثنيّاً يستوعب الحدثين تصطدم

بانحياز أسلوبي حاسم؛ إذ أفرد النص الضمير وأنثه راداً إياه إلى التجارة دون اللهو في قوله ﴿إِلَيْهَا﴾. انكسر التوقع الشكلي، وانحاز اللفظ للأهم سياقاً والأقوى أثراً في واقعة النزول.

أولاً: الصنيع الحرفي والقراءة البيانية الإنسانية

هذا الانفصال المفاجئ بين شفع المراجع ووحدة الإضمار استدعى تأملاً نقدياً عميقاً من أئمة التفسير واللسان المعنيين بتفكيك أسرار النظم وعلاقتها بالنفس الإنسانية:

1. التفسير الآلي وحكم الحرف العاطف

يتكأ التوجيه الأول للمسألة على الصنعة الحرفية الصرفة وقوانين النحو القياسي؛ فحرف العطف ﴿أَوْ﴾ يقتضي في أصل وضعه اللغوي لأحد الشيئين لا كليّهما، مما يسوغ نحوياً عود الضمير على مفرد واحد وهذا ما قاله ابن هشام (ت761 هـ) في مغني اللبيب "ان او موضوعه لاحد الشيئين او الأشياء , وهو الذي يقوله المتقدمون" (ابن هشام، ج 1، ص 143). غير أن هذا التبرير الآلي الجاف يظل عاجزاً بمفرده عن تفسير سر اختيار "التجارة" تحديداً لتستأثر بالضمير دون قسيمها وشريكها اللفظي اللهو، ولا يكشف عن النبض الوعظي الكامن في الآية.

2. التوجيه بالهيمنة السياقية والدافع الوجودي

من هنا ينفتح أفق القراءة البيانية الإنسانية التي تتجاوز القواعد الصامتة لتلتمس نبض السياق وحركة التاريخ؛ فالانفضاض لم يكن حركة عشوائية عبثية، بل كان مدفوعاً بطلب الرزق وتأمين المعاش عند قدوم عير دِحية بن خليفة الكلبي بصخبها وطبولها، فغدت التجارة هي البؤرة الجاذبة الحقيقية والدافع الأصيل لترك المسجد، بينما اللهو تابع لها ونتيجة من نتائج جلبة الفرح بقدومها.

يفصل ابن عاشور (ت 1393 هـ) في التحرير والتنوير هذا التوجيه كاشفاً عن بلاغة التقديم والإضمار، حيث يرى أن الضمير:

أُعيد إلى التجارة لأنها كانت أهمَّ في سياق الآية ونزولها، إذ كانت العِيرُ تجارةً وفيها طبول فذلك هو اللهو، فالانفضاض كان إليها أولاً وبالذات "وَتَأْنِيثُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ :إِلَيْها تَغْلِيبٌ لِلَفْظِ تِجَارَةٍلِأَنَّ التِّجَارَةَ كَانَتِ الدَّاعِيَ الْأَقْوَى لِانْفِضَاضِهِمْ. " (ابن عاشور، 1984، ج 28، ص 227). فالاهتمام بها أولى نظماً وعقلاً، والضمير دار حيث دارت الرغبة والمنفعة المادية الحاملة على الانفضاض.

ثانياً: المجاورة البصرية والأثر الدلالي للعدول

أما أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) في البحر المحيط، فيقارب المسألة من زاوية أسلوبية تجمع بين اللفظ والمرجع الأقرب، معيداً التأكيد على أن إعادة الضمير على التجارة دون اللهو نابع من كونها المقصود الأنفع للنفس البشرية الكادحة، في حين أن اللهو ينقضي أثره اللحظي سريعاً، مشيراً إلى أن النظم اكتفى بإعادة الضمير عليها: لأنها الأقرب ذكراً، ولأن طلبها هو الذي حملهم على الانفضاض دون اللهو، إذ اللهو كان تابعاً لقدومها بفرح الجاهلية"وقال إليها ولم يقل إليهما تهمماً بالأهم ، إذ كانت سبب اللهو ، ولم يكن اللهو سببها ". (أبو حيان ، ج 8، ص 246). لقد ابتلع المرجع الأقوى في وعي المتلقي شريكه في البنية التركيبية لقوة دافعه الوجودي.

ويزيد الزمخشري (ت 538 هـ) المشهد عمقاً ونقداً في الكشاف بالالتفات إلى الأثر الدلالي والتربوي لهذا الإفراد الإضماري، مؤكداً أن إعادة الضمير بصيغة المؤنث المفرد إلى التجارة تفرز نوعاً من التوبيخ المبطن؛ فالنفس البشرية التي تنفضّ إلى التجارة قد تدعي الحاجة والاضطرار لتأمين المعاش، لكن انحياز الضمير إليها وفصلها بالذكر يفضح تفضيل

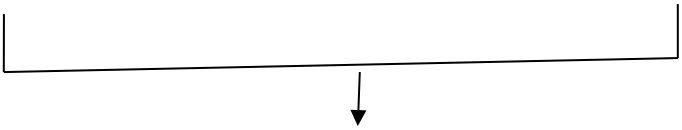
العَرَض الدنيوي الزائل على القيام النبوي المستدام والإنصات لذكر الله، فكأن الضمير المفرد تحول إلى أداة تركيز وتسليط مجهري للضوء على موضع الخلل النفسي والوجداني في لحظة الغفلة فيقول "ودنا وقت الظهيرة، وحينئذ تحرّ التجارة ويتكاثر البيع والشراء، فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد، قيل لهم :بادروا تجارة الآخرة، واتركوا تجارة الدنيا، واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وَذَرُوا الْبَيْعَ الذي نفعه يسير وربحه مقارب. " (الزمخشري، 2009، ص 1118).

ثالثاً: محاكاة الوعي البشري المأزوم

بناءً على هذا التأمل النقدي، يتكأ التوجيه الأسلوبي المعاصر على فكرة محاكاة الوعي البشري المأزوم؛ فالنظم المعجز قهر التعدد اللفظي في ﴿إِلَيْهَا﴾ ليحاكي تماماً حصر الذهن البشري لاهتمامه في تلك اللحظة الحرجة. المخاطبون لم يوزعوا حركتهم الفعلية بين تجارة ولهو بنسب متساوية، بل تكتلت رغبتهم وصبت نحو القطب الأقوى الذي يضمن منفعتهم المادية العاجلة.

انحياز الضمير السياقي في آية الانفضاض

الواقع الأسلوبي الموجه	التوقع النحوي الرياضي
مطابقة معيارية مسطحة.	انحياز للمرجع الأقرب (التجارة).
توزيع عادل للرغبة اللفظية.	فضيحة الدافع الوجودي الحقيقي.



الأثر التداولي والوعظي

محاكاة تكتل وعي المخاطبين، وتسليط المجهر على نقطة الغفلة المادية

فجاء الضمير مفرداً ليجسد تلك القبضة الشعورية الموحدة تجاه الدنيا، معلنةً بلسان الحال أن العدول التركيبي هنا هو الترجمة اللسانية الدقيقة لواقع الوعي الإنساني حين يقع تحت إغواء المادة ويفقد توازنه في مواجهة العَرَض الزائل.

الموضع الخامس: تشظي المسؤولية واستغراق الجوارح

تتجلّى في هذا المقام الأسلوبي قشعريرة الوجدان الإنساني وهو يُواجه الميزان الأخلاقي والوجودي الدقيق. غاية في الصرامة، ومنتهى في التحديد البنيوي والمعرفي. يضعنا النظم الإلهي هنا أمام مشهد تشريعي يرتد فيه التدقيق الحسي إلى عمق المحاسبة النفسية الفردية؛ إذ تلتقي حواس الإنسان وعواطفه في قفص المسؤولية الشخصية والشهادة الكونية، محققاً صدمة شعورية هائلة تتولد من رحم الانزياح التركيبي الفارق في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: 36]

المشهد اللساني الخارجي مزدحم ومكثف بثلاثة مراجع حسية وعقلية متغايرة البنى والوظائف؛ فقد جمع النص بين (السمع، والبصر، والفؤاد) عبر واو العطف الجامعة، ثم ترقّت البنية وتسامت باستعمال اسم الإشارة المخصص لجمع العقلاء ﴿أُولَئِكَ﴾ تنزيلاً لهذه الجوارح والأدوات الحيوية منزلة الذوات الواعية المفكرة المكلّفة. بيد أن حتمية الجمع المترقبة في القريحة النحوية والموسيقية تتلاشى فجأة؛ إذ يفاجئنا النظم الإلهي بضمير مفرد مذكر متصل بحرف الجر في قوله ﴿عَنْهُ﴾. لم يقل "عنهم"، بل انحاز اللفظ للواحد في مقام التعدد الأقصى، مخلخلاً أفق التوقع الرياضي الكلاسيكي.

أولاً: الاستغراق والتوزيع الكلي في الفكر اللساني والتفسيري

هذا الانفصال الحاد بين إشارة الجمع الصريحة وبنية الإضمار المفردة اللاحقة استدعى وقوفاً نقدياً طويلاً من أئمة التفسير واللسان؛ تفكيكاً لسر هذا التوزيع البديع واستجلاءً لأبعاده التداولية:

1. النزعة الاستغراقية

ينبري محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ) في التحرير والتنوير لتقديم مفتاح هذه المغلقة التركيبية عبر توجيه أسلوبي متين مبني على الاستغراق والتوزيع الكلي، حيث يرى أن إفراد الضمير بعد اسم الإشارة العام يهدف دلالياً إلى: إيقاع الحكم على كل فرد من الأفراد المذكورة على وجه الاستقلال، فغدا التقدير: كل واحد من أولئك كان الإنسان عنه مسؤولاً (ابن عاشور، 1984، ج 15، ص 78).

الحساب هنا انفرادي تفصيلي لا جماعي إجمالي، وهو ما يؤصل لمبدأ الفردانية الأخلاقية في القرآن الكريم. إن هذا التخريج يتجاوز محاولة البحث عن رخصة لغوية أو رعاية فاصلة، ليلامس عمق الارتعاد البشري في مقام السؤال والوقوف بين يدي الديان.

2. التفكيك البنيوي لـ (كُلّ)

وفي السياق ذاته، يغوص أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) في البحر المحيط داخل البنية التركيبية العميق للآية، مؤكداً أن هذا العدول الإضماري ليس عفوياً أو اعتباطياً، بل هو استدعاء لوعي المتلقي لئلا يظن أن المسؤولية تقع على المجموع بما هو كتلة واحدة متضامنة يغطي فيها جزء على جزء. ويشير إلى أن الإفراد جاء:" (كُلٌّ) مبتدأ والجملة خبره ، واسم (كَانَ) عائد على (كُلٌّ) وكذا الضمير في (مَسْؤُولاً). والضمير في) عَنْهُ عائد على ما من قوله (مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ) فيكون المعنى أن كل واحد من (السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ) يسأل عما لا علم له به أي عن انتفاء ما لا علم له ب. " (أبو حيان، ج 6، ص 33).لقد تميزت كل حاسة بجرمها، واختصت كل أداة بمسارها التداولي في واقع الإنسان.

ثانياً: أنسنة الجوارح وتهويل المطلع

أما الزمخشري (ت 538 هـ) في *الكشاف*، فيرتقي بالتحليل البلاغي والنفسي إلى أفق باهر؛ إذ يرى أن الإشارة بـ ﴿أُولَئِكَ﴾ ترفع من شأن الجوارح الإنسانية وأدوات المعرفة لتبث فيها الحياة، وتجعلها في مشهد الحساب خصوماً ناطقين وشاهدين عقلاء ضد الذات التي كانت تديرهم في الدنيا. بينما يأتي إفراد الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ ليؤكد أن كل حاسة ستُفرد بالمساءلة، وتُعزل بالاستنطاق كأن لا عمل لغيرها في الوجود، وكأن الكون كله قد اختزل في هذه المساءلة الأحادية الجارية مع السمع وحده، أو البصر وحده، أو الفؤاد وحده، مما يعمق أثر التحذير ويزيد من هول المطلع الخفي "كل واحد منها كان مسئولا عنه، فمسئول :مسند إلى الجار والمجرور، كالمغضوب في قوله غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ يقال للإنسان :لم سمعت ما لم يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟" (الزمخشري، 2009، ص 664).

وينضم إلى هذا الفهم الفخر الرازي (ت 606 هـ) في *التفسير الكبير*، مبيناً أن العدول إلى الإفراد في عود الضمير هو الذي قطع دابر التهاون في وعي السامع؛ فلو جاء الضمير جمعاً لتوهّمت النفس إمكانية ذوبان خطيئة جارحة في صلاح أخرى، أو لتخيلت حساباً مدمجاً يخفف الوطأة"وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَوَاسَّ آلَاتُ النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ كَالْأَمِيرِ لَهَا وَالْمُسْتَعْمِلُ لَهَا فِي مَصَالِحِهَا "(الرازي، 2000، ج 20، ص 204)، غير أن صرامة اللفظ المفرد قطعت مجاري التوهم، وحاصرت التعدد اللفظي في بؤرة محاسبة شعورية قاهرة .

ثالثاً: النتيجة الدلالية والإنسانية للعدول

بناءً على هذا التأمل النقدي، يتكأ التوجيه الأسلوبي المعاصر على فكرة تشريح الوعي الإنساني الموزع؛ فالنظم المعجز لم يعبأ بالمطابقة العددية المألوفة النمطية لأن الغرض الأسمى هنا ليس الإحصاء الشكلي أو مجرد رصف الألفاظ، بل هو إبراز تشظي المسؤولية واستغراق الجوارح بتمامها في فضاء الاستنطاق.

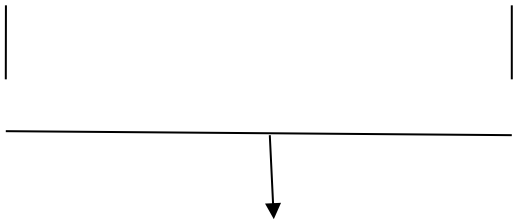
توزيع المسؤولية والعدول الإضماري



]المطابقة المعيارية[[العدول النظمي[

حساب إجمالي كتلي تفتيت الكتلة إلى آحاد مستلقة.

إمكانية ذوبان الجرم أو الاتكال. عزل كل جارحة واستنطاقها منفردة.



الأثر النفسي والتربوي

تحويل الجوارح من أدوات تابعة صامتة إلى ذوات مكلّفة ناطقة بالخصومة

فالضمير المفرد المذكر في ﴿عَنْهُ﴾ يتحول من فضاء التقعيد الجاف والمطابقة الآلية الصماء، إلى فضاء التأويل الإنساني الرهيب الكاشف عن كابدة الوجود البشري؛ معلنةً للمخاطب أنه مسؤول مسؤولية مطلقة وجذرية عن كل وخزة فؤاد، وكل التفاتة بصر، وكل استماع أذن، في حساب انفرادي دقيق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا يدع جزءاً من الذات يختبئ خلف الآخر أو يتنصل من تبعات السلوك. لقد قُهِر التعدد اللفظي في المتن، لتتجوهر عظمة المحاسبة الفردية وتتضح معالم العدالة الإلهية المطلقة.

الموضع السادس: الإطباق الصوتي والوعي النفسي بالانسداد

يصطدم الوعي الإنساني في هذا الموضع بالنهاية الفاجعة لمدارك المعرفة؛ لقد أُغلق المآل، وانقطعت السبل. يضعنا النظم الإلهي هنا أمام مشهد مرعب لتصلب الوعي الكافر وانسداد قنوات تواصله وحواره مع الوجود المحيط به؛ إذ تتماهى الحواس في شلل وجودي تام، محققةً صدمة بيانية وتداولية تنبثق من كسر التناظر العددي المألوف في قوله عز وجل: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 7]

التشكيل اللفظي الخارجي يتحرك ببراعة بين المد والقبض المباغت؛ فقد جاءت القلوب جمعاً لتناسب كثرة الخواطر وتعدد التقلبات النفسية الداخلية، وتلتها الأبصار جمعاً كذلك لتوازي تعدد المرئيات والمشاهد والمصحوبات البصرية في الفضاء الخارجي. بيد أن حاسة السمع المتوسطة بينهما انقبضت في قالب الإفراد الصارم. لم يقل سبحانه وتعالى أسماعهم ، بل أفرده على نحو يثير دهشة العقل النحوي والأسلوبي معاً، ويكسر رتابة التناظر الهندسي المتوقع في البنية.

أولاً: القياس الصرفي والأفق التأويلي البلاغي

إن محاولة تفسير هذا التباين الهندسي انقسمت بين النزعة المعيارية التقعيدية، والنزعة الأسلوبية الإنسانية المستنطقة لروح النظم:

1. التعليل الصرفي القياسي

ينزع التوجيه الأولي للمسألة إلى تبرير هذا العدول بصيغته الصرفية المألوفة في لسان العرب؛ حيث أن السمع في أصله مصدر، والمصدر إذا أُطلق واسْتُعمل جنساً في الكلام صلح للواحد والتثنية والجمع بلفظ واحد موحد، فلا يحتاج النظم إلى جمعه "نقطع معنى الختم عند قوله : وَعَلى سَمْعِهِمْ ..... .وإنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع ويدل أوله على أخره كقولك :قد أصاب فلان المال، فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس الحسن"(الفراء، 1980، ج 1، ص 16). غير أن الوقوف العفوي عند عتبة هذا التعليل النحوي البارد قد يغفل النبض النفسي المستكن في هذا الإطباق التركيبي، ويحرم النص من أبعاده الشعورية الإنسانية.

2. الاستيعاب المطلق والانسداد الدفعي

من هنا ينفتح أفق التأويل البلاغي المعرفي؛ فالسمع حاسة دائرية لا تفضل جهة على جهة، تلتقي عندها الأصوات من كل الفجاج في آن واحد دون حاجة من الإنسان للالتفات أو تحريك العضو ، فغدت في استيعابها المطلق ووحدة وظيفتها التلقائية كالذات الواحدة المتصلة التي لا تقبل التعدد الشكلي.

يعمق جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) في *الكشاف* هذا التوجيه ملتفتاً إلى البعدين اللغوي والذوقي، موضحاً أن إفراد السمع دون قسيميه جاء:"لأنه مصدر، والمصادر لا تُجمع إلا في مواضع مخصوصة، ولأن السمع سدُّه يكون دفعة واحدة

كإطباق الذات الواحدة، بخلاف الأبصار والقلوب التي تتعدد بتعدد مرئياتها وخواطرها" (الزمخشري، 2009، ص 34).لقد قهر النظم الإلهي ظاهر الجمع ليرسخ حقيقة الانسداد الشامل الفوري.

ثانياً: الإطباق الصوتي ودلالة تكرار الحرف

وفي هذا الفلك التفسيري الرحب، بربط اللفظ بالحالة النفسية والروحية المحكوم عليها بالضلال والنفي؛ مشيراً إلى أن إفراد السمع يحاكي بدقة حالة الإطباق الصوتي المطلق. فصوت الحق الموجه إليهم لا يجد أذناً واعية تتلقاه بالتفكر، بل يرتطم بكتلة مصمتة موحدة من الصمم والرفض؛ فصار الإفراد اللفظي تجسيداً أسلوبياً لوحدة هذا السد المتصل الذي يعزلهم عن التلقي المعرفي "وقد وقع قوله : (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) بين شيئين : يمكن أن يكون السمع محكوماً عليه مع كل واحد منهما ، إذ يحتمل أن يكون أشرك في الختم بينه وبين القلوب ، ويحتمل أن يكون أشرك في الغشاوة بينه وبين الأبصار . .... وتكرير حرف الجر يدل على أن الختم ختمان ، أو على التوكيد ، إن كان الختم واحداً فيكون أدل على شدة الختم". (أبو حيان ، ج 1، ص 176). لقد تميزت الحاسة بوحدة انغلاقها النفسي الكلي.

أما ابن عاشور (ت 1393 هـ) في التحرير والتنوير، فيضيف بُعداً أسلوبياً نادراً يتجاوز به حدود التبرير المصدري التقليدي، "وَإِنَّمَا أَفْرَدَ السَّمْعَ وَلَمْ يَجْمَعْ كَمَا جمع قُلُوبهم (و) أَبْصَارهم إِمَّا لِأَنَّهُ أُرِيدَ مِنْهُ الْمَصْدَرُ الدَّالُّ عَلَى الْجِنْسِ..." (ابن عاشور، 1984، ج 1، ص 263). مؤكداً أن إعادة الجار في قوله ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ مع إفراد اللفظ يفرز دلالةً قاطعةً ومهيمنة على استيعاب الختم لكل فرد ولكل لحظة استماع؛ فكأن الأسماع البشرية كلها قد تجمعت وصهرت في سمع واحد مستسلم تماماً للغفلة والانسداد، مما يمنع الوعي من التشبث بأي بصيص هداية أو أمل في التغيير

ثالثاً: النتيجة المعرفية للعدول العددي

بناءً على هذا التأمل النقدي، يتضح بجلاء أن النظم المعجز لم يسلك جادة التناظر العددي القياسي؛ لأن المقام هنا ليس مقام تصنيف تشريحي أو جرد فيزيولوجي للحواس ووظائفها، بل هو مقام تصوير الفجيعة المعرفية والوجودية للإنسان حين تُسد في وجهه منافذ النور وتتصلب مداركه.

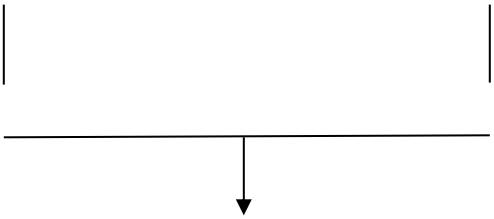
هندسة النظم المفرد والجمع في آية الختم



القلوب والأبصار: جمع السمع: إفراد

اتساع فضاء الخواطر والمرئيات .مصمتية الوظيفة واستيعابها الدائري.

تعدد قنوات المداخل الروحية والحسية . إطباق فوري دفعي كبنية الذات الواحدة.



المآل النفسي والمعرفي

تفتيت مظاهر التعدد اللفظي لحساب كتلة صماء موحدة تجسد شلل الوعي الكافر

فالسمع حين يستأثر بالإفراد بين جمعين، ينقل المتلقي من فضاء العد الآلي الجاف إلى فضاء المعايشة النفسية لظلمة الضلال الدامس. قُمع التعدد اللفظي لتبرز وحدة الإطباق. إن إفراد السمع هنا يتحول من مجرد رخصة لغوية للمصدر، إلى إشارة أسلوبية بالغة الأثر، تعلن أن منافذ الوعي لدى أولئك قد استقرت في كتلة مصمتة واحدة لا تتجزأ، بحيث استحال العذاب والختم فضاءً مغلقاً يطوق ذواتهم بتمامها فلا يغادر منها منفذاً للتنفس أو الهداية.

خاتمة البحث ونواتجه

إن سياحة البحث المعمقة والمستفيضة في هذه الشواهد القرآنية المتنوعة، والانتقال الواعي بين البنى التركيبية وظلالها السياقية، تقودنا في نهاية المطاف إلى قناعة علمية راسخة؛ ومفادها أن إفراد الضمير بعد تعدد المرجع في القرآن الكريم ليس خروجاً قسرياً عن جادة القاعدة النحوية، ولا هو بالانفلات العفوي من إسار المعيار، بل هو تأسيس لقاعدة أسلوبية أسمى تنبثق من متطلبات السياق الروحي، وتستجيب لحاجات النفس البشرية في كابادتها وتقلباتها الكونية. وتتكامل نتائج هذه الدراسة لتكشف عن المرونة الفائقة للسان العربي حين يتسامى في فضاء النظم المعجز، متحولاً من مجرد أداة للتوصيل الآلي إلى طاقة توليدية تختزل الوجود الإنساني بأسره.

أهم نتائج البحث

- أولاً: إن كسر حتمية المطابقة اللفظية (الكمية أو الجنسية) في النظم المعجز لا يمثل عارضاً تركيبياً يستوجب الاعتذار النحوي البارد، أو التقدير الرياضي المتكلف، بل هو عدول أسلوبي مقصود؛ غايته نقل النص من فضاء التقرير المعياري الجاف إلى سعة الدلالة الحية الشاملة، التي تهز أفق توقع المتلقي وتجبره على التدبر.

- ثانياً: يسهم إفراد الضمير في صهر الذوات والثنائيات اللفظية المتعددة؛ لتجسيد فكرة التلازم العقدي أو الوجودي المطلق. وقد تجلى ذلك بوضوح باهر في آية الإرضاء، إذ دُمجت المحبتان وطُهرت الطاعتان في بؤرة شعورية واحدة لا تتشظى، معلنةً ذوبان التعدد المادي في وحدة التوجه التعبدي.
- ثالثاً: يعمل الضمير المفرد كأداة هندسية دقيقة لـ الاستغراق الكلي والتوزيع النفسي، حيث يُجبر الذهن الإنساني على تفكيك المتعدد الظاهر والوقوف أمام كل مرجع على حدة بوصفه كياناً مستقلاً ومسؤولاً. وتجسد هذا الكشف في آية مسؤولية الجوارح؛ حيث تشظت المسؤولية لتطوق كل حاسة في حساب انفرادي مهيب لا يغادر جزءاً من الذات.
- رابعاً: أثبتت القراءة النقدية التحليلية لأقوال أئمة اللسان وتوجيهاتهم أن محورية المهيمن السياقي (الأهم دلالة وعقلاً وفطرة) أو الجوار اللفظي (مراعاة الأقرب رغبة وأثراً) هما المحركان المعرفيان اللذان اعتمدهما الفكر التفسيري واللغوي الأصيل لفك رموز العدول الإضماري، ومحاكاة حركة الوعي البشري حين يقع تحت إغواء العَرَض أو ضغط الواقع.
- خامساً: تبيّن بالدليل اللساني القطعي أن النظم القرآني يستغل الخصائص الصرفية الكامنة للألفاظ (كالمصدرية وجنس اللفظ في السمع)؛ ليوظفها أسلوبياً في رسم لوحات نفسية مصمتة، تعكس شلل الوعي الكافر أو إطباقه التام. فغدا الإفراد اللفظي معادلاً موضوعياً للانسداد الوجودي والختم الشامل الذي يحرم النفس من أدنى بصيص للهداية.

المصادر والمراجع

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

2. ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (1972). معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

3. ابن منظور، محمد بن مكرم. (1993). لسان العرب (ط. 3). بيروت: دار صادر.

4. ابن هشام، جمال الدين الأنصاري. (1997). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق: د. عبد اللطيف الخطيب). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب [وكذلك طبعة بيروت: دار الكتب العلمية].

5. ابن هشام، جمال الدين الأنصاري. (2009). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع.

6. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (2010). البحر المحيط في التفسير (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض). بيروت: دار الكتب العلمية.

7. الجرجاني، علي بن محمد. (1983). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.

8. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (2000). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

9. ريفارز، مايكل. (1997). دلائليات الشعر (ترجمة: محمد معتصم). الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة.

10. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. (1988). معاني القرآن وإعرابه (تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي). بيروت: عالم الكتب.

11. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (2009). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار المعرفة.

12. السامرائي، د. فاضل صالح. (2000). معاني النحو. عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

13. السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف. (د.ت). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (تحقيق: د. أحمد محمد الخراط). دمشق: دار القلم.

14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (2001). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي). القاهرة: المكتبة التوفيقية.

15. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين. (2000). إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. طهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

16. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. (1980). معاني القرآن (تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار). القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

17. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1985). كتاب العين (تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي). بغداد: وزارة الثقافة والإعلام [أو طبعة بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات].

18. القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (2006). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي). بيروت: مؤسسة الرسالة.

19. كوهين، جان. (2015). بنية اللغة الشعرية (ترجمة: محمد الولي، ومحمد العميري). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

The Effect of Nursing Health Education on Glycemic Control Among Adult Patients with Type 2 Diabetes Mellitus: A Quasi–Experimental Study

Mahmood Adil Fadhil Alrubaye

Liverpool College LPC London, London, United Kingdom

Study setting: Baghdad, Iraq, dr.mhmoood@gmail.com

Abstract

Background: Type 2 diabetes mellitus is a chronic condition in which sustained self-management is central to glycemic control and prevention of complications. Nursing education can translate clinical recommendations into practical daily behaviors, including medication adherence, dietary management, physical activity, glucose monitoring, foot care, and recognition of warning symptoms.

Aim: This thesis examines the role of structured nursing health education in supporting glycemic control and self-management among adults with type 2 diabetes mellitus. The educational model emphasizes individualized

counseling, understandable written material, reinforcement of key behaviors, and follow-up after the intervention period.

Methods: The supplied thesis describes a quasi-experimental nursing education approach involving adults with type 2 diabetes mellitus in Baghdad, Iraq. The intervention framework includes educational booklets, lectures, individualized nursing counseling, and follow-up assessment. No numerical participant-level results were invented during revision; where the source document did not provide numerical findings, this revised manuscript preserves the methodological framework rather than manufacturing data.

Conclusion: Nurse-led education is an important component of person-centered diabetes care. A structured program can strengthen knowledge, self-care skills, adherence, and communication between patients and healthcare professionals. The revised document removes duplicated passages, standardizes academic formatting, and presents the thesis as an editable 40-page manuscript.

The document has been reconstructed as a single editable Word manuscript. Each numbered page is separated intentionally so that pages do not duplicate one another. Headings are centered, body text is 14-point Times New Roman, A4 margins are 2.5 cm, line spacing is 1.15, and page numbers are inserted in the footer.

The original uploaded file contained repeated blocks of essentially identical text across multiple sections. Those duplicated blocks were not retained as independent academic evidence. Instead, the revision reorganizes the subject into logically progressive sections and expands the nursing content without creating fictitious participant numbers, laboratory results, or statistical values.

For publication submission, the journal-specific title page, author declaration, ethics wording, reporting checklist, and reference style should be adjusted to the target journal. The present file is designed to remain editable and suitable for further academic typesetting.

Chapter One — Introduction

Type 2 diabetes mellitus represents a major long-term nursing and public-health challenge because effective treatment depends not only on prescribed medication but also on daily decisions made by patients. Food choices, physical activity, medication-taking behavior, glucose monitoring, sleep, stress management, and foot care all influence the patient's ability to maintain safe and stable glycemic control.

Nurses have a sustained opportunity to influence these behaviors because they frequently assess patients, explain treatment plans, identify barriers, reinforce skills, and provide follow-up. Nursing education is therefore more than the delivery of information; it is a structured process of assessment, communication, demonstration, feedback, problem solving, and reinforcement.

The clinical value of education is particularly important in chronic disease because a single consultation rarely produces durable behavioral change. Patients may understand a recommendation but still experience difficulty applying it at home because of cost, work schedules, family responsibilities,

health literacy, emotional burden, treatment complexity, or limited access to follow-up.

The present thesis focuses specifically on adults with type 2 diabetes mellitus and the contribution of structured nursing health education to glycemic control and self-management. The study context is Baghdad, Iraq, while the educational affiliation identified in the manuscript is Liverpool College LPC London.

Background and significance

The burden of diabetes has increased substantially worldwide. The World Health Organization reports that the number of people living with diabetes rose from approximately 200 million in 1990 to 830 million in 2022, with rapid increases occurring in low- and middle-income countries. Diabetes is associated with cardiovascular disease, kidney disease, visual impairment, neuropathy, and lower-limb complications.

Type 2 diabetes develops through a combination of insulin resistance, progressive impairment of insulin secretion, and interactions among

genetic, metabolic, behavioral, and environmental factors. The condition can often be managed effectively, but treatment requires continuing attention to glucose control, cardiovascular risk, nutrition, physical activity, medication, and screening for complications.

Glycemic assessment commonly uses glycated hemoglobin (HbA1c), blood glucose monitoring, and, when appropriate, continuous glucose monitoring metrics. Current professional standards emphasize individualized targets rather than a single target for every adult. Education should therefore be adapted to age, comorbidity, treatment burden, hypoglycemia risk, functional status, and patient priorities.

The significance of nursing education lies in connecting these clinical principles with practical self-care. Effective education should be understandable, culturally responsive, measurable, and repeated when necessary. It should also encourage patients to participate actively in goal setting rather than positioning them as passive recipients of instructions.

Problem statement

Persistent difficulties with diabetes self-management may contribute to suboptimal glycemic control even when effective pharmacological therapies are available. Patients may miss doses, misunderstand instructions, underestimate the importance of follow-up, or have difficulty integrating dietary and activity recommendations into ordinary routines.

From a nursing perspective, the problem is not simply a knowledge deficit. Diabetes self-management is a complex behavior influenced by confidence, motivation, perceived benefits, social support, access to care, treatment burden, and previous experiences with healthcare. An educational intervention should therefore address both knowledge and the practical skills needed to act on that knowledge.

The study problem can be stated as follows: adults with type 2 diabetes mellitus may require structured, repeated, and individualized nursing education to improve self-management and support glycemic control. A quasi-experimental nursing education model provides a practical way to evaluate change before and after an organized educational program.

The revised thesis retains this problem orientation and avoids unsupported claims about effect size. Where the original source did not provide numerical outcomes, the document does not create artificial values. This is essential for academic integrity and for later insertion of verified statistical results from the original dataset.

im, objectives, and research questions

The principal aim is to evaluate the contribution of structured nursing health education to glycemic control and diabetes self-management among adults with type 2 diabetes mellitus.

The specific objectives are to assess baseline knowledge and self-care practices; provide structured education using lectures, educational booklets, and individualized counseling; reinforce medication adherence, nutrition, physical activity, glucose monitoring, and complication prevention; and assess changes after the planned follow-up period.

The research questions are: Does structured nursing education improve diabetes-related knowledge and self-management behaviors? Does participation in an organized nursing education program support improved

glycemic indicators? Which elements of self-care require the greatest reinforcement during follow-up?

These objectives are intentionally written so that they can be matched to measurable variables in the final dataset. The wording does not assume a particular statistical result. This distinction is important when converting a thesis into a journal article because the final results must come directly from verified observations.

Chapter Two — Literature Review: diabetes self-management

Diabetes self-management education and support has developed from simple information provision into a structured clinical process. Modern programs emphasize assessment of individual needs, collaborative goal setting, behavioral skills, problem solving, psychosocial support, and ongoing follow-up.

Evidence syntheses consistently suggest that structured education can improve aspects of diabetes self-management and glycemic outcomes, although effects vary according to intervention intensity, duration, follow-up, baseline control, and the characteristics of the participants. This

variation supports individualized intervention design rather than a one-size-fits-all approach.

Nurse-led programs are particularly relevant because nurses commonly have repeated contact with patients and can integrate education into routine assessment and chronic disease follow-up. A nurse can identify misunderstandings, observe self-care skills, reinforce successful behaviors, and refer problems requiring medical or multidisciplinary management.

The literature therefore supports evaluating nursing education as a component of comprehensive diabetes care while recognizing that education is one element within a broader system involving medication, nutrition, physical activity, access to care, and social determinants.

Literature Review: nurse-led interventions

A systematic review of nurse-led diabetes self-management programs examined intervention content, frequency, duration, and effects on glycosylated hemoglobin. The review identified multiple studies and supports the clinical relevance of structured nurse-led self-management interventions for adults with type 2 diabetes.

More recent evidence continues to support nurse-led self-management education. A 2025 meta-analysis reported improvements in longer-term HbA1c outcomes and self-efficacy, while also noting substantial heterogeneity between interventions. The finding highlights the importance of specifying exactly what nurses teach, how often education is delivered, and how outcomes are measured.

Educational interventions may include individual counseling, group sessions, printed material, telephone reinforcement, digital support, or combinations of these methods. The present thesis emphasizes lectures and educational booklets together with individualized nursing counseling, creating opportunities for both standardized teaching and personalized problem solving.

For academic reporting, intervention fidelity should be described clearly. A reader should be able to determine the number of sessions, approximate duration, topics covered, educational materials used, and the timing of follow-up. This allows replication and meaningful comparison with previous research.

Literature Review: medication adherence

Medication adherence is a central component of diabetes management. Non-adherence may result from forgetfulness, complex regimens, adverse effects, cost, misconceptions, fear of hypoglycemia, or the belief that medication is unnecessary when symptoms are absent.

Nursing education can address these barriers by clarifying the purpose of each prescribed medicine, the importance of consistent timing, expected benefits, common adverse effects, and appropriate responses to missed doses. Nurses should not independently alter prescriptions; rather, they should identify concerns and communicate them to the appropriate prescriber.

Adherence counseling is more effective when it is nonjudgmental. Patients should be invited to describe what actually happens at home. Asking about missed doses, daily routines, beliefs, and practical barriers can reveal problems that are not identified by simply asking whether the patient is compliant.

The educational intervention should therefore emphasize collaborative problem solving. A practical plan might link medication-taking to established routines, use reminders where appropriate, and encourage patients to bring questions or medication lists to follow-up visits.

Literature Review: **nutrition and physical activity**

Nutrition education in type 2 diabetes should focus on sustainable patterns rather than unnecessary restriction. Patients benefit from understanding portion size, carbohydrate-containing foods, fiber-rich foods, vegetables, healthy fats, meal timing, and the relationship between dietary patterns and glucose levels.

Nursing education should remain within professional scope and coordinate with dietitians or other qualified professionals when individualized therapeutic nutrition planning is required. The nurse can reinforce agreed recommendations and assess whether the patient can apply them in daily life.

Physical activity is another major component of self-management. Education should consider the patient's age, fitness, comorbidities, medication regimen, foot health, and risk of hypoglycemia. Patients should be encouraged to follow individualized activity advice and to recognize circumstances requiring caution or professional guidance.

The educational message should avoid presenting diet or exercise as a substitute for prescribed treatment. Instead, nutrition and activity are described as complementary behaviors that can support glycemic control, cardiovascular health, physical functioning, and quality of life.

Literature Review: health literacy and communication

Health literacy influences the patient's ability to obtain, understand, evaluate, and use health information. Diabetes education should therefore avoid unnecessary technical language and should use clear explanations, examples, visual aids, and confirmation of understanding.

Teach-back is a useful nursing communication technique. Instead of asking only whether the patient understands, the nurse asks the patient to explain or demonstrate the key point in their own words. This approach reveals misunderstandings without blaming the patient.

Cultural and social context also matters. Food traditions, family roles, work patterns, financial limitations, and beliefs about illness can influence self-management. An educational program that ignores these factors may be technically accurate but practically ineffective.

Patient-centered communication requires respect for autonomy. The nurse should support informed choices, identify achievable goals, and negotiate realistic changes rather than relying exclusively on instructions. This approach is consistent with contemporary chronic disease care.

Literature Review: follow-up and reinforcement

Education delivered once may be forgotten or may not translate into sustained behavior. Follow-up allows the nurse to identify which recommendations were adopted, which were difficult, and which require modification.

Reinforcement should focus on the patient's current priorities. If medication adherence is stable but dietary routines remain difficult, the next educational contact should address the dietary barrier rather than repeating all information equally.

Written booklets can support continuity because patients can review key messages between visits. However, written material should complement—not replace—interactive teaching. The nurse should check whether the patient can apply the information rather than assuming that reading equals learning.

The planned follow-up period in the study framework is important because glycemic outcomes may require time to change. A three-month assessment

is clinically meaningful when HbA1c is used because it broadly reflects the preceding months of glycemic exposure.

Chapter Three — Conceptual and theoretical framework

The educational intervention can be understood through principles of self-management support and adult learning. Adults generally learn more effectively when new information is relevant to an immediate problem, connected to prior experience, and presented in a way that allows active participation.

The framework begins with assessment of knowledge, skills, barriers, and priorities. The nurse then provides tailored education, demonstration, practice, feedback, and reinforcement. The expected pathway is that improved knowledge and confidence support healthier behaviors, which may contribute to improved glycemic outcomes.

The model is not deterministic. Many factors outside the intervention can influence HbA1c, including medication changes, illness, baseline metabolic control, diet, physical activity, access to care, and social circumstances.

Therefore, interpretation should consider the intervention as one contributor rather than the sole cause of change.

The conceptual pathway can be summarized as: nursing assessment → structured education → skill development and self-efficacy → improved self-management behaviors → improved glycemic management and complication prevention. This pathway provides a logical structure for selecting variables and interpreting findings.

Chapter Four — Methodology: design

The study is described as a quasi-experimental investigation of structured nursing health education among adults with type 2 diabetes mellitus. The design is appropriate when an educational intervention is delivered in a real clinical setting and random allocation is not feasible or not part of the original study plan.

A pre-intervention assessment establishes the baseline status of participants. The educational program is then delivered using the planned teaching methods, followed by reassessment after the specified follow-up period.

The strength of the design depends on consistent intervention delivery and reliable outcome measurement.

Because quasi-experimental studies may be influenced by external changes, interpretation should consider potential confounding factors. Examples include medication adjustments, changes in access to care, acute illness, seasonal behavior changes, and differences in participant adherence to the educational program.

The revised manuscript does not invent a control-group structure, sample size, or statistical estimate that was absent from the supplied source. These elements should be inserted exactly as documented in the original research protocol and dataset before journal submission.

Methodology: setting and participants

The study setting is Baghdad, Iraq. The nursing context is relevant because chronic disease management requires continuity between clinical encounters and daily self-care. The educational affiliation identified for the author is Liverpool College LPC London; the academic affiliation is distinct from the clinical study setting.

The target population comprises adult patients with type 2 diabetes mellitus. Eligibility criteria should be stated in the final statistical manuscript exactly as used during recruitment, including age range, diagnostic criteria, attendance requirements, and any exclusions.

Participant recruitment should follow the approved study protocol. The researcher should document how eligible participants were identified, how consent was obtained, and how confidentiality was maintained. Recruitment procedures should not be reconstructed from assumptions when the original records are unavailable.

For the final journal version, the participant flow should be reported transparently, including the number assessed for eligibility, enrolled, completing follow-up, and included in analysis. These figures must come from the original study records.

Methodology: **intervention content**

The nursing educational intervention is structured around core self-management domains: understanding type 2 diabetes, glycemic

monitoring, medication adherence, nutrition, physical activity, foot care, prevention of complications, recognition of warning signs, and appropriate use of healthcare services.

Educational booklets provide a standardized reference. Lectures allow the researcher to explain concepts, answer questions, and correct misconceptions. Individualized counseling allows the nurse to identify patient-specific barriers and negotiate practical solutions.

The intervention should be delivered in language that participants can understand. The educator should use examples relevant to ordinary life and confirm understanding through questions or teach-back. Education should also allow participants to ask questions without fear of criticism.

Intervention fidelity is important for reproducibility. The final research report should specify the number of sessions, approximate duration, interval between sessions, topics per session, materials used, and procedures for missed sessions if those details were part of the original protocol.

Methodology: outcome measures

The primary clinical outcome is glycemic control, which may be represented by HbA1c or another validated glucose measure used in the original study. Secondary outcomes may include diabetes knowledge, medication adherence, self-care behaviors, dietary practices, physical activity, and perceived self-efficacy if these were measured in the original dataset.

Outcome definitions must be operational. For example, if adherence was measured with a questionnaire, the final manuscript should identify the instrument, scoring method, interpretation, and evidence of validity or reliability. If knowledge was assessed with researcher-developed questions, the development and validation process should be described.

Measurements should be collected at consistent time points. When HbA1c is used, the timing of follow-up should be interpreted in relation to the biological period represented by the test. Other outcomes may change more quickly or more slowly, so the measurement schedule should be justified.

The revised thesis avoids inserting unsupported numerical values. This protects the integrity of the original study and leaves a clear location for verified results when the primary dataset or official statistical output is available.

Methodology: data collection procedure

Data collection begins with participant assessment and informed consent. Baseline characteristics and relevant clinical variables are recorded according to the approved study instrument. The nurse then provides the structured education and documents participation according to the protocol.

During education, the researcher should monitor engagement and identify questions or barriers. Consistent delivery is particularly important in quasi-experimental research because variations in the intervention can influence outcomes independently of participant characteristics.

Follow-up assessment should use the same or appropriately equivalent instruments used at baseline. Changes in measurement conditions should

be documented. If a participant misses follow-up, the reason should be recorded rather than assuming that missing data indicate treatment failure or success.

Data should be stored securely with identifiers separated from analysis variables when possible. Access should be limited to authorized personnel, and reporting should avoid information that could identify individual participants.

Methodology: validity, reliability, and quality control

Measurement validity concerns whether an instrument actually assesses the intended construct. Reliability concerns the consistency of measurement. Both are important because a poorly performing instrument can obscure a genuine intervention effect or create an apparent change that is not real.

For researcher-developed questionnaires, content validity can be supported through expert review and systematic mapping of items to the study objectives. Pilot testing can identify unclear wording and excessive respondent burden. Reliability can be examined using an appropriate statistical method for the type of data collected.

Intervention quality also requires standardization. An educator guide, session checklist, or structured teaching plan can reduce variation between participants. However, standardization should not eliminate appropriate individualized counseling.

The final publication should report the actual validity and reliability evidence used in the study. If those procedures were not performed, the manuscript should state that limitation rather than retrospectively claiming validation.

Methodology: statistical analysis plan

Descriptive analysis should summarize participant characteristics and baseline variables using measures appropriate to the data distribution. Continuous variables may be summarized with means and standard deviations or medians and interquartile ranges, while categorical variables may be summarized using frequencies and percentages.

For pre-post comparisons, the statistical test should be selected according to the measurement scale, distribution, and study design. Paired analyses are appropriate for repeated measurements on the same participants when

assumptions are satisfied. Nonparametric alternatives may be used when assumptions are not met.

The analysis should report effect estimates and confidence intervals where appropriate, not only p-values. Clinical importance should be discussed separately from statistical significance. Missing data and participant attrition should also be reported transparently.

Because the supplied source did not contain a verified numerical results table, this revision does not manufacture p-values, means, standard deviations, confidence intervals, or sample sizes. The final statistical outputs should be inserted from the original dataset.

Chapter Five — Nursing educational intervention: session structure

Session 1 should establish the patient's baseline understanding and explain the nature of type 2 diabetes. The nurse can clarify the difference between symptoms and underlying disease processes, explain why long-term control matters, and identify the patient's most important concerns.

Session 2 can focus on glucose monitoring and medication safety. Teaching should include the purpose of monitoring, recording results, recognizing

patterns, and communicating concerns. Medication education should reinforce the prescribed regimen without introducing unsupervised changes.

Session 3 can address nutrition, physical activity, and weight-related goals. The focus should be on realistic behavior change, portion awareness, healthy food choices, regular activity as clinically appropriate, and identification of barriers that make recommendations difficult to follow.

Session 4 can reinforce complication prevention, foot care, recognition of hypoglycemia and hyperglycemia, and appropriate follow-up. The final part of the program should review the patient's goals and identify which behaviors require continued reinforcement.

Nursing education: individualized counseling

Individualized counseling begins with listening. The nurse should ask what the patient already knows, what has been difficult, what changes have been attempted, and what the patient considers achievable. This approach avoids delivering identical advice to people with very different circumstances.

Goal setting should be specific and observable. A patient may choose a practical goal such as improving consistency of medication timing, recording glucose measurements as instructed, or adding an agreed activity routine. Goals should be reviewed rather than assumed to have been completed.

Problem solving is central to counseling. If a patient cannot follow a recommendation because of work, cost, family meals, or access to equipment, the nurse should help identify feasible alternatives within the clinical plan and refer issues requiring other professionals.

The counseling process should maintain respect and autonomy. The nurse's role is to support informed self-management, not to blame patients for

imperfect adherence. A nonjudgmental approach encourages honest disclosure and makes follow-up more useful.

Nursing education: teach-back and skills demonstration

Teach-back is a practical method for confirming understanding. After explaining a concept, the nurse asks the patient to describe it in their own words. If the explanation is incomplete, the nurse re-teaches the concept and checks again.

Demonstration is useful for tasks such as glucose monitoring, recording readings, or performing a basic foot inspection. Patients should have an opportunity to demonstrate the skill rather than merely watch the nurse perform it.

Written material should reinforce the skill. For example, a monitoring page can contain spaces for date, time, glucose value, and relevant notes. The nurse can review the record at follow-up and identify patterns or barriers without assuming that every abnormal value represents non-adherence.

These techniques transform education from a one-way lecture into an interactive learning process. They also generate information about which topics require additional reinforcement.

Nursing education: recognizing acute problems

Patients with diabetes should understand common symptoms and warning signs associated with low and high glucose and other acute problems. The exact action plan must follow the patient's prescribed treatment and local clinical protocols.

Education should emphasize that severe symptoms, altered consciousness, persistent vomiting, severe dehydration, breathing difficulty, or other serious signs require urgent medical assessment. The nurse should provide clear instructions consistent with the healthcare setting.

Patients using insulin or medicines that can cause hypoglycemia require particular attention to recognition and immediate management according to their individualized plan. The educational message should be simple enough to use during a stressful event.

Safety education is not intended to replace professional assessment. Instead, it helps patients recognize when routine self-management is appropriate and when urgent or scheduled professional care is needed.

Chapter Six — Outcome assessment and data analysis

Outcome assessment should distinguish between process outcomes and clinical outcomes. Process outcomes include attendance, completion of educational sessions, and demonstrated skills. Behavioral outcomes include adherence and self-care practices. Clinical outcomes may include HbA1c and other laboratory or physiological measures.

A useful evaluation framework considers whether the intervention was delivered as planned, whether participants engaged with it, whether self-management changed, and whether clinical indicators changed. This layered approach helps explain why an intervention may succeed or fail.

When the original dataset is available, results should be presented with exact denominators. Percentages should be accompanied by the number of participants represented. Continuous variables should identify the measurement scale and time point.

The present revision intentionally separates formatting correction from statistical reconstruction. No invented result is presented as a finding. This protects the thesis from an academically serious problem: reporting numbers that were never observed or analyzed.

Outcome domains: knowledge and self-care

Knowledge assessment can determine whether the educational content was understood. Relevant domains include disease understanding, medication purpose, glucose monitoring, nutrition, physical activity, foot care, and recognition of warning signs.

Self-care assessment asks whether knowledge translates into action. Examples include medication-taking routines, glucose monitoring as instructed, healthy eating behaviors, physical activity, foot inspection, and attendance at follow-up care.

A change in knowledge does not automatically prove a change in behavior. Conversely, behavior may improve even when a knowledge score changes

little. Interpretation should therefore consider each outcome separately and examine whether the pattern is clinically coherent.

If a validated instrument was used, the final manuscript should retain its exact name and scoring method. If a researcher-developed tool was used, its development and psychometric properties should be reported accurately.

Outcome domains: glycemic indicators

HbA1c is a central outcome for many diabetes education studies because it reflects average glycemic exposure over a period of several weeks to months. Current professional standards also recognize blood glucose monitoring and continuous glucose monitoring metrics as useful measures in appropriate patients.

Interpretation should account for factors that may affect the accuracy of HbA1c. The clinical team should consider relevant hematologic conditions, recent transfusion, altered red-cell survival, pregnancy, and other circumstances identified in current guidance.

A clinically meaningful change should be interpreted alongside baseline status and patient circumstances. Statistical significance alone does not

determine whether a change is important to the patient or likely to alter long-term risk.

The final thesis should report the exact measurement method, laboratory or device context when relevant, timing of assessment, and the statistical comparison used. These details improve reproducibility.

Results reporting framework

The results chapter should begin with participant flow and baseline characteristics. The reader should be able to understand who participated, how many completed follow-up, and whether important baseline variables changed or differed between relevant groups if a comparison group was used.

The next section should report the primary outcome. If HbA1c was the primary endpoint, baseline and follow-up values should be shown with the appropriate summary statistics and inferential analysis. The effect estimate and confidence interval should be reported where possible.

Secondary outcomes should then be presented in a logical order matching the objectives. Knowledge, adherence, self-care, dietary behavior, activity, and other measured outcomes should not be mixed together without clear definitions.

Because the uploaded source contained no verified numerical results, this document does not present fabricated results. The tables below are therefore designed as editable reporting structures rather than claims about observed data.

Editable results tables

The following table structures can be populated directly from the original dataset. They are intentionally blank rather than filled with invented numbers. This preserves the distinction between a formatted thesis and a reconstructed dataset.

Table A. Participant characteristics should include the variables actually collected, such as age, sex, duration of diabetes, treatment category, and relevant clinical characteristics. Only variables approved and collected in the original study should be included.

Table B. Primary outcome should present baseline and follow-up glycemic measures, the change between time points, the statistical test used, and an effect estimate when appropriate.

Table C. Secondary outcomes should follow the same principle for knowledge, medication adherence, self-care behaviors, and other variables actually measured.

Discussion

The discussion should begin with the principal finding and then compare it with previous evidence. If the verified dataset demonstrates improved glycemic control, the discussion can relate the finding to evidence supporting nurse-led education. If no significant change is found, the discussion should explore plausible explanations without presenting speculation as fact.

Potential mechanisms include improved understanding, increased self-efficacy, more consistent medication-taking, better dietary choices, greater physical activity, improved monitoring, and earlier recognition of

problems. These mechanisms should be discussed only to the extent supported by the measured outcomes and the literature.

The discussion should also consider implementation factors. The intensity of education, quality of counseling, participant engagement, accessibility of materials, and follow-up duration may influence outcomes. Heterogeneity in previous studies means that differences between interventions should be described rather than hidden.

The study context in Baghdad is important because social, healthcare, and resource conditions may influence diabetes self-management. The final discussion should describe contextual factors documented during the research rather than generalizing from assumptions.

Conclusions and recommendations

The thesis supports the role of structured nursing health education as an important component of care for adults with type 2 diabetes mellitus. Education can provide patients with practical knowledge and skills for medication use, monitoring, nutrition, activity, foot care, and complication prevention.

The conclusion should remain proportional to the evidence. A quasi-experimental study can demonstrate an association between an intervention and observed change, but causal interpretation is strengthened when alternative explanations are addressed and when measurement is rigorous.

Recommendations for nursing practice include integrating structured education into routine diabetes follow-up, using individualized counseling, applying teach-back, reinforcing self-management skills, and maintaining follow-up rather than relying on a single teaching encounter.

Recommendations for research include larger samples, clearly specified comparison groups when feasible, longer follow-up, validated outcome measures, assessment of intervention fidelity, and transparent reporting of missing data and effect estimates.

Limitations and strengths

Potential limitations of a quasi-experimental design include lack of randomization, susceptibility to confounding, limited generalizability from a single setting, and reliance on self-reported behavioral outcomes. These

limitations should be reported according to what actually occurred in the study.

If participant attrition occurred, the reasons and implications should be described. Loss to follow-up can bias results when participants who remain differ systematically from those who do not complete assessment.

Potential strengths include the practical clinical setting, direct involvement of nurses, use of structured educational materials, individualized counseling, and follow-up assessment. These features can improve relevance to routine chronic disease care.

The final manuscript should avoid overstating strengths. A strength is valuable only when it is supported by the actual study procedures. This principle is particularly important when preparing the work for peer review.

Ethics, **funding**, **conflicts**, **and author contribution**

Ethical approval and written informed consent are identified in the supplied manuscript. The final publication should provide the exact approving

committee name and approval identifier if available in the official research records.

Participant confidentiality should be protected during data collection, storage, analysis, and publication. Only information necessary for scientific reporting should be included, and no individual participant should be identifiable from the manuscript.

The supplied manuscript states that no external funding was received and that the author declares no conflict of interest. These statements should be retained only if they accurately reflect the final submission circumstances.

Author contribution: the author conceived the study, collected and analyzed data, interpreted findings, prepared the manuscript, and approved the final version. Any additional contributors or changes in contribution should be updated before submission.

Clinical and nursing implications

The principal clinical implication is that diabetes education should be treated as an ongoing nursing responsibility within the multidisciplinary

plan of care. Education is most useful when connected to assessment, goal setting, demonstration, reinforcement, and follow-up.

Nursing services can use structured educational pathways to reduce variation in essential teaching. A pathway can identify the minimum topics that should be addressed while allowing individualized counseling for patient-specific concerns.

Healthcare organizations can strengthen education by ensuring adequate time, appropriate educational materials, referral pathways, and access to multidisciplinary professionals. Nurses should have clear protocols for escalation when patients report symptoms or barriers beyond their scope.

At the patient level, the desired outcome is not simply greater knowledge. The ultimate purpose is safer and more sustainable self-management, better communication with healthcare professionals, prevention or delay of complications, and support for quality of life.

Dissemination and publication preparation

Before journal submission, the thesis should be converted to the exact article structure requested by the target journal. This may require

shortening the literature review, moving detailed methods to supplementary material, and presenting the primary outcome prominently.

The title page should match the journal system exactly. Author names, affiliations, corresponding-author information, ethics statements, funding, conflict-of-interest declarations, data availability, and author contributions should be consistent across the manuscript and submission portal.

References should be checked against the final text so that every cited source appears in the reference list and every reference listed is actually cited where required by the journal. DOI and PMID information should be verified rather than copied from uncertain secondary sources.

Figures and tables should be numbered consistently and referenced in the text. The current revised file is intentionally editable so that journal-specific formatting, statistical tables, and verified study results can be inserted without rebuilding the document.

المصادر والمراجع العلمية الحقيقية

مراجع موثقة ومرتبطة بموضوع التثقيف الصحي التمريضي وضبط سكر الدم لدى البالغين المصابين بداء السكري من النوع الثاني

1. World Health Organization. Diabetes. Fact sheet. 14 November 2024. Available from: https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/diabetes

2. American Diabetes Association Professional Practice Committee for Diabetes. 1. Improving Care and Promoting Health in Populations: Standards of Care in Diabetes—2026. Diabetes Care. 2026;49(Suppl 1):S13–S26. doi:10.2337/dc26-S001. PMID:41358887.

3. American Diabetes Association Professional Practice Committee for Diabetes. 2. Diagnosis and Classification of Diabetes: Standards of Care in Diabetes—2026. Diabetes Care. 2026;49(Suppl 1):S27–S49. doi:10.2337/dc26-S002. PMID:41358893.

4. American Diabetes Association Professional Practice Committee for Diabetes. 6. Glycemic Goals, Hypoglycemia, and Hyperglycemic Crises: Standards of Care in Diabetes—2026. Diabetes Care. 2026;49(Suppl 1):S132–S149. doi:10.2337/dc26-S006. PMID:41358894.

5. Sun J, Fan Z, Kou M, Wang X, Yue Z, Zhang M. Impact of nurse-led self-management education on type 2 diabetes: a meta-analysis. Front

Public Health. 2025;13:1622988. doi:10.3389/fpubh.2025.1622988. PMID:40860544.

6. Yuksel M, Bektas H, Canli Ozer Z. The effect of nurse-led diabetes self-management programmes on glycosylated haemoglobin levels in individuals with type 2 diabetes: A systematic review. Int J Nurs Pract. 2023;29(6):e13175. doi:10.1111/ijn.13175. PMID:37394284.

7. Mustikaningtias I, Widayanti AW, Samodro P, Yasin NM. Effective Education Methods to Improve Glycemic Control in Type 2 Diabetes Mellitus Patients: A Systematic Review. J Prev Med Public Health. 2025;58(5):453–464. doi:10.3961/jpmph.25.025. PMID:40534360.

8. Beck J, Greenwood DA, Blanton L, et al. 2017 National Standards for Diabetes Self-Management Education and Support. Diabetes Care. 2017;40(10):1409–1419. doi:10.2337/dci17-0025. PMID:28754780.

9. Davis J, Fischl AH, Beck J, et al. 2022 National Standards for Diabetes Self-Management Education and Support. Diabetes Care. 2022;45(2):484–494. doi:10.2337/dc21-2396. PMID:35050365.

10. Zhao FF, Suhonen R, Koskinen S, Leino-Kilpi H. Theory-based self-management educational interventions on patients with type 2 diabetes: a systematic review and meta-analysis of randomized controlled trials. J Adv Nurs. 2017. doi:10.1111/jan.13163. PMID:27681948.

11. Mustapa A, Justine M, Manaf H. Effects of patient education on the quality of life of patients with type 2 diabetes mellitus: a scoping review. Malays Fam Physician. 2022;17(3):22–32. doi:10.51866/rv.208. PMID:36606173.

12. Monami M, et al. Self-management in patients with type 2 diabetes: group-based versus individual education. A systematic review with meta-analysis of randomized trials. Nutr Metab Cardiovasc Dis. 2022. doi:10.1016/j.numecd.2021.10.005. PMID:34893413.

13. Duke SA, Colagiuri S, Colagiuri R. Individual patient education for people with type 2 diabetes mellitus. Cochrane Database Syst Rev. 2009.

14. Deakin T, McShane CE, Cade JE, Williams RDRR. Group based training for self-management strategies in people with type 2 diabetes mellitus. Cochrane Database Syst Rev. 2005.

15. Chatterjee S, Davies MJ, Heller S, Speight J, Snoek FJ, Khunti K. Diabetes structured self-management education programmes: a narrative review and current innovations. Lancet Diabetes Endocrinol. 2018.

16. Hailu FB, Hjortdahl P, Moen A. Nurse-led diabetes self-management education improves clinical parameters in Ethiopia. Front Public Health. 2018;6:302.

17. Tamiru S, Dugassa M, Amsalu B, et al. Effects of nurse-led diabetes self-management education on self-care knowledge and self-care behavior among adult patients with type 2 diabetes mellitus attending diabetes follow-up clinic: A quasi-experimental study design. Int J Africa Nurs Sci. 2023;18:100548.

18. Aghakhani N, Lopez V, Eghtedar S, Abolfathpour P. Nurse-Led Diabetes Self-Management Education: An Essential Strategy for Improving Self-Care Knowledge and Behavior among Individuals with Diabetes. Int J Community Based Nurs Midwifery. 2025;13(1):90–92. doi:10.30476/ijcbnm.2024.104605.2643. PMID:39906251.

19. Zhang Y, et al. The effects of a nurse-led integrative medicine-based structured education program on self-management behaviors among individuals with newly diagnosed type 2 diabetes: a randomized controlled trial. 2022. PMID:35932073.

20. Nurse-led patient-centered self-management support improves HbA1c in patients with type 2 diabetes—A randomized study. 2016. PMID:27372525.

جدول التحقق من المصادر والمراجع

رقم	المصدر	نوع المصدر	المعرّف
1	World Health Organization — Diabetes	مصدر رسمي دولي	WHO, 2024
2–4	American Diabetes Association — Standards of Care 2026	إرشادات سريرية	DOI/PMIDموثق

PMID 40860544	تحليل تلوي	Sun et al. — nurse-led DSME meta-analysis	5
PMID 37394284	مراجعة منهجية	Yuksel et al. — nurse-led DSM programmes	6
PMID 40534360	مراجعة منهجية	Mustikaningtias et al. — education methods	7
DOI/PMIDعند توفره	أدلة علمية	دراسات وإرشادات ومراجعات إضافية	8–20

ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية: رؤية تأصيلية في آفاق الحداثة المعاصرة

Scientific and Educational Constants of the Holy Quran: An Establishing Vision in the Horizons of Contemporary Modernity

عبد الكريم كامل حسين عبد

المديرية العامة لتربية الانبار – bd7659356@gmail.com

الملخص: يهدف هذا البحث إلى بيان ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية، وتقديم رؤية تأصيلية نقدية لها في آفاق الحداثة المعاصرة. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لتأصيل مفاهيم الثوابت والمتغيرات، واستعراض نماذج بارزة من الثوابت العلمية التجريبية (كالأجنة، والكون، والوظائف الحيوية) والثوابت التربوية والأخلاقية (كالصدق، والوفاء، والرحمة)، فضلاً عن بيان تجليات هذه الثوابت في تقويم إشكاليات الحداثة المادية ومواجهة تحدياتها الفكرية. وتوصل البحث إلى أن الثوابت القرآنية تمثل الأصول القطعية المحكمة التي لا تتبدل بتغير الزمان والمكان، مقدمةً حلولاً جذرية لمعالجة أزمة المعنى والانفصام بين العلم والأخلاق، بما يحقق التوازن المنشود بين أصالة النص الشرعي ومتطلبات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: قرآن، ثابت، متغير، حداثة، تأصيل، تربية، إعجاز، قيمة.

Abstract: This research aims to demonstrate the scientific and educational constants of the Holy Quran and present a critical, foundational vision for them within the horizons of contemporary modernity. The research

adopted a descriptive-analytical approach to ground the concepts of constants and variables, reviewing prominent examples of empirical scientific constants (such as embryology, the universe, and vital functions) and educational-ethical constants (such as truthfulness, loyalty, and mercy), as well as illustrating the manifestations of these constants in evaluating the dilemmas of material modernity and addressing its intellectual challenges. The research concludes that Quranic constants represent definitive foundational principles that do not change with the passage of time or place, providing radical solutions to address the crisis of meaning and the dichotomy between science and ethics, thereby achieving the desired balance between the authenticity of the legal text and the requirements of contemporaneity.

Keywords: Quran, constant, variable, modernity, grounding, education, inimitability, value.

المقدمة:

الحمد لمستحق الحمد رب العالمين الحقّ الذي لا يتحوّل ولا يتبدّل، منزل القرآن الكريم على قلب سيدنا محمد النبي الأمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم هو أعظم أبواب الهداية، وأجلّ سُبل الفلاح، أنزله الله تعالى على عباده هدىً ورحمةً وذكرى للذاكرين؛ وهو كتابٌ بحرُه عميق، وخزائنه ملأى، لا تنقضي عجائبه، ولا يصل إلى استخراج كنوزه الدفينة إلّا من تبحّر في علومه، واستضاء بنور التقوى في سرّه وعلانيته. وقد جاءت عقيدة القرآن الكريم وتعاليمه واضحة جلية، تحاكي عقول الناس وقلوبهم على اختلاف مشاربهم، تحقيقاً لمصالحهم في العاجلة والآجلة.

وممّا لا شكّ فيه أن هناك ثوابت نتمسك بها بوصفها أصولاً قطعية الثبوت والدلالة والإجماع الصحيح، كأصول الدين والقطعيات الشرعية التي لا تقبل التبديل. وفي المقابل، توجد دائرة للمتغيرات التي تساير تطور الحياة وتجددها. غير أن الخطير في المشهد الفكري المعاصر هو تصاعد السعي الحثيث نحو تقليص دائرة "الثوابت" وتفريغها لتكون مجرد مجردات عقلية بحتة، مقابل توسيعٍ جائرٍ لدوائر "المتغيرات" حتى امتد التغيير ليشمل أصولاً عقدية وتشريعية ومنهجية؛ الأمر الذي أفرز تحديات كبرى تستوجب وقفةً جادةً من الباحثين والأكاديميين في مواجهة إشكاليات الحداثة المادية وسيولة القيم.

وانطلاقاً من الضرورة الملحة لحراسة المعرفة الشرعية، وربط الأصالة الإنسانية بروح الحداثة المعاصرة، برزت الحاجة الملحة إلى تأصيل المفاهيم القرآنية الكبرى وإبراز طبيعتها الراسخة في البعدين العلمي والتربوي؛ لتقديم رؤية واعية قادرة على نقد وتقويم آفاق الحداثة المعاصرة بمنهجية علمية رصينة. من هنا، تبلورت فكرة هذه الدراسة لتسليط الضوء على تلك

المرتكزات التي لا تتغير ولا تتبدل بل تبقى منارةً راسخة تنير طريق السالكين، فكانت هذه الدراسة الموسومة بـ: **(ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية: رؤية تأصيلية في آفاق الحداثة المعاصرة)**.

مشكلة البحث: تبرز مشكلة البحث في ظل التحديات الفكرية والمعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية، وتحديداً محاولات السعي الحثيث لتقليص دائرة "الثوابت" الشرعية وتفريغها من محتواها لتصبح مجرد مجردات عقلية، مقابل التوسع الجائر في دائرة "المتغيرات" لتشمل أصولاً عقدية وتشريعية وثوابت قرآنية لا تقبل التبديل. ومن هنا تحددت مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي:

- **ما طبيعة ثوابت القرآن الكريم في أبعادها العلمية والتربوية؟ وكيف يمكن تأصيلها فهماً واستدلالاً لمواجهة التحديات الفكرية المعاصرة؟** ويتفرع عن هذا التساؤل تساؤلات فرعية عدة، منها: ما مفهوم الثوابت والقرآن لغة واصطلاحاً؟ وما أبرز الثوابت العلمية والتربوية المستمدة من النص القرآني؟ وكيف تسهم هذه الثوابت في بناء رؤية تأصيلية راسخة في آفاق الحداثة المعاصرة؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضيات رئيسية تسعى الدراسة إلى إثباتها والتحقق منها، وهي:

1. يزخر القرآن الكريم بمنظومة محكمة من الثوابت الراسخة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، والتي تمثل المرتكز الآمن للفكر الإسلامي.
2. إن إغفال الثوابت العلمية والتربوية في النص القرآني أو محاولة تمييعها يؤدي إلى اضطراب منهجي وفكري في بناء الشخصية المسلمة وتوجيه العلوم المعاصرة.
3. تملك ثوابت القرآن الكريم مرونة تأصيلية وقدرة ذاتية على توجيه الحداثة المعاصرة وتهذيب مخرجاتها بما يخدم الإنسانية ويحقق الأصالة المنشودة.

أهداف البحث:

1. دراسة كتاب الله عزّ وجل وفق المنهج العلمي الرَّصين، وبيان فوائده ومعانيه الأصيلة.
2. تجلية مفهوم الثوابت القرآنية وبيان طبيعتها الراسخة في البعدين العلمي والتربوي.
3. المساهمة في تدبُّر القرآن الكريم واستنطاق دلالاته وفق متطلِّبات العصر وآفاق الحداثة المعاصرة.
4. تقديم رؤية تأصيلية متكاملة تسهم في حراسة الثوابت الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بدراسة رصينة.

أسباب اختيار البحث: من المعلوم أنّ القرآن الكريم لا تنقطع دلائله ولا تنقضي عجائبه، ففي كلّ وقت وحين تُكتَشَف ذخائره ومعانيه وإرشاداته بوصفه دستوراً باقياً إلى يوم الدِّين. وإذا كانت التغيرات سمةً لازمةً لحياة البشر، فإنّ في القرآن الكريم ثوابت راسخة لا تتجه نحو التبدل أو التغير، بل تمثل المرتكز الآمن الذي ينير طريق السالكين وأهل العلم في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة ومحاولات تقليص الثوابت، مما جعل الحاجة ماسة لبيان هذه الثوابت وتأصيلها.

منهج البحث: اقتضت طبيعة الدراسة اتباع **المنهج الوصفي التحليلي**، الذي يصف الظاهرة المدروسة ويحلل أبعادها النظرية والفكرية؛ وذلك بعد استقراء الآيات القرآنيّة المتعلقة بثوابت الموضوع ودلالاتها، وتوضيح المراد منها عبر تصدير الآية الكريمة، واستخراج الثوابت العلمية والتربوية منها، وبيان أقوال العلماء والمفسِّرين، للوصول إلى النتائج المرجوة برؤية تأصيلية معاصرة تزاوج بين الأصالة والابتكار.

الدّراسات السّابقة: من خلال البحث والمطالعة في المكتبات الإسلاميَّة والتراثية، لم أجد –بحسب حد علمي– كتابات مستقلة استوعبت هذا العنوان بصيغته التخصصية الشاملة، غير أن هناك دراسات ومباحث متفرقة مبثوثة في بطون كتب التّفسير، والبلاغة، والدّراسات القرآنيَّة، وأصول التربية؛ فأحببت أن أجمع تلك الشّذرات، وأنتظمها

في عقدٍ مستقلٍّ يرفد المكتبة الإسلامية، ويسهم في جلاء معارف القرآن الكريم واستخراج أسراره الراسخة وفق رؤية تأصيلية معاصرة.

خطَّة البحث: بنيتُ خطَّة البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وتتضمن النتائج وأبرز الفهارس، وفق الهيكل الآتي:

المقدمة :ذكرت فيها أهمية الموضوع والعمل فيه.

المبحث الأوَّل: تعريف مفردات العنوان وبيان الألفاظ ذات الصِّلة:

المطلب الأول: تعريف المفردات لغة واصطلاحًا:

أولاً: الثَّوابت في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: تعريف القرآن لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصِّلة بالموضوع:

المبحث الثاني: الثَّوابت العلميَّة والتَّربويَّة.

المطلب الأول: الثَّوابت العِلْميَّة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الثَّوابت التَّربويَّة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: تجليات الثوابت القرآنية في نقد وتقويم الحداثة المعاصرة.

الخاتمة :وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأوَّل: تعريف مفردات العنوان وبيان الألفاظ ذات الصِّلة:

تمهيد :يُعدّ ضبط المفاهيم وتحديد المصطلحات ركيزةً منهجيةً لا غنى عنها في البحوث العلمية؛ إذ به تتضح المعالم وتزول الشبهات. وسنتناول في هذا المبحث تعريف مفردات العنوان لغةً واصطلاحًا، لنقف على كُنْهِ ومضمون لفظ "الثَّوابت" في المعاجم العربيَّة واصطلاح العلماء، ثم نتطرق لتعريف "القرآن الكريم" لغةً واصطلاحًا، ونبيّن في المطلب الثاني الألفاظ ذات الصِّلة بالموضوع، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف المفردات لغة واصطلاحًا:

إنَّ التوصُّلَ إلى الكشف عن مضمون الشيء يتوقف على فهم معناه ومدلوله، وتعريف الشَّيء هو كشفٌ لماهيَّته؛ لذا لا بدَّ من التعريف بمفردات البحث لغةً واصطلاحًا؛ حيث سنوضح معنى الثَّوابت في الأصل اللغوي وفي اصطلاح الفقهاء، ثم نعرض لتعريف القرآن لغةً واصطلاحًا، وذلك عبر فرعين رئيسيين:

أولاً: الثَّوابت في اللغة والاصطلاح:

أ- الثوابت في اللغة :الثَّوابت في الأصل اللُّغويّ جمع (ثابت)، وتسميتها بالثوابت إطلاق مناسب لها لشبهها بالنجوم الثابتة في استقرارها (ابن دريد، 1987م، ج1: 252)، وثابت اسم فاعل (النجاد، 2011م، ص18)، وقد ورد لفظ الثَّابت في المعاجم العربيَّة بمعانٍ عدة، أبرزها:

1. **الإقامة في المكان والاستقرار فيه** :جاء في (جمهرة اللغة): "ثَبت الشَّيْء يثبت ثباتا وثبوتا فَهُوَ ثَابت. وَرجل ثَبت الْمقَام وثبيت الْمقَام إِذا كَانَ شجاعا لَا يبرح موقفه" (ابن دريد، 1987م، ج1: 252). وجاء في (تهذيب اللغة) للأزهري: "ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتًا؛ إذا أقام به" (الأزهري، 2001م،

ج14: 190). ومن المعاجم الحديثة ما جاء في (المعجم الوسيط): "(ثبت) ثباتًا وثبوتا؛ اسْتقر، ويُقال: ثَبت بِالْمَكَانِ أَقَامَ" (مجمع اللغة العربية، د.ت، ص93).

2. **الديمومة والاستمرار ولزوم الشَّيْء حالةً واحدةً** :ففي (مقاييس اللغة): "أنَّ الثَّاء والباء والتَّاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، يقال: ثبت ثباتًا وثبوتًا" (ابن فارس، 1399هـ، ج1: 399). وجاء في (الفروق اللغوية): "يقال: شيء ثابت؛ بمعنى أنه مستمرٌّ لا يزول" (العسكري، ت.د، ص118). وممَّا شُهد له في القرآن الكريم بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، أي المستقر على الحق دون زوال أو تلعثم.

3. **صِحَّة الأمر وتبيُّنُ حقيقته** :جاء في (جمهرة اللغة): "وأثبته نظرًا إِذَا تبيَّنتَهُ" (ابن دريد، 1987م، ج1: 252). وفي (المعجم الوسيط): "وثبَّت الْأَمر: حَقَّقَهُ وَصَححهُ، ويُقال: أثبت الْكتاب: سجَّله، والحق: أقام حجَّته" (مجمع اللغة العربية، د.ت، ص93).

ب- الثَّوابت في الاصطلاح :لقد عرَّف الفقهاء والباحثون مصطلح الثوابت بتعريفات مختلفة تتكامل مضامينها، نذكر أبرزها من زوايا متعددة:

1. **الاتجاه الأول (الأحكام الدائمة)** :عرَّفها بعضهم بأنَّها: "الأحكام الشَّرعيَّة الدائمة التي لا تتغير بتغير الزمان، فيخرج بذلك الأحكام الشرعية التي تتغيَّر لأيِّ سبب كان، كالأحكام المنوطة بالعُرف" (المزيني، 1428هـ، ص9).

2. **الاتجاه الثاني (الأصول والقواعد الحاكمة)** :عُرّفت بأنَّها: "الأصل أو القاعدة الحاكمة التي تُوجِّه مسيرة الأُمَّة إلى السَّعادة والفلاح، وتُوحِّد الأمَّة اعتقادًا وقِيمًا، وتطردُ الحَيرَة، ولا تحتمل تبديلًا ولا تغييرًا" (حكيم، 1433هـ، ص3).

3. **الاتجاه الثالث (الأحكام القطعية)** :عُرّفت بأنَّها: "الأحكام التي دلت عليها أدلة قطعية الثبوت والدلالة، أو الإجماع الصحيح، وعرِيَتْ عن بناءٍ على متغير" (ظريفي، 2006م، ص14).

ثانيًا: تعريف القرآن لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف القرآن لغةً :القرآن الكريم على وزن (فُعلان) بالضَّم، فهو مصدر كالغفران مصدر (غَفَرَ)، وشُكران مصدر (شكر)؛ لأن القراءة تأتي بمعنى الجمع والضم، وقراءة الشيء: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل (النجاد، 2011م، ص18). قال تعالى مصدقاً هذا المعنى اللغوي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17، 18]؛ أي: قراءته وتلاوته وجمع حروفه، ثم خُصَّ هذا اللفظ العظيم بالكتاب المنزل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فصار كالعلم الشخصي الغالب عليه (النجاد، 2011م، ص18). وقد جاء في (القاموس المحيط): "القُرْآنُ: التَّنْزيلُ" (الفيروزآبادي، 1426هـ، ص49).

ب- تعريف القرآن اصطلاحًا :عَرَّفه الأصوليون والعلماء بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- بلفظه العربي، المعجز بسور منه، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا تواتراً، المتعبد بتلاوته" (النجاد، 2011م، ص18). ومنه ما قرره الإمام الطحاوي في بيان العقيدة السلفية: "وأنه كلام الله، منه بدأ -بلا كيفية- قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًّا..." (ابن أبي العز، 1418هـ، ص172).

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصِّلة بالموضوع:

يتصل بموضوع "ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية" جملة من المصطلحات والمفاهيم المحورية التي تقف في دائرة البيان والتوضيح لتكتمل معالم الإطار النظري، ومن أهمها:

1. **المتغيرات (المقابل الاصطلاحي للثوابت):**

- **لغةً** :مأخوذة من التغير، وهو تحول الشَّيء من حال إلى حال.
- **اصطلاحًا** :هي الأحكام أو الاجتهادات التي تقبل التبدل والتكيف بتغير الزمان، أو المكان، أو الأحوال، أو الأعراف، شريطة ألا تصطدم بنص قطعي أو أصل ثابت. وهي تمثل مساحة المرونة التشريعية في الفكر الإسلامي.

2. **التأصيل المعرفي (الرؤية التأصيلية):**

- **لغةً** :من (الأصل)، وهو أسفل الشيء وما يبنى عليه غيره.
- **اصطلاحًا** :ردّ القضايا والمعارف والعلوم إلى أصولها الشرعية الكبرى وقواعدها المحكمة المستمدة من الكتاب والسنة، لتكون منطلقاً حاكماً ومنهجاً موجهاً للمستجدات المعاصرة.

3. **التربية القرآنية (البعد التربوي):**

- **اصطلاحًا** :هي عملية بناء الإنسان وتوجيه طاقاته ونفْسه وعقله وفق المناهج الإلهية والقيم الثابتة المقررة في القرآن الكريم، بغية تحقيق الاستخلاف والإعمار وصلاح الفرد والأمة.

المبحث الثاني: الثَّوابت العلميَّة والتَّربويَّة:

تمهيد :تتجلى روعة القرآن الكريم وشموليته في كونه كتاب هداية وتشريع، وفي الوقت ذاته مصدراً راسخاً للحقائق الكونية والثوابت العلمية التي لا تتبدل، والأصول التربوية الكلية التي تبني الإنسان وتوجه طاقاته نحو الاستقامة والإعمار. وإذا كانت الثوابت العلمية التجريبية تثبت الإعجاز الكوني للوحي، فإن الثوابت التربوية تضع القواعد الحاكمة لبناء النفس الإنسانية وصلاحها، وسنتناول تفصيل ذلك في مطلبين رئيسيين:

المطلب الأول: الثَّوابت العِلْميَّة في القرآن الكريم:

تمهيد :تُعدّ الثوابت العلمية التجريبية في القرآن الكريم من أظهر الأدلة على إعجازه الخالد؛ فهي حقائق قطعية أتى بها الوحي الإلهي قبل أن تتوصل إليها الاكتشافات الحديثة بأقرانها، ولا يمكن بحال أن تعارض الدين الحق. فالأصل في العلوم التجريبية الصحيحة –أياً كان نوعها– أنها مؤيدة ووسيلة لفهم آيات الله في الكون وتحقيق الإيمان بها، شريطة عدم الخلط بين الوسائل المتغيرة والمصادر الثابتة. وسنشير إلى نماذج بارزة من هذه الثوابت العلمية في ضوء النص القرآني على النحو الآتي:

1–ثبات حقائق الإبصار والوظائف الحيوية (دورة اللبن في جسم الحيوان) :أشار القرآن الكريم إلى حقيقة علمية دقيقة تتعلق باستخلاص اللبن من بين أفرام الأجساد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66] .وفي تعقيب بليغ للعلامة سيد قطب رحمه الله حول هذه الحقيقة: "فهذا اللبن الذي تدرُّه ضروع الأنعام مم هو؟ إنه مستخلصٌ من بين فرثٍ ودمٍ... فإذا صار إلى غدد اللبن في الضرع تحول إلى لبن ببديع صنع الله العجيب، الذي لا يدري أحد كيف يكون" (قطب، 1412هـ، ج4: 2180؛ عتيبي، 2014م، ص211). وتتم هذه العملية بفائق العجب كل ثانية من هدم وبناء واحتراق وامتصاص، مما يهتف بعظمة الخالق وإتقانه الذي يعجز البشر عن مضاهاته.

2–الثوابت الطبية والوقائية (الإعجاز في شفاء العسل) :أخبرنا ربنا عز وجل عن طبيعة عمل النحل وما أودعه فيه من أسرار علاجية، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68–69] .وقد لفت سيد قطب الانتباه إلى أن عمل النحل بفطرة إلهية دقيقة يعجز المفكرين عن إدراكه، فضلاً عن الإعجاز الطبي الثابت في العسل الذي أثبته المختصون طبياً في العصر الحديث، مما يوجب راسخ الاعتقاد بكتاب الله الثابت حقاً (قطب، 1412هـ، ج4: 2181؛ عتيبي، 2014م، ص211).

3-الثوابت الجيولوجية والاتزان الكوني (دور الجبال) :أكد القرآن الكريم أن الجبال تمثل رواس ومثبتات لقشرة الأرض تمنع اضطرابها، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: 10] .وقد أثبت العلم الحديث في قرننا الحالي أن الجبال بجذورها العميقة تحافظ على الاتزان الأرضي، وأن أي اختلال في هذا التوازن يحدث براكين وزلازل تعيد للأرض استقرارها، وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن الكريم (ابن إبراهيم، د.ت، ص453).

4-قانون الزوجية الشامل في بنية الكون :أشار القرآن إلى قاعدة كونية عامة تمثل ثابتاً فيزيائياً وكيميائياً، وهي ظاهرة الأزواج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 36] . وفي العصر الحديث، اكتشف العلم أن التفاعلات الكيميائية تقوم على أساس "التزاوج" بين الذرات والعناصر المتقابلة لتكتمل الحلقات الإلكترونية الأخيرة (الكهارب) في بنيتها، وهو ما يؤكد تطابق النص القرآني مع الحقائق الكيميائية المكتشفة حديثاً.

5-الثوابت البيولوجية في مراحل خلق الجنين :فصل القرآن الكريم مراحل التطور الخلوي والجنيني للإنسان بدقة مذهلة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 12-14] .وهي حقائق دقيقة لم يُفصح عنها علم الأجنة والتشريح الحديث إلا بعد أبحاث مطولة وتقنيات دقيقة، مما يبرهن على ثبات الوحي الإلهي وقطعيتها العلمية.

المطلب الثاني: الثَّوابت التَّربويَّة في القرآن الكريم:

تمهيد :إن المتدبر لكتاب الله سبحانه وتعالى والمتأمل في آياته البينات يتضح له تميز المنهاج الرباني بمفاهيم تربوية لا يجد لها مثيلا في المناهج والنظم والنظريات التربوية البشرية؛ فهي تستهدف خير الإنسان في الدنيا والآخرة جميعاً. وينطلق

المنهاج الرباني نحو بناء القيم الإسلامية التي تتضافر للوصول بالإنسان إلى الصلاح والإصلاح وشجب كل صور الفساد في النفس والمجتمع لتتحقق له بذلك كماله الإنساني. والمنهاج الرباني واضح في أهدافه وغاياته ليتمكن المسلم من اتباع هداه، وهو مؤمن بمقاصده العظيمة، وموقن بالخير الذي يعود عليه نتيجة التمسك به والعمل بأوامره واجتناب نواهيه. ومن هذا المنطلق، فإن منهاج التربية الإسلامية يركز على غرس الحق والعدل والإحسان والإخاء والمساواة والعفو والرحمة والمعروف والاستقامة والصبر وغير ذلك من أفعال الخير وصالح الأعمال. وحيث إن الأسرة المسلمة هي المدرسة الأولى التي تقوم بتوجيه وتربية الأبناء تربية صالحة؛ فالأبناء أمانة في أعناق والديهم يُسألون عنهم أمام الله تعالى (الأنصاري، 1417هـ، ص439). كما أن الله تعالى مميز الإنسان عن غيره من الكائنات بأنه كائن أخلاقي مدرك للقيم وقادر على الفعل والاقتدار (ابن حميد، د.ت، ج1، ص52). وقد شاءت الإرادة الإلهية أن تقوم حياة المجتمع الإنساني على أساس معياري متين يحمي هويته وشخصيته ويضبط سلوك أفراده (نور، 1984م، ص26-27).

وفيما يأتي أبرز الثوابت التربوية والخُلقية في ضوء القرآن الكريم:

1-التحلي بالصدق ونبذ الكذب :يعد الصدق من أعظم الثوابت التربوية؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ [محمد: 21]. فالصدق صفة أهل الإيمان والبر والوصول إلى الجنة، في حين أن الكذب من خصال النفاق المرفوضة التي لا يعتريها التغيير بمرور الزمن، بل حذر الشارع الحكيم حتى من الكذب في إطار المزاح أو إضحاح الناس بالباطل.

2-وجوب الوفاء بالعهد :أمر الله جل وعلا بالوفاء بالعهد ورعايته بوصفه قيمة أخلاقية كبرى، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 34]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]. وقال أيضاً: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: 91]. وتتجلى هذه القيمة في التعاملات الجماعية والدولية؛ فإذا

التزم الطرف الآخر وجب الوفاء، وإن ظهرت الخيانة والنقض (كما جرى في نقض قريش لعهد الحديبية) جاز الردع بحسبه، وهي قيمة ثابتة أبد الدهر.

3-السماحة والتسامح والرحمة :دعا القرآن الكريم إلى التحلي بالصفح والتسامح، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]. فتلك قيمة تربوية لا تتغير بتغير الزمان.

4-الرحمة والإحسان الشامل للناس :أمر الله بالإحسان إلى البشرية جمعاء وصون روابط المجتمع، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 83]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

5-النهي عن التبذير والإسراف :يُعد الاعتدال المالي واجتناب التبذير خلقاً تربوياً راسخاً ينهى عنه الشرع والعقل، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: 26-27].

6-كظم الغيظ والعفو عن الناس :من الثوابت الأخلاقية العالية التي مدحها القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

فهذه القيم التربوية والخلقية ثابتة أبد الدَّهر، ولا تتأثر بتغير الزمن. والتمسُّك بأهداب هذه التربية الأخلاقية كما جاءت في القرآن الكريم يقدم حلولًا جذرية لمشاكل العالم المعاصر الشاملة والمتعلقة بعلاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالآخرين. إلَّا أنَّ المجتمع المسلم يعيش -في الأزمنة المعاصرة- مشكلاتٍ متراكمةً مستعصية بين قطبي التمسك بالأصول ومواكبة

المعاصرة، تبقى معالجتها منوطة بالاستمساك بهذه الثوابت العظيمة التي لا يسع المجال لاستقصائها كاملة في هذا البحث المختصر.

مما سبق تبين أن الثوابت العلمية والتربوية في القرآن الكريم لا تقتصر دلالتها على البناء النظري فحسب، بل تمثل الرؤية التأصيلية الراسخة التي تمنح الإنسان المعاصر وجهة أمان وسط عواصف الحداثة المادية وإشكالاتها الفكرية. ففي الوقت الذي تعاني فيه الحداثة المعاصرة من أزمة المعنى، والانفصام الحاد بين التقدم العلمي والقيم الأخلاقية، وتآكل المعايير الإنسانية، تأتي ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية لتقدم نموذجاً متكاملاً يوازن بين تسخير الكون بالعلم التجريبي والانضباط بالقيم الخلقية والتربوية العليا، مما يجعلها الملاذ الآمن والأفق الأصيل الذي يصحح مسار الحضارة المعاصرة دون تفريط في الهوية أو صدام مع العقل والواقع.

المطلب الثالث: تجليات الثوابت القرآنية في نقد وتقويم الحداثة المعاصرة:

تمهيد :لا تقف الثوابت القرآنية (العلمية والتربوية) عند حدود التنظير المجرّد أو الاستعراض التاريخي، بل تُمثل نسقاً معيارياً حياً وقادراً على التفاعل الخلّاق مع المستجدات. وحيث إن "الحداثة المعاصرة" قد أفرزت –بجانب منجزاتها التقنية– إشكاليات كبرى تمثلت في سيولة القيم، والانفصام بين العلم والأخلاق، وأزمة المعنى والهوية، فإن استنطاق الثوابت القرآنية وتقديمها برؤية تأصيلية أصبح ضرورة ملحة لتقويم مسار الحضارة المعاصرة وفق مسارات محددة:

1–مواجهة أزمة الانفصام بين العلم والأخلاق (توجيه الثوابت العلمية) :تعاني الحداثة المادية من أزمة حادة تتمثل في الفصل التام بين الاكتشاف العلمي المادي والضابط الأخلاقي والقيمي، مما أدى إلى استخدام العلوم والتكنولوجيا في أزمات تدمير البيئة، والاستنساخ البشري المرفوع عن القيود، والحروب المدمرة. وهنا يبرز دور **الثوابت العلمية القرآنية** في تقديم رؤية تأصيلية تؤكد أن الكون مسخر للإنسان وفق غايات إلهية راسخة. فالعلوم التجريبية في المنظور القرآني

ليست قطاعاً بمعزل عن الوحي، بل هي آية تدل على الخالق وتستوجب الخشوع والمسؤولية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. هذا التأصيل يعيد للبحث العلمي وجهته الإنسانية والأخلاقية.

2-علاج أزمة المعنى والاغتراب النفسي (تفعيل الثوابت التربوية) :أدت الفردانية المطلقة والمادية الجافة في آفاق الحداثة المعاصرة إلى انتشار حالات الاغتراب النفسي، والقلق الوجودي، وتفكك الروابط الأسرية والمجتمعية. في المقابل، تقدم **الثوابت التربوية القرآنية** (كالصدق، والوفاء بالعهد، والرحمة، وكظم الغيظ، والاعتدال) حصناً منيعاً يعيد للإنسان توازنه النفسي والاجتماعي. فالتمسك بهذه القيم الثابتة يمنح الإنسان المسلم بوصلة أمان واضحة المعالم وسط عواصف التغيير السريع، ويحقق له الطمأنينة القلبية المستمدة من الصلة الدائمة بالله تعالى.

3-بناء نسق المعيارية الثابتة في مواجهة "سيولة القيم" (النسبية الحداثية) :تسعى الفلسفات الحداثية وما بعد الحداثية إلى تكريس مبدأ "النسبية المطلقة" وإلغاء الثوابت الأخلاقية والعقدية بحجة التطور التاريخي والمجتمعي. وهنا تتجلى قوة **الرؤية التأصيلية القرآنية** في إثبات وجود "كليات قطعية وأصول محكمة" لا تقبل التبديل ولا التغيير (مثل: حرمة الدماء والأعراض، أصول الأخلاق، ثوابت العقيدة)، وهي التي تضمن بقاء هوية الأمة وحماية مجتمعاتها من التحلل القيمي، مع فتح الباب في الوقت ذاته للاجتهاد في دائرة "المتغيرات" بما يحقق المصالح المرسلة ولا يصطدم بالنصوص القطعية.

لخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعدُ؛ فقد تبيّن من خلال هذه الدراسة الموسومة بـ **(ثوابت القرآن الكريم العلمية والتربوية: رؤية تأصيلية في آفاق الحداثة المعاصرة)** أن الوحي الإلهي يمثل المرجع الأعلى والمظلة الحصينة التي تستمد منها الأمة هويتها وقيمها ومعاييرها. وحين تعصف بالبشرية اليوم أزمات المعيارية، والانفصام الحاد بين التقدم المادي والقيم الأخلاقية في آفاق الحداثة المعاصرة، تبرز الأصول والثوابت القرآنية (العلمية والتربوية) بوصفها الطوق

الآمن والبوصلة الموجهة التي توازن بين أصالة النص الشرعي ومتطلبات المعاصرة، مؤكدةً قدرة الإسلام الخالدة على استيعاب النفع البشري وتهذيب طغيان المادة.

أولاً: النتائج: أفرزت هذه الدراسة جملة من النتائج المركزية، من أبرزها:

1. **التمييز المنهجي الواضح:** أثبت البحث وجود فارق جوهري بين "الثوابت القرآنية" القطعية (في العقائد، والأخلاق، والتشريعات الكلية) التي لا تقبل التبديل، وبين "المتغيرات" الاجتهادية التابعة للمصالح والتطور البشري.
2. **الانسجام بين العلم والإيمان:** تؤكد الثوابت العلمية في القرآن الكريم أن الكون مسخّر وفق هندسة إلهية دقيقة، وأن الاكتشافات العلمية التجريبية تعزز الإيمان ولا تتناقض مع نصوص الوحي متى ما فُهمت فهماً صحيحاً.
3. **حصانة المنظومة التربوية:** تمثل الثوابت التربوية والأخلاقية المستمدة من القرآن (كالصدق، الأمانة، والرحمة) الملاذ الأساسي لعلاج ظواهر الاغتراب النفسي وتفكك الأسرة الناتج عن الفردانية المفرطة للحداثة.
4. **التأصيل المعاصِر:** تمتلك الثوابت القرآنية قدرة ذاتية على "النقد والتقويم" لإفرازات الحداثة وما بعد الحداثة، وتقديم حلول جذرية لأزمة المعنى والانفصام بين العلم والأخلاق.

ثانياً: التوصيات: بناءً على ما سبق، يوصي الباحث بما يأتي:

1. **تعزيز المنهج التأصيلي في المناهج التعليمية:** ضرورة دمج مفهوم "التأصيل الإسلامي للمعرفة" في البرامج الأكاديمية والتربوية لمواجهة التبعية الفكرية والفلسفية المطلقة.
2. **توجيه البحوث العلمية الحديثة نحو البعد القيمي:** حثّ الباحثين في العلوم التجريبية والتطبيقية على استحضار البعد الأخلاقي والغاية الإنسانية المستمدة من رؤية القرآن للكون والإنسان.

3. **تأسيس مراكز للدراسات النقدية الحداثية:** إنشاء منصات بحثية متخصصة لتفكيك إشكالات الفكر المعاصر (كالنسبية المطلقة، السيولة القيمية، وأزمة الهوية) وإيجاد بدائل مستمدة من النسق القرآني.

4. **العناية بتطبيقات الثوابت التربوية:** تفعيل دور الأسرة والمؤسسات التعليمية في غرس الثوابت الأخلاقية والتربوية لدى الأجيال الناشئة لحمايتهم من التيارات الفكرية المشتتة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. **ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد**1418) .هـ .(شرح العقيدة الطحاوية .(ط. 10). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت.
2. **ابن إبراهيم، عبد الله بن محمد)** .د.ت .(الإعجاز العلمي في الكون والآيات الكونية .دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
3. **ابن حميد، صالح بن عبد الله)** .د.ت .(منظومة القيم والأخلاق في الإسلام وأثرها في بناء المجتمع .دار الصميعي، الرياض.
4. **ابن دريد، محمد بن الحسن**1987) .م .(جمهرة اللغة .(تحقيق: رمزي منير بعلبكي). دار العلم للملايين، بيروت.
5. **ابن فارس، أحمد بن فارس**1399) .هـ .(معجم مقاييس اللغة .(تحقيق: عبد السلام محمد هارون). دار الفكر، بيروت.
6. **الأزهري، محمد بن أحمد**2001) .م .(تهذيب اللغة .(تحقيق: محمد عوض مرعب). دار إحياء التراث العربي، بيروت.
7. **الأنصاري، جمال الدين**1417) .هـ .(التربية الأسْرية والمسؤولية التربوية في الإسلام .دار الفكر العربي، القاهرة.
8. **باسقال، جان**2015) .م .(أزمة الإنسان المعاصر في ظل الحداثة المادية .ترجمة: خليل أحمد. دار الحوار، اللاذقية.

9. **البوطي، محمد سعيد رمضان**2005) .م .(ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية .(ط. 5). مكتبة الفلاح، الكويت.

10. **الجرجاني، علي بن محمد**) .د.ت .(التعريفات .دار الكتب العلمية، بيروت.

11. **حكيم، محمد عبد الرحيم**1433) .هـ .(الثوابت والمتغيرات في الفكر الإسلامي المعاصر .دار النفائس، بيروت.

12. **الزَّبيدي، محمد مرتضى**) .د.ت .(تاج العروس من جواهر القاموس .دار الهداية، الكويت.

13. **الزحيلي، وهبة**2002) .م .(التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .(ط. 2). دار الفكر المعاصر، دمشق. (ج22).

14. **سقطب، سيد**1412) .هـ .(في ظلال القرآن .(ط. 17). دار الشروق، بيروت – القاهرة.

15. **العتيبي، نايف بن محمد**2014) .م .(الإعجاز التشريعي والعلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة . دار المحدث، الرياض.

16. **ظريفي، مصطفى**2006) .م .(مدخل إلى دراسة الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية .أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر.

17. **العسكري، الحسن بن عبد الله**) .ت.د .(الفروق اللغوية .مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

18. **القرضاوي، يوسف**2001) .م .(الإسلام والحداثة المعاصرة: ملامح ونظرات .دار الشروق، القاهرة.

19. **المزيني، فايز بن حامد**1428) .هـ .(الثوابت والمتغيرات في أحكام الأسرة الفقهية .دار أطلس للنشر، الرياض.

20. **الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب**1426) .هـ .(القاموس المحيط .(ط. 8). مؤسسة الرسالة، بيروت.

21. **مجمع اللغة العربية**) .د.ت .(المعجم الوسيط .مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

22. **النجاد، أحمد بن عبد الرحمن**2011) .م .(مفاهيم قرآنية: دراسة تأصيلية دلالية .دار ابن حزم، بيروت.

23. **نور، عبد الغني**1984) .م .(أسس البناء الاجتماعي في الإسلام .دار الفكر، دمشق.

(التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي الأبعاد المقومات والتطبيقات المعاصرة)

سارة نوري حواس

وزارة التربية / المديرية العامة لإعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي –

Sara.nori.hawas.@ec.edu.iq

Ministry of Education / General Directorate of Teacher Preparation, Training, and Educational Development

الملخص

التنمية المستدامة اليوم تُعد من أهم القضايا المعاصرة التي برزت بشكل واسع على المستوى الدولي؛ كونها مرتبطة بمستقبل الإنسان والمجتمع والموارد الطبيعية، وقد ارتبط مفهوم التنمية المستدامة في الفكر المعاصر بتحقيق التوازن بين الأبعاد الاجتماعية والبيئية والاقتصادية، لتلبي احتياجات الجيل الحاضر دون الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية حاجاتها، وعلى الرغم من أن مصطلح التنمية المستدامة حديث إلا أننا نجد له مبادئ وأصول في الشريعة الإسلامية من خلال كتاب الله وسنة نبيه وعلم المقاصد والقواعد الفقهية، وهدف البحث إلى تعريف التنمية المستدامة، وموقف الشريعة الإسلامية من أبعادها البيئية والاجتماعية والاقتصادية ودور قواعد الفقه ومقاصد الشريعة فيها وكذلك التطبيقات الإسلامية فيها كالوقف، وتحريم التبذير، والإسراف، والزكاة، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وحماية الموارد الطبيعية وإحياء الأرض الموات، وقد خلص البحث إلى أن التنمية لها جذور ومبادئ وأصول في الشريعة الإسلامية بل وقد تم تطبيقها

منذ فجر الإسلام فنجد عمارة الأرض وتحقيق مصالح الإنسان، وكذلك الالتزام بالمسؤولية الفردية والكلية وبالقيم والأخلاق، والتنمية المستدامة في نظر الشريعة الإسلامية ليست غاية اقتصادية بحتة، وإنما هي وسيلة لحفظ الضروريات وتحقيق مصالح الإنسان وحماية البيئة وكفالة حقوق الأجيال القادمة، وبينت من خلال البحث مدى مرونة الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان، فكما اسلفت التنمية المستدامة التي يلهج بذكرها العالم اليوم ويحث عليها قد سبقت الشريعة الاسلامية بتطبيقها منذ مئات السنين، ويتضح ذلك من خلال الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والقواعد الفقهية والأصولية.

الكلمات المفتاحية... التنمية المستدامة، المقومات، الفقه، الأبعاد، ...

Abstract

Sustainable development is today considered one of the most important contemporary issues that has gained widespread prominence at the international level, as it is linked to the future of humanity, society, and natural resources. In contemporary thought, the concept of sustainable development has been associated with achieving a balance between social, environmental, and economic dimensions, to meet the needs of the present generation without compromising the ability of future generations to meet their own needs. Although the term "sustainable development" is relatively

recent, its principles and foundations can be found in Islamic law through the Qur'an, the Sunnah of the Prophet, the science of maqasid (objectives), and the rules of fiqh. The aim of this research is to define sustainable development, examine Islamic law's stance on its environmental, social, and economic dimensions, explore the role of fiqh rules and the objectives of Islamic law in this context, and discuss Islamic applications such as waqf, the prohibition of wastefulness and extravagance, zakat, the achievement of social justice, the protection of natural resources, and the revitalization of barren land. The study concluded that development has roots, principles, and foundations in Islamic law and has, in fact, been practiced since the dawn of Islam; we find the cultivation of the earth and the fulfillment of human interests, as well as a commitment to individual and collective responsibility and to values and ethics. and sustainable development, in the view of Islamic Sharia, is not a purely economic goal, but rather a means to preserve necessities, fulfill human interests, protect the environment, and safeguard the rights of future generations. The research demonstrated the flexibility of Islamic Sharia and Islamic jurisprudence and their relevance to all times and places, As mentioned earlier, sustainable development—which

the world today frequently discusses and promotes—was already being practiced by Islamic Sharia hundreds of years ago, as evidenced by Quranic verses, Prophetic hadiths, and the principles of jurisprudence and Islamic theology.

Keywords... Sustainable development, the foundations

المقدمة

الحمد لله خالق السموات والأرض بقدرته، وفالق الإصباح برحمته، أرسل الرسل حجة على الجاحدين، وختم باب الرسالة بنبينا محمد خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

شهد العالم تقدماً وثورة كبيرة في المجال الاقتصادي والتكنلوجي والتقني الذي بدوره ساهم في تحسين وضع المجتمعات وانتقال العالم إلى مستوى جديد إلا أن هذا التقدم والتطور نتج عنه العديد من المشاكل، منها تلوث البيئة استنزاف الموارد الطبيعية، والتغير المناخي، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة، مما استوجب إلى إعادة النظر في النموذج التنموي الذي يقوم على الاستخدام المتصاعد للموارد دون الرؤية الكافية إلى تأثيرات ذلك على البيئة والإنسان والأجيال القادمة؛ لذلك برز مفهوم التنمية المستدامة بهدف تحقيق توازن بين حماية البيئة من جهة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، واصبحت التنمية المستدامة هدف اساسي في السياسات الدولية المعاصرة، فقد اعتمدت الأمم المتحدة اهداف التنمية المستدامة للسنوات المقبلة إن شاء الله، والتنمية المستدامة لها جذور ومبادئ وأصول في الشريعة الإسلامية بل وقد تم تطبيقها منذ فجر الإسلام فنجد عمارة الأرض وتحقيق مصالح الإنسان، وكذلك الالتزام بالمسؤولية الفردية والكلية وبالقيم والأخلاق، وهي في نظر الشريعة الإسلامية ليست غاية اقتصادية بحتة وإنما هي وسيلة لحفظ الضروريات وتحقيق مصالح الإنسان وحماية البيئة وكفالة حقوق الأجيال القادمة، قال تعالى في القرآن الكريم ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: من الآية 61) وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال إمكانية الانتفاع من التراث التشريعي الإسلامي في معالجة الكثير من التحديات التنموية المعاصرة، ولا سيما في المجتمعات الإسلامية التي تهدف إلى الجمع بين المرجعية الإسلامية ومتطلبات التنمية المعاصرة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في اسئلة منها ما المقصود بالتنمية المستدامة في نظر الفقه الاسلامي، وهل هناك مقومات تقوم عليها التنمية المستدامة في الفقه الاسلامي، وما هي ابعادها ، وهل توجد تطبيقات فقيهة معاصرة للتنمية المستدامة في الفقه الاسلامي؟

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة كالاتي:

1- **المقدمة.**

2- **المبحث الأول: مفهوم التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.**

المطلب الأول: مفهوم التنمية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: مفهوم الاستدامة.

المطلب الثالث: مفهوم التنمية المستدامة وعلاقتها بالفقه الإسلامي.

3- المبحث الثاني: أبعاد التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول: البعد الاقتصادي.

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي.

المطلب الثالث: البعد البيئي.

4- المبحث الثالث: مقومات التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول: المقومات المقاصدية.

المطلب الثاني: المقومات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

المطلب الثالث: المقومات الأخلاقية.

5- المبحث الرابع: التطبيقات المعاصرة للتنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول: مشاريع التمويل الإسلامي.

المطلب الثاني: إحياء الأرض واستصلاحها.

المطلب الثالث: الوقف ودوره في التنمية.

الخاتمة

المصادر والمراجع.

هذا واسأل الله أن يوفقني في بحثي هذا ويجعل فيه النفع لكل طالب علم وباحث وأن يكون وافياَ شافياً لمن اراد منه نفعا.

المبحث الأول: مفهوم التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول: مفهوم التنمية لغةً واصطلاحًا.

التنمية في اللغة: التنمية من الفعل نمى والتنمية الزيادة، يقال: نمى ينمي نمياً ونميا ونماء أي زاد وكثر، ويقال للنار: نميت النار تنمية إذا ألقيت عليها الحطب، وذكيتها به، ونميت النار إذا رفعتها وأشبعت وقودها،

والنماء الربع، ونمى الإنسان سمن، والنامية من الإبل: السمينة. يقال: نمت الناقة إذا سمنت (ابن منظور، 1993م).

التنمية في الاصطلاح: هي عملية مقصودة ومخططة تهدف إلى إحداث تغيير إيجابي في المجتمع، من خلال تنمية موارده وإمكاناته البشرية والمادية، والارتقاء بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي لأفراده، بما يؤدي إلى تحسين أوضاعهم وتحقيق مستوى أفضل من الحياة (عبد الحميد، 2008م).

المطلب الثاني: مفهوم الاستدامة.

الاستدامة في اللغة: الاستدامة من الفعل دوم يقال: دام الشيء يدوم ويدام، وأدامه واستدامه تأنى فيه، وقيل: طلب دوامه، واستدمت الأمر إذا تأنيت فيه، والمداومة على الأمر: المواظبة عليه، وتدومت الشيء استدمته وبقيته (الجوهري، 1987م). والاستدامة بالتنمية اليوم تعني الاستمرار والمداومة بالحفاظ على الموارد المتوفرة.

المطلب الثالث: مفهوم التنمية المستدامة وعلاقتها بالفقه الإسلامي.

التنمية المستدامة بمفهومها المعاصر: هي التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون الإضرار بقدرة أجيال المستقبل على الوفاء باحتياجاتها الخاصة (اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية، 1987).

أما التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي: هي عملية تنمية شاملة ومستمرة تهدف إلى تحقيق مصالح الإنسان والمجتمع، وتنمية الموارد واستثمارها استثمارًا مشروعًا، مع المحافظة على البيئة والموارد، ومنع الضرر والإفساد، وتنمية الأخلاق والقيم، ومراعاة حقوق الأجيال القادمة، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها (جمعة، 2017م).

وعلى الرغم من أن مصطلح التنمية المستدامة حديث إلا أنه يرتبط بالفقه الإسلامي بشكل وثيق حيث أن الفقه الإسلامي قائم على قواعد واصول تهدف إلى عمارة الأرض، والتنمية الاجتماعية، والاقتصادية، والعدالة وتحقيق مقاصد الشريعة، وتنظيم حياة الإنسان من كل الجوانب، وهي الغاية الأساسية للتنمية المستدامة ويتجلى ذلك في التطبيقات الفقهية المعاصرة، ومنها الوقف والزكاة وحماية البيئة، والتمويل الإسلامي، والمشروعات الوقفية ذات البعد البيئي والاجتماعي، مما يثبت أن الفقه الإسلامي يمتاز بالمرونة والقدرة على إيتاء إطار تشريعي ومقاصدي يساهم في تحقيق التنمية المستدامة.

المبحث الثاني: أبعاد التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي

المطلب الأول: البعد الاقتصادي.

الجانب الاقتصادي يعد من الحاجات الأساسية للإنسان لذا اهتم به الإسلام من خلال عدة أمور أهمها:

1- الزكاة: تعد الزكاة من أهم مقومات الاقتصاد الإسلامي، وعنصر أساسي في تنمية المجتمع المسلم، وهي تسهم في التنمية المستدامة من خلال القضاء على البطالة، وتوفير فرص العمل، والسيطرة على التضخم، وزيادة الإنتاج، وفي الجانب الاجتماعي تساهم الزكاة في إزالة الفوارق الطبقية بين الغني والفقير وتعد ركيزة مهمة في التضامن الاجتماعي (ملحم، 2025م).

2- العمل: النمو الاقتصادي لا يقوم بدون العمل، فبالعمل تزيد الانتاجية ، والدخل المادي، وتنمو مشاريع التنمية لذلك حث الاسلام على العمل والكسب والانتاج قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: الآية:15) (ملحم، 2025م).

3– تحريم الربا والاكتناز: أباح الإسلام الزراعة والتجارة والاستثمار والصناعة، وحد لها ضوابط وحدود لمنع الظلم والغش والربا والاستغلال والاحتكار قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: الآية 256– 257) وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: من الآية34) لأن المساوئ التي تترتب على هذه الأمور كبيرة منها البطالة، وحرمان شريحة كبيرة من العمل؛ بسبب تداول الأموال بين الأغنياء، والإخلال بالوظائف الحقيقية للنقود، بوصفها أداة للمدفوعات الآجلة، كما ان الاكتناز يؤدي الى زيادة الطلب على النقود بسبب قلة العرض، فتحريم الاكتناز يسهل معرفة كميات النقود المتداولة في السوق، مما يسهل عملية تقدير الاحتياجات الواجبة ، للمحافظة على استقرار مستوى الأسعار، ومن ثم الحفاظ على قيمة العملة.

4– الوقف: يجسد الوقف أحد اللوازم الاقتصادية المهمة في تحقيق التنمية؛ لدوره الفعال في استثمار الأموال، وتوفير موارد مالية مستدامة، وتنمية الأصول ، وتمويل بعض الحاجات والخدمات العامة، بالإضافة إلى إسهامه في الحد من البطالة والفقر وإعادة توزيع الثروة، فالوقف لا يقتصر أثره على الجانب الاجتماعي والتعبدي، بل يمتد اثره إلى تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة وذلك من خلال توجيه الموارد المالية نحو مجالات إنتاجية وخدمية تحقق النفع العام على المدى الطويل.

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي.

التنمية المستدامة ليست مجرد نمو الاقتصادي، وإنما لا بد من تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل ومحاربة البطالة والفقر وتحقيق مصالح المجتمع المعنوية والمادية في إطار مقاصد الشريعة.

ويمكن بإيجاز البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة بالآتي:

1- تحقيق العدالة الاجتماعية: وذلك من خلال منع الظلم، والغش، والاحتكار، وأكل أموال الناس بالباطل، وتنظيم المعاملات بما يحفظ حقوق جميع أفراد المجتمع.

2- تحقيق التكافل الاجتماعي: وذلك بتشريع الزكاة، والوقف، والصدقات، والكفارات وغيرها، بما يضمن تعاون أفراد المجتمع وتساندهم.

3- رعاية الفئات المحتاجة: كالفقراء، والمساكين، والأيتام، والأرامل، والعاجزين، وجعل رعايتهم مسؤولية فردية ومجتمعية.

4- حفظ الكرامة الإنسانية: فالتنمية في التصور الفقهي تهدف إلى توفير حياة كريمة للإنسان، وحمايته من الحاجة والمهانة والاستغلال.

5- التنمية الأسرية والمجتمعية :إذ أن الفقه الإسلامي اعطى اهتماماً كبيراً لحفظ الأسرة وتنظيم العلاقات بين أفرادها، لأن استقرار الأسرة يعود على المجتمع بالاستقرار (المقبلي، 2021م).

المطلب الثالث: البعد البيئي.

البيئة بالمنظور الإسلامي هي ما يحيط بالإنسان السماء والأرض وما بينهما كالماء، والهواء، والجبال، والحيوان، والنبات قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (طه: الآية6) لذلك امر الله تعالى بالحفاظ على كل عنصر من هذه العناصر قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: الآية30) وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ

فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل من الآية10 إلى الآية15) فتبين هذه الآيات اهمية الماء الذي جعله الله حياة لكل شيء، وسخر للإنسان الكون لكي ينتفع به ويحافظ عليه ويستهلك منافعه بدون إسراف أو تبذير لكي لا يهدر حقوق الأجيال القادمة قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الاعراف: من الآية31) فالإسلام حقق مبادئ التنمية المستدامة وحث عليها قبل قرون، وقد حث الإسلام على غرس النبات فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة" (البخاري، 1993م، 2/ ص،817 رقم الحديث2195) بل ونهى عن قطع النبات إلا لحاجة بل وعده من الافساد والهلاك قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة الآية:205) فالنبات يعد من مصادر تنقية الهواء وإتلافه وحرقة ينتج عنه التلوث البيئي، ولم تهمل الشريعة الإسلامية ذكر الثروات والمعادن، والامر بالحفاظ عليها، قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (سبأ: من الآية 12) والقطر النحاس المذاب، وذكر الحديد بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: من الآية 25) .

المبحث الثالث: مقومات التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول: المقومات المقاصدية

أولًا: تحقيق المصالح ودرء المفاسد:

أتت الشريعة لتحقيق مصالح العباد ودفع الضرر عنهم، كما أكدت ذلك القواعد الفقهية الكبرى في الفقه الإسلامي كقاعدة الضرر يزال أي أن الضرر يجب إزالته، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار، وهذا يتفق مع جوهر التنمية المستدامة، التي تنص على أن استغلال الموارد الطبيعية، والمشاريع الصناعية يجب أن لا يقتصر على العائد الدي فقط بل يجب أن لا تعارض مع جلب المنفعة من غير إضرار بالبيئة أو استنفاد ما تحتاج إليه الأجيال القادمة (ابن عاشور، 2004م، 332/2).

ثانيًا: حفظ الضروريات الخمس:

المقصود بالضروريات الخمس في الشريعة الإسلامية هي حفظ النفس، والدين، والنسل، والمال، والعقل، فهذه الخمس تعتبر من الضروريات وما بعدها من الأمور يأتي إما حاجي أو تحسيني، وصلة هذه الضروريات بالتنمية وثيقة، فلا يمكن تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات التي ضيعت التعليم والمعرفة المرتبط بحفظ العقل أو ضيعت الأمن والأمان والصحة المرتبط بحفظ النفس، والمال المرتبط بالمشاريع الاقتصادية والتنموية، والنسل المرتبط بوجود الإنسان واستقراره، والدين المرتبط بتنمية الجانب الأخلاقي والسلوكي (الريسوني، 1992م، ص138).

المطلب الثاني: المقومات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية

المقومات الاقتصادية والاجتماعية للتنمية تتوقف على الآتي:-

اولاً: حفظ وتنمية المال: فالمال يحتل مكانة مهمة في الفقه الإسلامي، وكما ذكرت يعد من الضروريات الخمس عند علماء المقاصد بل ويعد من قتل دون ماله شهيد، ولم تقتصر الشريعة الإسلامية على التركيز

على اهمية المال بل دعت إلى تنميته والمحافظة عليه واستثماره بما لا يعارض الضوابط الشرعية، فأباحت البيع، والمضاربة، والمساقاة لتنمية المال وحرمت الربا والغرر والسرقة واباحت الحجر على السفيه وتوثيق الديون للمحافظة عليه، والأمثلة كثيرة (الخادمي، 2001م، ص83).

ثانيًا: ترشيد استثمار الموارد والحفاظ عليها

الاستخدام المتواصل للموارد بدون ترشيد واستهلاك أدى إلى شحتها نتيجة عدم التخطيط لأزمات المستقبل، والضغط المتزايد عليها، ومن هنا انطلقت الدعوات العالمية للترشيد والتنمية، وها ما متحقق فعلاً في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ (الاسراء: الآية 26-27) ويدخل في ذلك ترشيد استخدام الطاقة والهواء والغذاء والماء، والترشيد لا يعني فقط التقليل من استخدام الموارد بل أيضاً استخدامها بأعلى كفاءة وأقل تكلفة لينتج عنه تحقيق للاستدامة، وتقليل التكاليف، وحماية البيئة، وتحسين الجودة، للمحافظة على صلاح البيئة من الفساد الذي نهى عنه الباري عز وجل بقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ (الاعراف: من الآية56) (مبروك و ابراهيم، 2023م).

ثالثًا: تحقيق التكافل والعدالة الاجتماعية

التنمية المستدامة التي لا تحقق التكافل والعدالة الاجتماعية لا يمكن اعتبارها إذ لا يمكن أن تعاني فئات من المجتمع مع وجود فئات تجني منافع وثمرات التنمية دون غيرها، وقد حققت الشريعة التكافل والعدالة عبر وسائل عديدة منها الصدقة، والزكاة، والكفارة، والوقف حيث تؤدي إلى توزيع الموارد بين طبقات المجتمع وتقليل الفوارق بينها، بل وتحويل الموارد من مجرد الاستهلاك إلى العمل والانتاج (القره داغي، 2001م، 30/7).

رابعاً: الاستخلاف وعمارة الأرض

من اهم مقومات التنمية المستدامة هي عمارة الأرض وخلافتها، وهو من المرتكزات الإسلامية إذ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الانعام: من الآية165) وقال: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ فالإنسان هو خليفة الله في الأرض، والاستخلاف مسؤولية تقتضي الحفاظ عليها للأجيال القادمة ولا يتم ذلك إلا بعمارتها واستصلاحها وهي وظيفة الأنسان في الأرض قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هود: من الآية61).

المطلب الثالث: المقومات الأخلاقية

تستند المقومات الأخلاقية للتنمية المستدامة على منظومة القيم التي يؤمن بها الفرد والمجتمع، والمسؤولية الاخلاقية امام الله تعالى بالحفاظ على الموارد واستعمار الأرض واقامة العدل وتحقيق مصالح العباد ودفع الضرر عنهم ومراعاة المآلات وحفظ حقوق الأجيال القادمة، والإخلاص والانضباط والشفافية واحترام البيئة، والتنمية كما تكون في الاقتصاد والبيئة تكون في البشر فالتنمية البشرية جزء هام من التنمية المستدامة كونها تتمثل في تحسين جودة المعيشة والصحة والمعرفة وتطوير قدرات الأنسان لتحقيق المصلحة العامة فنفع العامة مقدم على المصلحة الشخصية عند التعارض (ابن عاشور، 2004م).

المبحث الرابع: التطبيقات المعاصرة للتنمية المستدامة في الفقه الإسلامي.

يتناول هذا المبحث التطبيقات الفقهية الواقعية للتنمية المستدامة ونظراً لكون الشريعة والتنمية المستدامة متفقان في جوهرهما فنجد تطبيقات كثيرة للتنمية المستدامة نذكر منها الآتي:

المطلب الأول: مشاريع التمويل الإسلامي

التمويل الإسلامي نظام مالي قائم على أسس شرعية غير ربوية خالية من الغرر واصول حقيقية ونشاط اقتصادي حقيقي ومن صيغ مشاريع التمويل الإسلامي المرابحة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والإجارة والاستصناع وعقود السلم والصكوك الإسلامية التي تقوم بتمويل المشاريع الاقتصادية والانتاجية مما يحقق النمو الاقتصادي والانتاج الفعال وتحقيق المنفعة والمحافظة على المال وفق نظام التنمية المستدامة (شبير، 2007م).

المطلب الثاني: إحياء الأرض واستصلاحها

يعد احياء الأرض الميتة واستصلاحها من أبرز تطبيقات الفقه الإسلامي التي تعزز قيم التنمية المستدامة فهي تقدم صورة عملية للاستثمار واستغلال الموارد وتنميتها واعمارها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق" (أبو داود، 187/3، حديث رقم 3073) الحديث الشريف شجع على الاستفادة من الموارد غير المستغلة وتحويلها إلى موارد منتجة لتحقيق المصلحة العامة.

المطلب الثالث: الوقف ودوره في التنمية

الوقف هو مؤسسة مالية تقوم بحبس الأصل أو الملك عن التصرف فيها ببيع أو هبة أو إرث مع تسبيل منفعتها أي توزيعها في وجوه الخير المختلفة(النجار، 2008م،162/7 وما بعدها)، فالوقف دليل عملي على التنمية المستدامة من قرون فقد أسهم على مر العصور ببناء البنى التحتية من حفر الآبار وانشاء دور العبادة والمستشفيات والمدارس ودعم طلاب العلم وتوفير العلاج وفرص العمل وانشاء الطرق والجسور

ودعم حملات التشجير وحماية البيئة وإعانة الفقراء والمحتاجين، ويمكن القول أن الوقف هو مؤسسة تنمية مستدامة شاملة.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد:-

فقد تناولت في بحثي الموسوم (التنمية المستدامة في الفقه الإسلامي الأبعاد: الأبعاد المقومات، والتطبيقات) المعاصرة مفهوم التنمية وعلاقتها وابعادها في الفقه الإسلامي وابرز المقومات التي قامت عليها فقهياً، وعدة نماذج تطبيقية لها وقد خلص البحث لعدة نتائج وكالآتي:-

1- التنمية المستدامة بمفهومها المعاصر هي التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون الإضرار بقدرة أجيال المستقبل على الوفاء باحتياجاتها الخاصة، أما التنمية المستدامة في نظر الفقه الإسلامي: هي عملية تنمية شاملة ومستمرة تهدف إلى تحقيق مصالح الإنسان والمجتمع، وتنمية الموارد واستثمارها استثمارًا مشروعًا، مع المحافظة على البيئة والموارد، ومنع الضرر والإفساد، وتنمية الأخلاق والقيم، ومراعاة حقوق الأجيال القادمة، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

2- على الرغم من أن مصطلح التنمية المستدامة حديث إلا أنه يرتبط بالفقه الإسلامي بشكل وثيق حيث أن الفقه الإسلامي قائم على قواعد واصول تهدف إلى عمارة الأرض، والتنمية الاجتماعية، والاقتصادية، والعدالة وتحقيق مقاصد الشريعة، وتنظيم حياة الإنسان من كل الجوانب، وهي الغاية الأساسية للتنمية المستدامة ويتجلى ذلك في التطبيقات الفقهية المعاصرة، ومنها الوقف والزكاة وحماية البيئة، والتمويل

الإسلامي، والمشروعات الوقفية ذات البعد البيئي والاجتماعي، مما يثبت أن الفقه الإسلامي يمتاز بالمرونة والقدرة على إيتاء إطار تشريعي ومقاصدي يساهم في تحقيق التنمية المستدامة.

3- الزكاة: تعد الزكاة من أهم مقومات الاقتصاد الإسلامي، وعنصر أساسي في تنمية المجتمع المسلم، وهي تسهم في التنمية المستدامة من خلال القضاء على البطالة، وتوفير فرص العمل، والسيطرة على التضخم، وزيادة الإنتاج، وفي الجانب الاجتماعي تساهم الزكاة في إزالة الفوارق الطبقية بين الغني والفقير وتعد ركيزة مهمة في التضامن الاجتماعي.

4- التنمية المستدامة ليست مجرد نمو الاقتصادي، وإنما لا بد من تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل ومحاربة البطالة والفقر وتحقيق مصالح المجتمع المعنوية والمادية في إطار مقاصد الشريعة.

5- أتت الشريعة لتحقيق مصالح العباد ودفع الضرر عنهم، كما أكدت ذلك القواعد الفقهية الكبرى في الفقه الإسلامي كقاعدة الضرر يزال أي أن الضرر يجب إزالته، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار، وهذا يتفق مع جوهر التنمية المستدامة، التي تنص على أن استغلال الموارد الطبيعية، والمشاريع الصناعية يجب أن لا يقتصر على العائد الدي فقط بل يجب أن لا تعارض مع جلب المنفعة من غير إضرار بالبيئة أو استنفاد ما تحتاج إليه الأجيال القادمة.

6- يعد احياء الأرض الميتة واستصلاحها من أبرز تطبيقات الفقه الإسلامي التي تعزز قيم التنمية المستدامة فهي تقدم صورة عملية للاستثمار واستغلال الموارد وتنميتها واعمارها.

7- الوقف الإسلامي دليل عملي على التنمية المستدامة من قرون فقد أسهم على مر العصور ببناء البنى التحتية من حفر الآبار وانشاء دور العبادة والمستشفيات والمدارس ودعم طلاب العلم وتوفير العلاج وفرص

العمل وانشاء الطرق والجسور ودعم حملات التشجير وحماية البيئة وإعانة الفقراء والمحتاجين، ويمكن القول أن الوقف هو مؤسسة تنمية مستدامة شاملة.

وفي ختام بحثي هذا أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات واسأل الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت فيه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

❖ أ. د مصطفى عطية جمعة. (2017م). *الإسلام زوالتنمية المستدامة*. القاهرة: الشمس االنشر والاعلام.

❖ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود. (بلا تاريخ). *سنن أبي داود*. صيدا–بيروت: المكتبة العصرية.

❖ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري. (1993م). *صحيح البخاري* (المجلدات الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م). دمشق: دار اليمامة ودار ابن كثير.

❖ أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري. (1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. بيروت: دار العلم.

❖ أحمد الريسوني. (1992م). *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

❖ اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية، 1987. (بلا تاريخ). *معجم مصطلحات الإحصاءات البيئية*. تم الاسترداد من الأمم المتحدة:

❖ د.عبدالغني علي المقبلي. (2021م). التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية مادة التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية أنموذجا. *مجلة الجامعة الوطنية*.

❖ زهية محمد ملحم. (نيسان, 2025م). التنمية المستدامة في الإسلام تحليل الأبعاد البيئية والاقتصادية والاجتماعية وموقف الشريعة من الأهداف الوضعية العالمية. *الثلاثون*.

❖ عادل محمد مبروك، و نجلاء عبد المنعم ابراهيم. (1 3, 2023م). التنمية المستدامة من منظور إسلامي. *المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية المتقدمة*.

❖ عبد المطلب عبد الحميد. (2008م). *التنمية الاقتصادية: مفاهيمها، سياساتها، تمويلها*. مصر: دار الجامعية.

❖ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور. (2004م). *مقاصد الشريعة*. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

❖ محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى، الشهير بابن النجار. (2008م). *معونة أولي النُهَى شرح المنتهى*. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.

❖ محمد بن مكرم ابن منظور. (1993م). *لسان العرب* (المجلد الثالثة). بيروت: دار صادر.

❖ محمد عثمان شبير. (2007م). *المعاملات المالية المعاصرة*. الاردن: دار النفائس.

❖ محي الدين القره داغي. (2001م). *الزكاة ومقاصدها الشرعية*. دمشق: دار الفكر.

❖ نور الدين بن مختار الخادمي. (2001م). *علم المقاصد الشرعية*. مكتبة العبيكان.

Sources and references ❖

- The Holy Quran. ❖

1.a. Dr. Mustafa Attia Jumaa. (2017AD). Islam and sustainable development. Cairo: Al-Shams Ansharah and Al-Alam. ❖

2. Abu Dawud Suleiman bin Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr Al-Azdi Abu Dawud. (no date). Sunan Abi Dawud. Sidon-Beirut: Modern Library. ❖

3. Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Jaafi Al-Bukhari. (1993AD). Sahih Al-Bukhari (Volumes, Fifth Edition, 1414 AH - 1993 AD). Damascus: Dar Al-Yamamah and Dar Ibn Kathir. ❖

4. Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Farabi Al-Jawhari. (1987AD). Al-Sihah is the crown of the language and the Arabic Sahih. Beirut: Dar Al-Ilm. ❖

5.Ahmed Raissouni. (1992AD). The theory of objectives according to Imam Al-Shatibi. Riyadh: International House of Islamic Books. ❖

6. World Commission on Environment and Development, 1987. (undated). Glossary of environmental statistics terms. ❖

Retrieved from the United Nations: https://unosd.un.org/ar/content/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9

❖ 7. Dr. Abdul-Ghani Ali Al-Muqbli. (2021 AD). Sustainable development from an Islamic perspective and its educational applications, Islamic education subject for the secondary stage as a model. National University Magazine.

❖ 8. Zahia Muhammad Melhem. (April, 2025 AD). Sustainable development in Islam: Analysis of the environmental, economic and social dimensions and the position of Sharia on global positive goals. thirty.

❖ 9. Adel Muhammad Mabrouk, and Naglaa Abdel Moneim Ibrahim. (1 March 2023 AD). Sustainable development from an Islamic perspective. International Journal of Advanced Economic Studies.

❖ 10. Abd al-Muttalib Abd al-Hamid. (2008AD). Economic development: concepts, policies, and financing. Egypt: University House.

❖ 11. Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin Ashour. (2004AD). Objectives of Sharia. Qatar: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Qatar.

❖ 12. Muhammad bin Ahmed bin Abdul Aziz Al-Futuhi Al-Hanbali, known as Ibn Al-Najjar. (2008AD). Maonah Oul Nuha Sharh Al-Muntaha. Mecca: Al-Asadi Library.

❖ 13. Muhammad bin Makram Ibn Manzur. (1993AD). Lisan al-Arab (Volume Three). Beirut: Dar Sader.

❖ 14. Muhammad Othman Shabir. (2007AD). Contemporary financial transactions. Jordan: Dar Al-Nafaes.

❖ 15. Mohieddin Al-Qaradaghi. (2001AD). Zakat and its legal purposes. Damascus: Dar Al-Fikr.

❖ 16. Nour al-Din bin Mukhtar al-Khadimi. (2001AD). Science of legal objectives. Obeikan Library.

أسلوب المنهج الأخلاقي في التعبير القرآني

زياد تالي لفته

وزارة التربية – المديرية العامة لتربية واسط – قسم الاعداد والتدريب – شعبة البحوث والدراسات

The Ethical Approach in Qur'anic Expression

Ziyad Tali Lafta

Ministry of Education, General Directorate of Education in Wasit

Department of Preparation and Training

Research and Studies Division

Al-Madinah Al-Munawwarah Intermediate School

Zaidtl2021@gmail.com

الملخص :

القرآن الكريم كتاب هداية الانسان ويمثل طريقاً مستقيماً يدعو الناس من كل الأعمار إلى اتباع الله وطاعته، ومع مرور الزمن وتقدم المعرفة الإنسانية تزداد شرعية هذا الكتاب الإلهي وتجلّيه من مظاهره؛ وان معجزة القرآن الكريم تتكشف للبشر كل يوم. حاول المفسرون فى العصور المختلفة فهم معانى القرآن وتقديمها للمجتمعات الإسلامية، مستخدمين مناهج تفسيرية خاصة مبنية على أسس وقواعد متفق عليها من قبل العلماء. ومما عالجوه البعد الأخلاقي للقرآن الكريم الذي يجب دراسته بنظرة عميقة ودقيقة، لأنّ القرآن الكريم يكون مرجع الأجيال وملجأ البشرية في جميع العصور. تتناولت هذه الدراسة الحالية تلك الوصايا

الأخلاقية في القرآن الكريم بالإضافة إلى إظهار طريقة التعبير القرآني عن هذه الاخلاق. فركزت الدراسة على أساليب القرآنية فى هذا المجال وخاصة منهجية القرآن فى الأمر بالأخلاق الحميدة وفى النهي عن الأخلاق السيئة. فاتخذت الدراسة المنهج الوصفى- التحليلى لتحقيق أهدافها. والاهتمام بالأخلاق الداخلية والخارجية. بالإضافة إلى ذلك ومن خلال فحص ودراسة أمثلة النهج الأخلاقي في التفسير والتحقيق في خصائص التفسير في القرآن الكريم ، والتي تشمل خصائص وأنواع مختلفة من الخطاب. تنوع أساليب الامر بمكارم الاخلاق، والنهي عن سيئها، المزاوجة بين التشجيع والترهيب والوعد والتهديد والثواب والعقاب ، إقناع العقل وامتاع العاطفة والعناية بالاخلاق الباطنة والظاهرة، فإن الهدف النهائي لهذا البحث هو الإجابة على هذا السؤال: ما مدى اثر اسلوب التعبير القرآني في ابراز اهمية المنهاج الاخلاقي في القرآن الكريم وماهي اهم اساليب التعبير في القران الكريم وهل توجد علاقة ارتباطية بين المنهاج الاخلاقي في القران واسلوب التعبير؟ ومن ثم تحليل النصوص القرآنية للوصول إلى أحكام فنية صحيحة لما نظّر لها من أسلوب الخطاب القرآني متكامل من جميع نواحيه، فهو قمة في بنائه؛ ومثالاً لفن من فنون القول وبراعة الخطاب والتي تجلت في أسلوب القرآن الكريم في جداله لفئة من المنكرين الجاحدين الذين دار فيهم الخطاب بين مؤمن آل فرعون وقومه. وبذلك يتم اعطاء أهمية للقرآن الكريم، وجعل القرآن الكريم من المقررات الرئيسية في سياق الثقافة المستدامة.وتعريف الطلاب بمفاهيم القرآن، وتعلمهم طرق التعرف الى القرآن والتفسيرات وزيادة وعي الناس وارتباطهم بالمنهج الاخلاقي للحد من تحديات المستقبل وإيصال المفاهيم الأخلاقية القرآنية للقاريء والمتلقي سواء كان مسلما او غير مسلم.

الكلمات المفتاحية: الاسلوب،النهج والمنهج الاخلاقي، التفسير والتعبير عن الهدف.

Abstract

The Holy Qur'an is a divine source of guidance that establishes a comprehensive moral framework for individuals and societies. This study examines Qur'anic moral teachings and the rhetorical methods used to promote virtuous behavior and prohibit immoral conduct. It focuses on both internal ethics, such as faith and sincerity, and external ethics, including social conduct and interpersonal relations.

Using a descriptive-analytical approach, the study investigates the role of Qur'anic expression in emphasizing ethical values and explores the relationship between the Qur'anic moral framework and its stylistic methods of communication. It analyzes selected Qur'anic texts to demonstrate the eloquence, coherence, and persuasive power of Qur'anic discourse, including the dialogue between the believing man from Pharaoh's family and his people. The study highlights the importance of incorporating Qur'anic

ethical concepts into educational curricula and sustainable cultural programs. It concludes that understanding Qur'anic methods of ethical expression can strengthen moral awareness, address future social challenges, and communicate universal Qur'anic values to both Muslim and non-Muslim audiences.

Keywords: **Qur'anic discourse**, **ethical framework**, **Qur'anic style**, **moral values**, **Qur'anic exegesis**

المقدمة

كلمة الأخلاق، مثل كثير من الكلمات في مجال المعرفة والفكر، لها معاني مختلفة. في بعض الأحيان في حياة جيدة، وأحيانًا على العيش، وأحيانًا على ما يجب فعله وما لا يجب فعله، وأحيانًا وفقًا لمجموعة من القواعد والمبادئ التي تنطبق على الأشخاص في الحياة، وأحيانًا على الحالة الداخلية والسمات الروحية، وأحيانًا على الأفعال البشرية والسلوك ((حسين، 1394). ذهب الأستاذ مطهري -رحمه الله- إلى أن:"يقال عادة عن الأخلاق: الأخلاق هي علم كيف نحيا أو كيف يجب أن يعيش العالم، أو يقولون: الأخلاق يجب أن تجيب الإنسان ما هي الحياة الصالحة للإنسان والكائنات وكيف يجب أن يتصرف البشر. » (المطهري، 1384). من الواضح أنه يجب البحث عن مصدر الاختلاف في المعنى الأخلاقي وتفسيراتها المختلفة في علم الكونيات والأنثروبولوجيا. لأن الأخلاق هي، بالإضافة إلى المعرفة النظرية تنظر أيضًا في السلوك، والأفعال التى ترتبط بمصير الإنسان، ولها دور مهم جدًا في تنظيم الحياة البشرية (الرحماني، 1394)التفسير الأخلاقي للقرآن الكريم كمدرسة للتفسير له تاريخ إلى جانب تاريخ القرآن. كان البادئ بهذا التفسير النبي (ص وآله) وقد تم اقتراح هذا النهج في الروايات الأخلاقية منذ زمن الوحي. فإن عصر

نزول القرآن، الذي تزامن مع وجود النبي (ص وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) في المجتمع الإسلامي، هو بداية الاهتمام الخاص بالمفاهيم الأخلاقية. بما أن الرسول (ص وآلة) يعتبر استكمال الفضائل الأخلاقية هو هدف رسالته وأن نزول القرآن قد تم في اتجاه قيام الرسول (ص وآله) بنفس الهدف. وبالتالي للنبي (ص وآله) وآل البيت (عليهم السلام) دور واضح في شرح آيات القرآن وعرض النقاط المخفية في الآيات وتثقيف الناس على أساس هذه المفاهيم. (.الشاهرودي، 1397) روي عن النبي (ص وآله): «خيركم من يطعم الجياع في اللباقة، وفي الليل يصلي والناس في النوم». في هذا السرد ولكي يكون الأفضل ذكر ثلاثة شروط، أولها نتيجة صحة شخصية الفرد، والشرط الثاني يعبر عن علاقته الصحيحة بأهل المجتمع، والشرط الثالث يدل على صحت العلاقة مع الله. في الواقع يتم وضع الفضائل الأخلاقية بجانب العبادة القيمة مثل صلاة الليل. في العصرالحالي زادت الدوافع لإحياء المنهج الأخلاقي ونشهد انتشار المفسرين الأخلاقيين، ولكن على الرغم من أهمية هذا الأسلوب في التفسير وعلاقته بهدف هداية القرآن الكريم، فلا توجد نشاطات علميّة واسعة لتطوير هذا المنهج التفسيريّ.

المفاهيم والكليات للبحث

الأسلوب:

الاسلوب: في اللغة الطريق،الفن من القول او العمل (معلوف،1973:343)ويقال للطريق بين الاشجار وللفن وللمذهب والشموخ بالانف والعنق ويقال لطريق المتكلم في كلامه أيضا . (الزرقاني، دون تاريخ)وفي المصطلح: الطريقه الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، اوهو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المخرجات والتراكيب لكلامه (المصدر نفسه).

الأسلوب هو مجموعة من الأساليب والوسائل التي يستخدمها كل شخص ويستخدم كل رأس المال الفردي والاجتماعي للتواصل مع الآخرين وقضاء حياتهم والشؤون الاجتماعية. بمعنى آخر، الأسلوب هو ظاهرة جماعية. لأنه يمكن التحدث عن الأسلوب عندما يتم قبوله من قبل عدد من الأشخاص في مجتمع أو مجموعة اجتماعية معينة. إذا لم يتم تحقيق ذلك ولم يتم قبول الأسلوب من قبل الأفراد أو المجموعات الاجتماعية، يتم تشكيل إجراء فردي لم يعد له قيمة اجتماعية . (الكافي، 1397)لقد وجدت مفردة (الاسلوب) مكانة جيدة في مجال بحوث الإعجاز البلاغي، لأن علماء القرآن الذين سعوا لإثبات إعجاز القرآن حاولوا مقارنتها بين أسلوب القرآن والكلمة العربية وقد أصبح أسلوب الكلمة مرادفًا للفن وحتى في كلام ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) قيل: "يفهم المرء سمو القرآن إذا كانت آراءه ومعرفته واسعة جدًا ويعرف الأسلوب والطريقة" من العرب جيدا. يرتبط الأسلوب في الخطابة أيضًا بكلمة فن هو الذي يتعامل مع جميع أنواع المقارنات بين الشعراء، قال في إحداها: "إنه الوقت الذي تفكر فيه في الطريقة التي يتحدث بها وتنظر في خصائصها:"كلما وجدت واحدة أكثر دقة وأفضل في التفاصيل الدقيقة من المعنى، ستحكمون على تفوقه". (المصدر السابق ص 60). الأسلوب إذن يرتبط بطريقة خاصة بترتيب المعاني هذه الطريقة، بإمكانياتها النحوية، تميز نمطًا عن أنواع وأنماط أخرى. (المرجع نفسه، ص25)

معنى كلمة التفسير:

كلمة التفسير تعني الإيضاح والتفسير. مفردة التفسير مأخوذة من مادة "فسر" يعني التوضيح والكشف. يقول راغب الأصفهاني: "إن الفَسَر وسَفَر ، لأنهما قريبان بعضهما من البعض حرفياً ، قريبان من الناحية المعنوية ؛ مع الاختلاف بين أن التعبير هو تعبير عن المعنى العقلاني والمفاهيم غير الملموسة والسفر هو رسم أشياء غريبة ومادية من أجل رؤية ، على سبيل المثال ، يقولون:سفرت المراة عن وجهها و اسفرت . أو يقال: اسفر الصبح. (الاصفهاني و فرحات، 1404/1984)

جذور مفردة التفسير:

هناك رأيان حول أصل هذه الكلمة:

مقال "فسر": أولاً هذه الكلمة مأخوذة من مقال "فسر". وقد ذكر المعجم لهذه المقالة عدة معانٍ ، منها البيان والتفسير (فارس، 1404)وكشف المخبأ (الفيروز آبادي 1399: 51) واكتشاف المعنى والتعبيرعنه (الزبيدي، 1414هـ/1904 م)كل هذه المعاني مشتركة في مفهوم "الشرح والكشف والتعبير". اعتبر البعض أن "فسر" و "التفسير" مترادفان. (دريد، 1988) ومع ذلك، يبدو أنه بسبب الطبيعة الدلالية لموضوع الفعل، والتي غالبًا ما تعني المبالغة والازدواجية ، ووفقًا للمعاني المذكورة لـ "التفسير" في القاموس ، فإن كلمة "المبالغة في فَسر" تعني معنى "الجزء" و "معنى الكشف عن المعنى". مع السعي و الاجتهاد . (عاشور، 1984)

النهج الأخلاقي:

تعريف الأخلاق

الأخلاق في اللغة: هذه الكلمة من اصلٍ عربي وجمعت "الخُلق" و "الخُلُق" ولها معاني مختلفة في اللغة. يقول ابن منظور في تعريفه: "تستخدم الأخلاق بمعنى الشكل الباطني وغير المرئي للإنسان و تُفهَم عن طريق البصيرة. على عكس الخُلُق الذي يقال إنه ظاهر المرء الذي يُرى بالعين. (منظور، 1414 ه). على هذا الاساس فإن الاخلاق في اللغة يعني "الطبع والمزاج " ويعني الشكل العقلي والباطني وغير المرئي للإنسان، وعلى النقيض فإن الخُلُق هو المظهر البشري المرئي للعين (القريشي،1361: 294) كما يذكر الكتاب أن "هذه الكلمات لها أصل واحد. مع الاختلاف في أن الخُلق يسمى الحالات الحسية والسمات الداخلية؛ لكن الخَلق يسمى الجانب المادي للإنسان. (راغب الأصفهاني1416: 297)

– المفهوم الاصطلاحي للأخلاق: يقول ابن المسكوية: "الخُلق حالة النفس التي تدعو الإنسان إلى فعل الأشياء بغير حاجة إلى فكر وفكر" . (مسكويه، دون تاريخ)

يقول المرحوم فيض الكاشاني نفس المعنى في تعريف الخُلق:« الخلق عبارة عن جسدية و حالة ثابتة في الروح التي تخرج منه الاعمال و الافعال بسهولة دون تفكير أو تأمل» . (الكاشاني، 1387)

النهج الأخلاقي:

مرت المقاربة الأخلاقية لتفسير القرآن بفترات مختلفة عبر تاريخ الإسلام. اختلفت هذه الفترات في الميزات والخصائص. استمر النهج الأخلاقي في تفسير القرآن الذي بدأه وصاغه الرسول الكريم (ص) والمعصوم (ع)، منذ نزول القرآن على الرغم من العديد من التقلبات.

يكشف فحص تطور النهج الأخلاقي عن وجود خمس فترات متميزة:

الفترة الأولى، وهي معاصرة للقدماء (الصحابة والتابعون)، هي فترة ظهور الاهتمام الخاص بالآيات التي تحتوي على نقاط أخلاقية. في الفترة اللاحقة والعهد السابق، الذي يتزامن مع تجميع التعليقات السردية المبكرة، في التعليقات السنية، والمعاجم والمناقشات المعجمية والنحوية، وفي الشيعة، التركيز على المناقشات التفسيرية حول موضوع منصب الإمام علي (ع) وفضائل أهل البيت (ع) تسببت في تراجع المنهج الأخلاقي في تفسير القرآن. في المرحلة الثالثة وهي الفترة الأولى من العصر المتأخر وظهور التفسيرات الشاملة الأولى، أعيد إحياء النهج الأخلاقي بشكل جديد، أي توفير التفسير العقلاني والسرد هي الفترة الثانية من أواخر العصر المتأخر لإثراء التفسيرات السردية، وتكثف الاهتمام بالآيات التي تحتوي على نقاط أخلاقية، وقد شهد هذا الاتجاه المتنامي في العصر المعاصر نموًا وازدهارًا خاصًا لأسباب مختلفة. (الفقهي، 1389)

المنهج الأخلاقي:

يستمد المؤمن أخلاقه من إيمانه ، والإيمان بجوهره وعبادته هما في الواقع أسس مدح البنية الأخلاقية القائمة على صدق الإيمان واليقين. والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الإخلاص في عبادة ربه يحدد لنا صفات رسالته ويقول: "إني بعثت إلى تكميل الأخلاق".الدين كله منهج للأخلاق في مختلف العلاقات والمجتمعات. والأخلاق هي الدين بكل ما فيه ولا يوجد خارج أو إضافة إليه . وسئلت عائشة عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (كانت شخصيته القرآن) ويكفي هذا لمعرفة ما قاله الله تعالى: وانك على خُلقاً عظيم"الشخصية العظيمة" تعبر عن عظمة الأخلاق ، مما يعني وضع صاحبها في أعلى مكانة وكرامة. كرم السلوك علامة على الإيمان الكامل وإحدى صفات المؤمن وهدف رسالته المطلقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "والصالحين". مع الإسلام على الجانب الآخر "خلق

الناس" وليس المسلمين فقط، يحتمل أن يراك الطرف الآخر على أنك صاحب أخلاق حميدة ، فكن سببًا لإرشادك إلى الإسلام ، وأن خير الرجل لا يقاس فقط بالصلاة والصوم، بل أيضًا بأخلاقه. فنظر إلى عبد الله بن عمرو فقال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشًا ولا فاحشًا ، فقال: أنتم خير الأخلاق. يقول ابن مبارك رحمه الله بتعبير مهذب: وجهه طاهر رقيق ، مجتنب الأذى. (النصر،2017: 2). فإن الاهتمام بالتعليم الأخلاقي ونموه هو ضرورة عالمية وإنسانية. ومن بين الديانات السماوية ، يبدو أن المذهب الإنساني في الإسلام تعامل مع هذه القضية المهمة أكثر من غيره من المدارس، حتى أن رسولها الإلهي – النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – أعلن هدف رسالته في استكمال التكريم الأخلاقي:«انمَّا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَّارِمَ الْأَخْلَاقِ» . (المجلسي، 1403)كان النبي(ص وآله) خلال حياته يثقف الناس على أساس الأخلاق والنمو الأخلاقي والتميز في طليعة عمله وفي جميع المجالات الأخلاقية ويقود المسلمين إلى النمو والتميز، وبعده واصل الأئمة الطاهرون(ع) رسالته الثقيلة في هذا الصدد، ومن ناحية أخرى يعتبر القرآن هدفه الهداية:«ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتقِينَ »(البقرة/2). هذا الكتاب الإلهي، الذي يأخذ في الاعتبار المسار التطوري للإنسان نحو غايته النهائية وهدف الخلق، وهو الكمال والاقتراب من الله، ومع الأخذ في الاعتبار الدور الأساسي للتربية الأخلاقية في مسيرة الإنسان نحو هذا الهدف، يتحدث عن هذا الموضوع في عدة آيات. ونظراً لحاجات العصر وظروف المسلمين في عصر الوحي وغيره من الأسرار الخفية ، تحدث عن قضايا مختلفة مثل "التربية الأخلاقية" المنتشرة في مختلف الفصول والآيات. ودعا الجميع لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة ، أطاعها وعبّر عن آياته بهذه الطريقة للتأمل: «كَذَّلِكَّ يُبَيِّنُ اللهُ لَّكُمْ آيَاتِهِ لَّعَّلكُمْ تَّعْقِلُونَّ»(البقرة/242) .

الطرق التي استخدمها القرآن لتحقيق هدفه:

يُنظر إلى المفاهيم الأخلاقية في العديد من الدول القديمة على أنها مجموعة من القيم وتتضمن تعليمات لعزو المزاجات الصالحة والقيام بالأعمال الصالحة وتجنب المزاجات السيئة والأفعال السيئة وتكوينها كعلم.وقد اتخذت الأخلاق مسارًا موازياً في مختلف العصور القديمة للحضارات ، وأنتجت أعمالًا أخلاقية بأساليب مختلفة. مع ظهور الإسلام وتأسيس مجاله الثقافي الواسع، جذبت الأخلاق كفرع من العلوم الإنسانية أيضًا انتباه المفكرين المسلمين وأصبحت الأساس لظهور تراث قيم في الثقافة الإسلامية. اعتمدت الأخلاق الإسلامية بمدارسها المختلفة على الثقافة القرآنية وتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قواعدها القيمية، لكن هذا لم يمنع المفكرين المسلمين من توسيع التعاليم الأخلاقية الأولى، وكذلك في أسلوب تجميع أعمالهم، لا تستخدم تراث أسلافهم. ما تمت دراسته في هذا الباب هو خصائص أساليب التعبير القرآنية للمقاربة الأخلاقية، خاصة كيف أن القرآن يأمر بالأخلاق الحميدة وكيف يؤمر الأخلاق السيئة .

خصائص أساليب التعبير القرآني للمنهج الأخلاقي

لذلك من درس كتاب الله تعالى سيجد أفضل الفضائل الأخلاقية التي تصنع الإنسان وأخلاقه وتزيد من إنسانيته وكرامته. حيث يخاطب القرآن روح الإنسان من أسرارها بكلام يحسن حالة الإنسان ويسعده، ويتم الكلام بطرق مختلفة تجذب العقل ومتلقي القرآن. فعل. الآيات التي يتم فيها ضبط أسلوب الأمر والنهي والوعد والتهديد والفتنة والتخويف وتصف الجنة والسعادة الأبدية وأجر من يستحقها هو من أهل الأخلاق، ومن خلال القصص والأمثال والتقارير والتلميحات من خلال أساليب الخطاب المختلفة ، الخوض في عالم الأخلاق الخارجية والداخلية ، والمقابلات والاقتران ، والدعوة إلى الملاحظة والتنوع والشمولية ، والمرونة في النصيحة والكلام. بالإضافة إلى أنه يربط أشرف الأخلاق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله

عليهم السلام وكل ما يرفع نفسه. وكذلك من خلال لفت الانتباه إلى أسلوب الحوار والتكرار ومهارات التساؤل وغيرها من الأساليب التي يتم من خلالها أخذ بعض الخصائص التي تفرد بها القرآن الكريم من حيث الاعتدال والاكتمال والكمال والمنطق والتفكير والتنوع والجمال وغيرها من الخصائص والأساليب التي ينفرد بها، ودعم ذلك بالآيات القرآنية الكريمة. بالإضافة إلى رجوع إلى كتب التفسير والاعتماد على الاقتباس الأقرب والأوضح لمعنى الآية والغرض منها، استنتج الفوائد والنكات التي تدور حول الآيات. والنقل من مؤلفي كتب أخرى حول الأخلاق والفن ، يدعم ويوضح ما يجب شرحه. (محمد الساده،2018: 454).

تنوع أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يختلف منهج القرآن الكريم في الأمر الأخلاقي ، ففي بعض الأحيان يأتي بأمر صريح والتزام صريح بقيمته وتحريمه ، وأحيانًا يأتي بأمر قريب منه. وبيان قيمته وفضيلته وأثره على الإنسان ، وأنه من صفات المؤمنين ، على سبيل المثال ، وصية صريحة بالتعاون في فعل الخير ، والنهي عن التعاون في المعصية. والعصيان في كلماته:« وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة: ٢)، وهناك آية أخرى تذكر التعاون صفة من صفات المؤمنين وتثبت فضله وأثره عليهم، قال تعالى:« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة:٧١)، أي: "بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر. (الجوزي، 1422 هـ). هذا، ويأتي التوجيه المباشر للقيم الأخلاقية، وذلك من خلال الإشارة إلى الأمر بوجوب التخلق بالفضائل الأخلاقية، بشكل مباشر وصريح لا يحتاج إلى إعمال فكر وتكلف، بل يُدرك بكل سهولة ويسر، ومن الآيات التي تبين ذلك قوله تعالى:« وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهما أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُف وَلَا

تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» (الإسراء:23)؛ وقد أوضح في هذه الآية المشرفة الصلة بين عبادة الله تعالى وصلاح الوالدين وإعلان قيمة هذا الخير في عين الله ، فالرابط الأول بعد ارتباط الإيمان هو صلة الأسرة. (القطب، بدون تاريخ).

إنَّ من أهمّ الطرق لتربية النفس والسيرة والسلوك ونيل مقام القرب من الله عزوجل، تربية الفضائل ومكارم الأخلاق في نفوسنا، وللأخلاق آثارطيبة في الدنيا والآخرة، ولذا أكَّدت عليها الآيات المباركة والروايات، وقد ورد عن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله: "ما يوضع في ميزان امرىءٍ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق". وقد ورد عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله: إن من أحبِّكم إليَّ، وأقربِكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنَكم أخلاقًا). وقد فصَّل المعصومون(عليهم السلام)الحديث عن حسن الخلق. فقد سُئل الامام الصادق (عليه السلام): ما هو حدّ حسن الخلق؟ قال عليه السلام: "تلين جانبك، وتطيّب كلامك، وتلقى أخاك ببِشْرٍ حَسَنٍ". (العاملي، 1412). يكتسب الإنسان مكارم الأخلاق بسلامة العقيدة. إذا صحتِ العقيدةُ حسنت الأخلاق، فشأنُ العقيدةِ عظيم جدا فالسلوك هو ثمرة لما يحمله الإنسانُ من فكر، وما يعتقدُه من معتقد، وما يدينُ به من دين. والانحرافُ في السلوكِ ينتج عن خللٍ في المعتقد. والعقيدةَ هي الإيمان وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا. وجعل الله تعالى حسن الخلق هو الطريق إلى تحقيق التقوى وهي المنزلة التي يتمنى المسلم بلوغها, قال تعالى:(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**).(سورة:آل عمران/133). **إن حُسن الخلق وإتمام مكارم الأخلاق، هما خُلقان ينبغي على المؤمن أن يتصف بهما ليبلغَ أسمى الغايات ويحقق أغلى الأمنيات. (المجلسي، بحار الانوار، 1403).**

إن الفضائل الأخلاقية هي الصفات التي يمتلكها الإنسان، إما بطبيعته أو اكتسبها، والتي تدفعه إلى التصرف وفقًا للأخلاق، والتي تجعل الإنسان يتصرف بشكل صحيح، أي يميل نحو الخير. تتنوع الفضائل الأخلاقية لكل حضارة أو دين حيث يمنح كل منها معنى أو أهمية وفقًا لنمط حياتهم أو نهجهم الفلسفي. فإن معظم هذه المجموعات تدافع عن أهمية الفضائل الأخلاقية للعمل بطريقة مباشرة. أي استعداد حازم

للعمل على أساس الخير والأخلاق. في الوقت نفسه يتم التركيز على جعل أكبر عدد من الأفراد يتصرفون بنفس الطريقة ، لأنه من خلال تحقيق هذا التجانس، سيتم تجنب الخلاف والأنانية أو الاستياء. من الناحية الروحية، فإن القيام بالفضائل الأخلاقية والدفاع عنها يمنح الفرد الحياة الأبدية في الدنيا ووسام المثابرة والخير كما تؤمن به مختلف الأديان وتعززه.(المجلسي، 1403: 389)

الفضائل الأخلاقية :

1– العدالة

العدالة من أسمى الفضائل الأخلاقية التي ترتقي بها الأمم وتستقيم بها حياة الأفراد والمجتمعات . فهي تتعلق بإعطاء كل شخص ما يستحقه عليك أن تعامل الجميع على قدم المساواة ، وتمثّل العدالة أساسًا للسلام الاجتماعي كما أنّها ترتبط بقيم أخرى مثل الصدق والإنصاف والأمانة، فلا تُبنى العدالة إلا على ضمير يقظ ونفسٍ سامية.

2– القوة

القوّة من الفضائل الأخلاقية التي لا تعني مجرد الشدة الجسدية أو القدرة المادية، بل هي قبل ذلك قوة النفس والعقل والإرادة. فالقويّ حقًّا هو من يملك السيطرة على ذاته، ويواجه الشدائد بصبر، ويثبت على الحقّ مهما كلّف الأمر. وتظهر أخلاق القوة في الثبات عند المواقف الصعبة، والقدرة على اتخاذ القرار الحكيم دون تردّد أو خوف، وفي تحمّل المسؤولية بشجاعة. كما أن القوة الأخلاقية تدفع صاحبها إلى نصرة الضعيف، ورفع الظلم، والتمسّك بالمبادئ مع اللين والرحمة، فلا يكون قويًا بظلمه، ولا شديدًا بغلظته، بل تتوازن قوته بالعقل والحكمة. وبفضل هذه القوة يرتقي الإنسان بنفسه، ويكون قادرًا على الإسهام في بناء مجتمع متماسك قائم على الحق والخير.

3- الحكمة

. الحكمة هي الفضيلة التي تُوجِّه بقية الفضائل، فهي التي تجعل الشجاعة شجاعةً محسوبة لا متهورة، وتجعل الكرم كرماً بلا إسراف، وتجعل العدل عدلاً خالياً من الهوى. والحكيم هو من يزن كلماته قبل قولها، ويتفكّر في عواقب أفعاله، ويتخذ قراراته بناءً على العقل والتجربة لا على الهوى كما أنه يساعد على الحكم بشكل صحيح ودون تحيز، والحكيم يميل إلى الاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، ويختار الطريق الوسط الذي يحقق المصلحة دون ضرر.

4- الاعتدال

الاعتدال هو المسؤول عن السيطرة على جذب الملذات التي يتم تقديمها للإنسان بشكل عام، هو الذي يضع الإرادة فوق الإغراءات المادية ويساعده على الحفاظ على التوازن بين الروح والجسم(المجلسي، 1403: ص390).

طريقة أو طريقة إيصال الأفكار وخلق التغيير يساهم بشكل فعال في نجاح جهود المصلحين وصناع التغيير. قد يختار شخص أو مجموعة طريقة معينة للقيام بالإصلاح والتغيير، ولا تنجح ولا في مأمن من الأذى. بينما يقوم أفراد أو مجموعات أخرى بأنشطة مماثلة في سياق وبيئة مماثلة، فإنهم يحققون نجاحًا كبيرًا وينفذون أهدافهم بالكامل مع القليل من الضرر. الاستخدام الجيد للأساليب والاستخدام الجيد للقدرات والإمكانيات يوفر الجهد والوقت ويسرع في تحقيق الأهداف ونجاحها.

في هذه الأيام نخطط وننظم ونصنع الأسلوب. لا يمكن دفع عملية الإصلاح والتحولات الاجتماعية إلى الأمام والوقوف ضد وسائل الفساد والغزو الحضاري لعدو الإسلام ، فهذا ممكن فقط بطريقة متفوقة وفعالة وشاملة. إن الدعوة إلى التغيير وتنفيذ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبنية على الانفتاح والبصيرة والمعرفة والحكمة... عملاً بقوله تعالى:﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**ﷺ

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

يوسف: 108[وقوله سبحانه:«أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّك بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...» (النحل/ 125).

وقد جاء في حديث الشريف: "العامل بلا بصيرة كمن يسير في طريق آخر».

« نحن أمة الأنبياء كلفنا أن نتحدث إلى الناس حسب عقلهم ».

« أنا مأمور بأن أكون لطيفًا مع الناس ، لأنني أُمرت بإعطاء رسالة ».

فلابدّ من اختيار الأسلوب المناسب، والطريقة الناضجة والصحيحة في عرض مفاهيم الإسلام وأفكاره، وممارسة التغيير والدعوة إليه. فنحن أمام قوى معادية تستخدم جميع الوسائل والأساليب لمقاومة الإسلام ومعاداته.

الشروط والأنظمة والقوانين التي يجب مراعاتها:

1 . لقد أعطى الإسلام للناس الحق في التغلب على المحرمات والتقصير بعد التقصير في الأساليب المتقدمة بشرط ألا يتسبب هذا الضرب في إصابة أو كسر. إذا أدى الضرب بالخطأ أو العمد إلى كسر أو إصابة ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الضامن لهلاك المجني عليه.

2 . يمكن للسلطة القانونية أو من ينوب عنه قتل مرتكب الفعل المحظور أو السماح بقتله إذا اقتضى الأمر تنفيذ العقوبة. في هذه المرحلة ، لا يوجد ضمان أو مسؤولية للسلطة القانونية أو من يمثلها. (السيوطي، 1414)ووفقًا لفلسفة الخلق البشري، التي هي بحسب القرآن الكريم العبادة والاستعباد، ومن ناحية أخرى فإن الفرق بين الإنسان وغيره هو بلاغة الإنسان وحكمته، وسيرته نحو الكمال، وأهمية ومكانة الإنسان. يتم شرح وتوضيح هذين الواجبات الإلهية أي الأمر نحو الخير وتحريم السيئ. وبما أن الإنسان يجهل وينسى

الكثير مما ينفعه بسبب النسيان ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضرورات كل إنسان لبلوغ الكمال. ولهذا يقول الإمام محمد باقر(عليه السلام):«ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضه عظيمة بها تقام الفرائض ...». (حسن، 1412)أي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التزام كبير وعظيم يتوقف عليه الوفاء بالالتزامات الأخرى. وقد استخدم مصطلح «بها تقام الفرائض» على نحو يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضرورات الحكومة الإسلامية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم

بشكل عام يمكن القول إن أصول أحكام الشريعة وعمومياتها يجب أن يتم البحث عنها في القرآن الكريم ووصفه وفروعه في السنة النبوية. لقد أشار القرآن الكريم إلى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات كثيرة، وإليكم بعض هذه الآيات:

1. ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾

[آل عمران: 114] يؤمنون بالله واليوم الآخر، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وفي عمل الحسنات يتقدمون وهم الصالحين. (الشيرازي، 1387)

2- ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾

[آل عمران: 104]. ينبغي أن يدعوا بعضكم إلى الخير ، ويأمروا بالمعروف وينهون عن السوء وهم المنتصرون. (الشيرازي ن.، 1387)

3. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران– 110). كنتم أفضل أمة خُلقت لمنفعة البشر. ما الأمر الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله؟ (مكارم الشيرازي ، ١٣٧٨: ٦٤)

4. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...(النحل– 90). يأمر الله المقربين منه بالعدل والإحسان والمغفرة ؛ ونهى عن الدعارة والإنكار والقمع ...(مكارم الشيرازي 1999: 277).

التشجيع والترهيب والوعد والتهديد والثواب والعقاب

في التربية الإسلامية، حظي مبدأ التشجيع والتخويف باهتمام خاص بطبيعة الحال. لقد استخدم القرآن كأهم كتاب في هداية البشر وتدريبهم الجنة والنار ، ووعظ الأنبياء وتحذيرهم ، وثواب الأعمال وعقابها، ووعود ووعود مثيرة ومخيفة كمظاهر للتشجيع. والترهيب لتوجيه البشر. في الواقع، الغرض من إيصال الأخبار السارة إلى السماء هو تشجيع الناس وتحفيزهم على عمل الخير؛ والغرض من التحذير والتخويف من الجحيم والعذاب التحذير من الأعمال القبيحة والعذاب الإلهي. ولهذا فإن من أهداف رسالة الأنبياء الوعد والتحذير ، وقد قال: «فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّينَ مُبَشّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ ... وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ اِلاَّ مُبَشّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ» (البقره/213).

المزاوجة بين والوعد والوعيد

آيات القرآن تحتوي على آيات عديدة من الوعود والتهديدات ، وهي وعد يشجع الناس على عبادة ربهم كما بعث رسله ، وتهديد يخيفهم من الضلال عن الصراط المستقيم. طريق اتباع طريق الشيطان والتخلي عن السلوك الصحيح. وأشار الدكتور محمد عبد العاطي ، رئيس كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر ، إلى أن آيات الوعد تشجع على الفضائل وتشجع على النفعية ، وآيات التحذير فظيعة. تحذير وتوبيخ من يعارض شريعة الله وتذكيرهم بأنهم خلقوا لهدف عظيم وهو عبادة الله تعالى. انتبه عبد العاطي إلى آخر آيتين من سورة زلزال « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ [7] وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [8] » (الزلزلة:7-8).. فذهب إلى أن الوعود الأولى لمن يعمل عملاً صالحًا في هذا العالم ، وإن كان بسيطًا ومرضيًا ، أن يكافئه على الفعل الذي يقوم به بيديه ويجعله يفعل ذلك بإيمان. القلب ، وحتى هذا سيكون في أحسن الأحوال.

من ناحية أخرى ، فإن التهديد في الآية التالية لمن يفعل الشر بأي شكل من الأشكال ، ناتج عن الغيرة والحقد وعمى القلب ، مما يؤدي به إلى اضطهاد الآخرين ويؤدي إلى الهلاك. خسارة واضحة ، لأنه سيجد عقوبته في انتظاره. تحتوي هذه الآيات على تحذير للناس في داخلهم وبين سطورهم ، ينبههم إلى أن يأتي يوم يثاب الصالحين على أعمالهم الصالحة ويؤجر الخاطئ على سيئاته. لا تضيعوا أجر أفضل عمل. وفي موضوع آخر ناقش آيات التشجيع في (سورة محمد آية 15). التي قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

فالله عز وجل يكشف من خلال الآيات أنه أعد الجنة ليتنعم بها المؤمنون، وفي هذا ترغيب لكل إنسان ليسلك الطريق الذي يوصله إلى النعيم المقيم الذي لا يخطر على قلب احد من البشر.(لطفى،2015: 7)

إنّ للقرآن الكريم أهدافاً أساسية إذا عرفناها عرفنا بعض جوانبه الغامضة، ومن أهدافه الأساسية تربية الإنسان وتزكيته وتعليمه وارشاده، وقد أشار إلى هدف التزكية والتعليم . قوله تعالى في سورة الجمعة، الآية الثانية: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ.". فالآيات التي تُتلى على الأُميين تهدف إلى تزكيتهم، ثمّ تعليمهم الكتاب والحكمة، فالتزكية هي تنظيف النفس البشرية من رواسبها الجاهلية سواء كانت من نوع الأفكار الباطلة، أو المعتقدات الفاسدة أو الأخلاق السيّئة.

والتزكية مشتقّة من الزكاة وهي الطهارة، وأساس التزكية تقوية الإرادة والتحكّم في الأهواء والشهوات ، وتخليتها عن الأوصاف الذميمة، بينما يهدف التعليم إلى إضافة المعارف الجديدة للإنسان؛ لدفع عجلة

البشر إلى الأمام، وهذا يُشبه إلى حدٍّ كبير العلاقة بين تنظيف الأرض الزراعية من الأدغال والحشائش الضارّة، لتتسنّى زراعتها بالبذور والأشجار المثمرة، فالشجرة المثمرة هي العلم، ولكنّه لا ينفع من دون تنظيف الأرض. والإنسان محتاج إلى أن يملك نفسه، ولا يمكن أن يملكها ما دامت النفس هي التي تقوده تبعاً للهوى، وتتفيأ به مراحل الهوى فيسير وراءها في أي اتجاه سارت. وهنا تكمل عملية التزكية والتعليم، وتأتي الواحدة متمّمة للأُخرى، وبهذا الجمع بين التزكية والتعليم يوجّه القرآن الناس إلى الحقّ، وهذه وسيلة تربوية تدعونا إلى التدبّر في آيات الله تعالى؛ لأنّها حقائق تربوية يتعرّض لها كتاب الله، لتثبيت المسؤولية الشخصية في نفوس الأُمّة. قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ). (الرعد:آية 11). فهذا الأُسلوب التربوي وغيره من الأساليب التي يتخذها القرآن الكريم تُعد مناهج علمية للتربية سبقت البشرية جميعاً في استخدامها، ومنها أُسلوب الترغيب والترهيب الذي يدفع بالإنسان إلى عالم الرقي والكمال المنشود، ومنهج القرآن قاعدة شاملة ننطلق منها إلى تربية النفس والمجتمع، والتوصّل إلى النظام الكوني الأتمّ والأشمل.

وآيات القرآن الكريم حافلة بأُسلوب الترغيب والترهيب المباشر وغير المباشر، فمرّة يتحدّث القرآن عن آيات يذكر فيها الجزاء والثواب والعقاب، فيرغّب في الثواب ويرهّب من العقاب، ومرّة يذكر العاقبة الحسنة للذين يخافون من الله تعالى، ومرّة يذكر العاقبة السيّئة للذين لا يخافون، بل يتعدّون حدود الله، ولا يرغبون فيما عنده، ويذكر طريقة عقابهم في الدنيا والآخرة نتيجة أعمالهم السيّئة. ومرّة يذكر الذين يخافون والذين يرغبون ذكراً مباشراً، كلّ ذلك هو اتّباع لمنهج تربوي لصقل روح الإنسان وبنائه، وبيان الآثار التربوية لهذا المنهج، يقول تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾. (الأنبياء:آية90). فظاهر السياق أنّ ضمير الجمع في الآية يعود إلى بيت زكريا، وكأنّه بيان لمقدّر معلوم من سابق الكلام، والمعنى أنّنا أنعمنا عليهم؛ لأنّهم كانوا يسارعون في الخيرات من الأعمال، ويدعوننا رغبةً في رحمتنا أو ثوابنا، ورهبةً من غضبنا أو عقابنا، ويدعوننا راغبين راهبين، وكانوا لنا خاشعين بقلوبهم. (الطباطبائي، 1390) .

الثواب والعقاب

الثواب والعقاب من الأدوات التربوية التي اعتمدها القرآن لحماية المجتمع من إغراء الانحراف ، ومعاقبة المجرمين ، وإخافة المؤمنين من ارتكاب الجرائم ، وتشجيع المؤمنين على اتباع دينهم. أن يضغط عليه ويزيد حسناته ويطلب ما بربه ورجاء مغفرته. أرسى الإسلام قواعد وأنظمة وقائية وقمعية تضمن سلامة المجتمع بأسره وحصانة الأفراد من مختلف الانتهاكات والجرائم. كما يذكر القرآن تشجيعا ومكافآت لمن يلتزم بقانون خالقه ويتجنب الأخطاء والمخالفات بحسب طبيعة الناس كافة ويدل على الحفاظ على صحتهم. يرضي غرائزهم ودوافعهم. يتطلب النضال مع الحياة والطبيعة المختلفة مكافأة للخير والعقاب على الشر« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ [7] وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [8]» (الزلزلة / 7 – 8). البشر

ليسوا نفس الشيء. ومن بينهم من ينجح في التدريس بقدوة ، ومن بينهم من يستفيد من النصائح الحسنة والكلام الناعم ، ومن بينهم من يكتفي بالقصص ويقسم يتذكرون أن السوط سيسقط. على بشرتهم. . . توقفوا عنه وقلوا له أن القرآن الكريم ليس هو البادئ بالعقاب في التربية والتأهيل ، بل يسبقه التشجيع أو الثواب ، لأن العقوبة ليست في حد ذاتها ، ولكن هناك جماعات يجب جلدها. يتم عرضهم ويضطر بعضهم إلى الجلد للحد من عنادهم وعنادهم. فالقرآن الكريم مليء بآيات الثواب وغيرها من الآيات التي تسبب العقاب ، حتى تتأرجح النفوس بين هاتين الوسيلتين.

قال الله تعالى في التشجيع على الثواب:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لايُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (التحريم: 8).

(النبأ: 21 – 30). يقال في الثواب: « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً [31] حَدائِقَ وَ أَعْناباً [32] وَ كَواعِبَ أَتْراباً [33] وَ كَأْساً دِهاقاً [34] لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً وَ لا كِذَّاباً [35] جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً [36] » (النبأ : 31 – 36). أوضح القرآن الكريم في آيات كثيرة العلاقة بين مبادئ الثواب والعقاب وأفعال الإنسان. يقول الله تعالى:« مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (الجاثية / 15) . قال الله تعالى: « إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً » (الكهف / 107) . وقال تعالى: « وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » (فصلت / 34) . وقال: « وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً»(طه / 112) . وقال: إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ

أَحْسَنَ عَمَلاً » (الكهف / 30). كم هي مدهشة وتعليمية هاتين الآيتين: « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ [7] وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [8] » (الزلزلة/7-8)

لقد تجاوز القرآن هذه المسألة واستخدم مصطلح تجاري ليوصل معنى الثواب والعقاب للناس حسب عقليتهم وواقعهم الاقتصادي واهتمامهم بتكديس الربح والمال ، ونقصد بهذه الكلمة قرض. قال تعالى:«مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَريمٌ» (الحديد / 11). قال الله تعالى: « وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ ما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبيبٍ » (هود / 101). ولكي يوضح أن أجر العمل يقول تعالى:: « هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ » (الرحمن / 60) قال الله تعالى: « وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمينَ » (الشورى / 40).

وقد ورد ذكر مبدأ الثواب والنسر في كثير من كتب الأجداد بعنوان آخر وهو (الفتنة والتخويف) على أساس الغريزة البشرية والرغبة في الثواب والسعادة والخوف من العقاب والبؤس والعقاب السيئ. في الفتنة يعد بالثواب والمحبة ، وفي الطاعة والترهيب يلوم الزلات والعصيان ويخيف الذنوب والعصيان. الثواب والعقاب من الأساليب التي يستخدمها القرآن لتشجيع المسلمين على فعل الخير وإرشادهم إلى طريق الهداية والعمل بالطريقة الإلهية.

أولاً: استقطاب الضمير ، وإثارة شهوة الإنسان الداخلية في أجر الله تعالى. قال الله تعالى: «إ إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً [107] خالِدينَ فيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً [108] » (الكهف / 107-108).

ثانيًا: تعديل سلوك الإنسان بناءً على وعيه بفوائد أو أضرار تصرفاته وسلوكه. قال الله تعالى:« مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً [18] وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً [19] » (الإسراء / 18- 19).

ثالثًا: النهي عن الفعل المرفوض وعدم تكراره.

الترهيب والتهديد بالعقاب الناتج عن ارتكاب معصية أو معصية حرمها الله ، أو عدم أداء واجب أمر به الله ، أو تهديد الله لتخويف العباد وإظهار صفة الجلالة الإلهية والجلال. أما بخصوص كلام الله تعالى ، فاحذروا دومًا المعصية:« وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا [71] ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمينَ فيها جِثِيًّا [72]» (مريم / 71-72)

قال الله تعالى:(قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ، لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ). (الزمر/ 15-16).

إقناع العقل وامتاع العاطفة والعناية بالاخلاق الباطنة والظاهرة

في كتاب العزيز الحكيم يرى المفكر الإقناع العقلي بالقصص والأمثال التي يقدمها وما يعبر عنه في الكلام ، وبالدليل والأسباب التي يقدمها يرى اللذة العاطفية والتشويق ويرى الشرح و الهدايا (دراز،2014: ص20)، على سبيل المثال ، درس وخطبة لقيمة معينة تأتي من قصة قرآنية ، مما يؤدي إلى المداولات والتفكير المنطقي بهذه القيمة ويؤدي إلى تحرك المشاعر نحو السلوك بهذه القيمة. استخدم القرآن الكريم

التشبيهات بشكل مباشر وغير مباشر بطرق مختلفة ، بما في ذلك العرض الطبيعي لكلمات حضرة حق: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة:٢٦١) ، ومنها التمثيل القصصي نحو قوله تعالى: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» (الأعراف:١٤٢)، قال تعالى: هذه الآية تعبر عن قيمة الإصلاح من خلال القصة التي يرويها القرآن الكريم للقارئ ، وآية أخرى تثير مشاعر المؤمنين المرتبطين بالأخوة الإسلامية بالدليل والدليل على وجوب الإصلاح:«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات:10). وقال تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» (الكهف:٥٤)، وتقول بنت الشاطئ في كتابها المخصص لخدمة قضايا الإنسان: "لا يمكن أن تمارس حرية الرأي بمعزل عن حرية العقل والرأي، ولا يمكن مناقشة شيء لا يرضى عنه. وليس مما لا يرتاح له، انتهاك جانب أمام جانب آخر، بل جاء بطريقة تجمع بين هذين الأمرين وتعبر عن الخطاب القرآني الفريد. (الشاطىء، 1393)

مؤمن آل فرعون

تقديم و تعريف مومن آل فرعون

كان مؤمن آل فرعون رجلاً من الفراعنة يؤمن بموسى (عليه السلام) لكنه أبقى إيمانه سراً وأحب موسى في قلبه واعتبر نفسه ملزمًا بالدفاع عنه. لقد كان رجلاً يقظًا ودقيقًا ومنطقيًا و قويًا جدًا ، وهرع لمساعدة موسى في اللحظات الحرجة. (مكارم الشيرازي ، 1374 ، ص 87). كان مؤمن فرعون من أقباط فرعون وأقاربهم ، ويعتبره البعض ابن عم فرعون وولي عهده. (الطبري ١٤١٢ : ص ٥٤٧).ذكر المؤرخون والمفسرون

اسمه حبروك، شمعون، حزقيل، حزبيل، حبيب أو سمعان. يقول البعض إن حزبيل هو النجار الذي بنى الفلك لموسى حتى تتمكن والدته من رميها في وسط نهر النيل (المجلسي ، 1403: ص 163). وروى البعض أنه كان أمين خزانة فرعون ، فأعلن أن الفراعنة قرروا قتلك لقتل أحد رعاياهم ، ومغادرة مصر في أسرع وقت. لكن هناك قراءة تدل على أنه بعد قصة موسى مع السحرة ، آمن بموسى جماعة كبيرة ، ويبدو أن قصة مؤمن آل فرعون كانت بعد قصة السحرة. وقد اقترح البعض أنه كان من بني إسرائيل الذين عاشوا بين الفراعنة وكانوا يثقون بهم ، لكن هذا الاحتمال يبدو ضعيفًا جدًا بسبب تفسير "آل فرعون" وكذلك "أو الناس" (أيها الناس) أنا) غير متسق ، ولكن على أي حال دوره المؤثر في تاريخ موسى وبني إسرائيل واضح تمامًا ، على الرغم من أنه ليست كل ملامح حياته واضحة لنا اليوم. وفي بعض الروايات عن نبي الإسلام الكريم قوله: أول المؤيدين و المصدّقين ل(كبار الأنبياء) هم ثلاثة أشخاص: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال لأهل (أنطاكية) أن يتبعوا رسل الله تعالى. اتبعوا الذين لايريدون منكم أجرا ، وهم مهتدون ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلي بن أبي طالب (ع) وهو الأعلى. يمكن رؤية هذا الحديث في كل من المصادر الشيعية والسنية. وبالفعل ، آمن الثلاثة جميعًا بالأنبياء السماويين في أكثر اللحظات حرجًا ، وكانوا روادًا وروادًا ، وهم يستحقون اسم (الصدّيق). هم على رأس أولئك الذين اعترفوا بالأنبياء الإلهيين. (الشيرازي ن.، تفسير نمونه، 1374)

جدال مؤمن آل فرعون

استخدام مؤمن أل فرعون أسلوب الجدل ضد منطق قوة الفراعنة:

«وقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن الِ فِرعَونَ يَكتُمُ ايمَنَهُ اتَقتُلونَ رَجُلًا ان يَقولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَد جاءَكُم بِالبَيِّنتِ مِن رَبِّكُم وان يَكُ كذِبًا فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وان يَكُ صادِقًا يُصِبكُم بَعضُ الَّذى يَعِدُكُم ...؛ (غافر/السورة40 ، آيه٢٨).تفسير «وان يك كاذباً فعليه كذبه» مثير للجدل ، وإلا لكان مؤمن آل فرعون يؤمن بصدق موسى عليه السلام . (الطباطبائي، 1370)

خصائص مؤمن فرعون من منظور القرآن

أشاد القرآن بمؤمن آل فرعون لجهوده لإنقاذ حياة النبي موسى عليه السلام ولمعارضته لفرعون الجائر والظالم. قصة احتجاجه وتوجيهاته ضد الفراعنة مجيدة ولها تأثير خاص في 17 آية من القرآن الكريم. ومن خصائصه في القرآن

1. الصمت و الكلام بموقعه: فقد جاء في القرآن الكريم:" وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ "(الغافر ، 28)

2- الإيمان السري لمؤمن آل فرعون: يقول القرآن الكريم: "كان من آل فرعون الذين آمنوا بموسى (عليه السلام) ولكن ظاهريًا أخفى إيمانه ". و قد كان يمنع فرعون من تنفيذ الأمر بقتل موسى عليه السلام. (نفس المصدر)

3- التنبيه والإحسان: يقول القرآن الكريم في مكان آخر عن لسان مؤمن آل فرعون:" يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ" (نفس المصدر ، 29). يقول القرآن الكريم: قال مؤمن آل فرعون في موقف رافض

لفرعون، لقومه: قال الرجل بإيمان: وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. (نفس المصدر 30)

4- أن يكون مألوفا بتأريخ الاقوام السابقين: يقول القرآن الكريم في هذا الصدد من لسان مؤمن آل فرعون في مقام تهديد قومه:" مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ "(نفس المرجع ، 31).

5- ذو إيمانٍ راسخٍ بيوم القيامة: يقول القرآن الكريم عن لسان مؤمن آل فرعون:(وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) (نفس المصدر ، 32).

6- مؤمن بالانبياء و معجزاتهم: يقول القرآن:(وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ)(نفس المرجع ، 34).

7- المصلح الذي كان نموذجًا للإصلاح: كان مؤمن آل فرعون مصلحًا كاملاً بمعنى الكلمة. لأنه في بيئة شركية متمردة وظالمة، وعلى الرغم من امتلاكه للممتلكات الدنيوية والثروات، فإنه يدير ظهره لجميع ممتلكات العالم ومظاهرها، وبكل كيانه، يدعو إلى الدفاع عن النبي ويصرخ بصوت عالٍ. ويدعو بصرامة قادة الكفر إلى الإيمان. بحجة الدفاع عن شخص بريء يدخل مجال الدعاية ويعبرعن أفكاره التصحيحية من خلال استغلال الفرصة واهتمام الجمهور. افكار تشمل التوحيد والقيامة والتشجيع على الإيمان والعمل الصالح ونحو ذلك (نفس المرجع ، 28-34).

8- الزهد. وعدم الرغبة للدنيا، كما ورد في الفقرة السابقة. وعلى الرغم من تمتعه بالممتلكات والثروات الدنيوية ، فقد أدار ظهره لجميع الانتماءات والمظاهر الدنيوية، وعلى الرغم من كل هذا دعا إلى الدفاع عن الرسول، وصرخ بصوت عالٍ وحاسم، دعا قادة الكفر إلى الإيمان. يقول القرآن الكريم عن لسان مؤمن

آل فرعون: يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. (الطباطبائي م.، الميزان في تفسير القرآن، 1390)

ما هو أهم اساليب التعبير في القران الكريم وهل توجد علاقة بين المنهج الاخلاقي في القرآن وأسلوب التعبير؟

يعبر القرآن بأساليب وطرق بليغة عن كثير من موضوعات الأخلاق لكي تميل القلوب إلى مكارم الأخلاق والفضائل الحميدة، وهناك سمات بارزة تمتاز بها أساليب القرآن للتعبير عن الموضوعات الأخلاقية منها:

-تنوع أساليب الامر بمكارم الاخلاق، والنهي عن سيئها.

- المزاوجة بين التشجيع والترهيب والوعد والوعيد والثواب والعقاب

-إقناع العقل وامتاع العاطفة والعناية بالاخلاق الباطنة والظاهرة.

فالقرآن الكريم هو الأسلوب الإلهي لبناء الأخلاق البشرية، ويلتزم بتعاليمه ويصقل القيم. لذلك فإن القيم الأخلاقية للقرآن من أهم العوامل في تقدم الإنسان وتطوره والتي تضمن السعادة والأمن والأمان. إن للنهج القرآني الأخلاقي من حيث الإعتدال والشمولية والكمال والمنطق سمات فريدة في بناء الأخلاق الإنسانية.ونجد أن الدعوة إلى الأخلاق هي دعوة للإسلام في أعظم النتائج وأفضل ثمار التعاليم. لذلك يمكننا أن نعلن صراحة أن أساليب التعبير القرآني مرتبطة بالمنهج الأخلاقي، لأن وجود هذه الخصائص يكشف عن الخصائص الأخلاقية للإنسان وأسلوب حياته، وسيكون نوعًا من الهداية للإنسان.

الخاتمة

ورد في القرآن الكريم أسلوب حياة خاصة للبشر. ولما كانت الحياة الحقيقية لله تعالى والحياة البشرية وكمالها في اتجاه الله سبحانه، فإن عالم الخلق الذي هو مظهر من مظاهر رحمة الله هو الطريق الذي يصل من خلاله كل مخلوق إلى كمالها وهو موضع القرب وموقع الخليفة الإلهي. إن اهتمام الإنسان بالإيمان المنغلق في القلب والذي يتجلى في الممارسة يساعد على شفاء المجتمع. ومن ثم فإن الأشخاص المختلفين يجعلون هذا النوع من الحياة وجهتهم ويبذلون جهودًا مختلفة تجاهه بناءً على قدراتهم ومواهبهم. سيتحقق أسلوب حياة وتربية الجيل وفقًا لعصر الوحي على أساس نمذجة صفات الصحابة في الحياة الفردية والاجتماعية.

إنّ القرآن شبكة متشابكة من الخطابات المتنوعة لغويًا. هذا التنوع الواسع يجعل لغة القرآن في الأساس لغة خطابية. بالنظر إلى أن لغة الكلام لها قوة عالية من حيث التأثير على المستمع والقارئ. يمكن استنتاج أن لغة الكلام هذه أدت في النهاية إلى زيادة فعالية "كلمة الوحي". بالنظر إلى العملية التي مر بها القرآن الكريم شفهياً وكتابياً ، يمكن القول أن القرآن في شكله الأصلي كان له تأثير أكثر من القرآن المكتوب. يمكن القول أن أهمية وقوة هذا التأثير تظهر بشكل أكبر في الآيات حيث تكون الخطب النبوية شاملة ويتم التعامل مع المرسل إليه بشكل غير مباشر.لا تقتصر المعاني الأخلاقية للقرآن على الآيات القليلة الواضحة في المعاني الأخلاقية ، ولكن الأخلاق هي الإطار الذي تقدم فيه جميع تعاليم القرآن ، بما في ذلك العقائد والقواعد والقصص. هذا الموقف يشكل أساس النهج الأخلاقي. نهج ليس أوسع من الأساليب التفسيرية الأخرى ، ولكنه يهيمن عليها من حيث الطبيعة والمبادئ.

القرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية , والإسلام يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك، والأخلاق في الإسلام قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة , سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية، وغاية الأخلاق

في الإسلام بناء مفهوم التقوى الذي يجعل أداء العمل الطيب واجباً محتماً ويجعل تجنب العمل الضارواجباً محتماً، ويجعل الخوف من الله أقوى، فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير، والإسلام يحمل قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين. قال الامام علي(ع). ان فقت المال لم تفقد شيءً وان فقت الصحة فقت بعض الشيء وان فقت الأخلاق فقت كل شيء.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

1–ابن علي ابن مسكويه. (دون تاريخ). *تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق*. ايران: طليعة النور.

2–احمد ابن فارس. (1404). معجم *مقايس اللغة*. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) قم: مكتب الاعلام الاسلامي.

3– الرحماني حسين. (1394). *دور الاخلاق في القرآن المؤتمر*. شيراز ،مهرمة: المؤتمر الوطني لأبحاث المستقبل في العلوم الانسانية والتنمية.

4– الطباطبائي. (1370). *ترجمة تفسير القرآن*. (محمد باقر الموسوي، المترجمون) طهران: المؤسسة العلميةوالفكرية للعلامة الطباطبائي.

5– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. (1414). *الدرِ المنثور في تفسير المأثور*. بيروت: دار الفكر.

6-جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزي. (1422 ه). *زاد المسير في علم التفسير*. بيروت: دار الكتب العربي.

7-حسين الرحماني. (1394). *دور الاخلاق في القرآن*. شيراز: المؤتمر الوطني لابحاث المستقبل في العلوم الانسانية والتنمية.

8- حسين بن محمد.راغب الاصفهاني، و احمد حسن فرحات. (1404/1984). *مقدمة جامع التفاسير*. ايران: الكويت.

9- سيد احمد الفقهي. (1389). *تصميم نموذج لتصنيف طرق التربية الاخلاقية*. قم: دار المعرفة الاخلاقية،رقم 5.

10- سيد محمد حسين الطباطبائي. (1390). *الميزان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

11-عائشة بنت الشاطىء. (1393). *الاعجاز البياني في القرآن* (المجلد الطبعة الثالثة). (حسين صبري، المترجمون) مصر: شركة النشر العلمي والثقافي.

12- فاضل السامرائي. (2003). *لمسات بيانية في نصوص من التنزيل*. الاردن: دار عمان.

13- مجيد الكافي. (1397). *نمط الحياة في ضوء القرآن*. مجلة البحث العلمي نصف السنوية لأسلوب الحياة، السنة الرابعة.العدد السابع.

14-محمد باقر المجلسي. (1403). *بحار الانوار*. بيروت: دار الوفاء.

15-محمد باقر المجلسي. (1403). *بحار الانوار*. بيروت: مؤسسه الوفاء.

16-محمد بن حسن. (1412). *وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة*. قم: مؤسسه آل البيت لأحياء التراث.

17- محمد بن حسن ابن دريد. (1988). *كتاب جمهرة اللغة*. بيروت- بعلبك: طبع رمزي منير.

18- محمد بن حسن الحر العاملي. (1412). *وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشيعة*. قم: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث.

19- محمد بن كرم ابن منظور. (1414 ه). *لسان العرب*. بيروت: دار الصادر.

20- محمد بن محمد مرتضى الزبيدي. (1414ه/1904 م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. بيروت: طبع على الشيري.

21- محمد حسين الطباطبائي. (1370). *ترجمة تفسير الميزان*. (محمد باقر موس، المترجمون) طهران: المؤسسة العلمية والفكرية للعلامة الطباطبائي.

22- محمد حسين الطباطبائي. (1390). *الميزان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

23- محمد رضا ومعصومة آكاهي .الشاهرودي. (1397). *التفسير الاخلاقي في القرآن الكريم*. ايران: جامعة الزهراء.

24- محمد سيد القطب. (بدون تاريخ). *المنهج التربوي الاسلامي*. بيروت: ترجمة محمد مهدي الجعفري.

25- محمد طاهر بن محمد ابن عاشور. (1984). *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

26- محمد عبد العظيم الزرقاني. (دون تاريخ). *مناهل العرفان في علوم القرآن* (المجلد الطبعة 3). مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

27- محمد فيض الكاشاني. (1387). *ترجمة الحقائق*. طهران: المدرسة العليا للشهيد مطهري.

28- محمد ناصر مكارم الشيرازي. (1387). *الاخلاق في القرآن* (المجلد الطبعة الخامسة). قم: نشر علي ابن ابي طالب.

29- مرتضى المطهري. (1384). *مجموعة الآثار*، (المجلد المجلد 22،الطبعة 2). قم المقدسة: انتصارات صدرا.

30- ناصر مكارم الشيرازي. (1374). *تفسير نمونه* (المجلد الطبعة الاولى). طهران: دار الكتب الاسلامية.

31- ناصر مكارم الشيرازي. (1387). *الاخلاق في القرآن* . قم: مدرسة الامام علي بن ابي طالب.

مراعاة القيم الاجتماعية في أحاديث صحيح البخاري كتاب الزكاة- دراسة تحليلية

م. د. أحمد رشيد علي محمد – ديوان الوقف السني، دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

م. د. إبراهيم علي محمد حسين – ديوان الوقف السني، دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

المقدمة

إنَّ عظمةَ الإنسان تنبعُ دائماً من إنسانيته وشعوره بحاجات الآخرين ومعاناتهم, والوقوف إلى جانبهم, وتوفير مقومات الحياة الكريمة لهم وهكذا كانت الحياة ومسيرة رسول الإنسانية النبي الحبيب محمد (ﷺ) فقد شهد له الأعداء قبل المُحبيّن والمعاندين قبل المؤمنين بالإنسانية الفائقة فكان مثلاً أعلى في الدعوة إلى التكافل الاجتماعي, وتحقيق التضامن الإنساني بين الأغنياء والفقراء, ليعيش الجميع في كرامة وأمان وسلام, وينعم الجميع بالاستقرار بعيداً عن الحقد الطبقي والصراعات بين المترفين والمعدُمين.

إنّ توجيهات الرسـول الحبيب محمد (ﷺ)من خلال الأحاديث الشـريفة والتي تحث على أهم مبادئ (التكافل الاجتماعي) بين أفراد المجتمع المســـلم بل حتى تشـمل أفراد المجتمع الإنســاني كافة هي مبادئ عظيمة تبدأ مِنْ بِرّ الوالدين والرحمة بالأبناء والزوجة وحُســـن رعايتهم وملاطفتهم وكذلك رعاية حقوق الفقراء والمسـاكين ثم مروراً بكفالة اليتيم والسـعي على الأرملة والمحتاج وبذل المعروف بين الناس وانتهاءً بحُسـن الخلق والبعد عن التدابر والتباغض والشحناء بل حتى الرحمة بالبهائم والجمادات.

لقد اهتم رسول الله ﷺ اهتماماً كبيراً بالتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم بشكل خاص والمجتمع الإنساني بشكل عام ونستطيع أن نقول بأنه داعية التضامن الاجتماعي الأول في تاريخ البشرية لأن؛ الشريعة الإسلامية أول شريعة جاءت بنظرية التعاون الاجتماعي، ونظرية التضامن الاجتماعي[i] قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }[ii].

لهذا نسلط الضوء ونبين أهم المحطات وقواعد (التكافل الاجتماعي) في الإسلام انطلاقاً من توجيهات الرسول محمد (ﷺ) والتي أشار إليها ووضعّها وأكد عليها من خلال أحاديثه الشريفة التي تتطرق إليها فيما يأتي من مباحث هذا البحث ومِنْ الله التوفيق.

لهذه الدراسة أهميتها وأهدافها, وسنبينها على شكل نقاط وهي:

1-تحديد مفهوم القيم الاجتماعية في الإسلام .

2-إبراز دور السنة النبوية في القضايا الاجتماعية.

3-استخراج مسائل القيم الاجتماعية من كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري (كتاب الزكاة) وتبويبها ثم الكلام عليها.

4- إظهار مراد الإمام البخاري في ترجمة الأبواب والأدلة التي ساقها.

5-دراسة هذه المسائل وبيان أوجه القيم الاجتماعية فيها في ضوء فهم السلف الصالح للأمة.

1. أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دفعت (الباحثان) إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

1- إنّ الجامع الصحيح للإمام البخاري (رحمه الله) له قصب السبق في تقديمه أصلاً للقيم الاجتماعية بعد القران الكريم.

2- إظهار جهود الإمام البخاري في القيم الاجتماعية من خلال تبويب أبواب كتابه الجامع الصحيح, لا محدّثًا فقيهًا فقط.

3- الباحثان يأملان من خلال هذا البحث؛ التوصل إلى حلول لبعض المشاكل الاجتماعية التي تنخر في المجتمعات الإسلامية.

4- يُساعد هذا البحث, المهتمين بالتربية الإسلامية على غرس القيم الاجتماعية والاخلاقية في نفوس المجتمع وخاصة الناشِئة من خلال تسهيل الوصول إلى قيمنا الاجتماعية الإسلامية التي يزخر بها تراثنا الإسلامي العريق.

5- إبراز القيم الاجتماعية المتضمنة في(كتاب الزكاة) من كتاب الجامع الصحيح ؛ لإفادة منها في تقوية روابط الحياة الاجتماعية بين أفراد المجتمع في الأمة الاسلامية.

منهج البحث

من أجل استيفاء الموضوع حقه من الدراسة , وتحقيق الأهداف المرجوة منه , اقتضت طبيعة هذه الدراسة عدة مناهج , لذا استخدم الباحثان المنهج (التحليلي) لاستخراج القيم الاجتماعية من الأحاديث الشريف الواردة في صحيح جامع الإمام البخاري (ت: 261هـ), (رحمه الله تعالى), وكذلك اعتمد الباحثان المنهج (الاستنباطي) لتوظيف تلك القيم, والذي يُعرف بأنه الطريقة التي يقوم بها الباحثان ببذل أقصى جهد شرعي, وعقلي, ونفسي تطبيقي عند دراسة النصوص بهدف استخدام مبادئ القيم الاجتماعية والتربوية المدعُمة بالأدلة الواضحة قدر الاستطاعة.

وقد سلك الباحثان في عرض المادة العلمية التي بنَيتُ عليها هذه الدراسة وفق الخطوات الأتية:

1-كتابة حديث الباب من صـــحيح الجامع للإمام البخاري مع ذكر عنوان الباب من كتاب الزكاة, وذكرنا الأبواب التالية: باب صـــدقة الســـر , باب التحريض على الصـدقة والشـفاعة فيها, باب أجر المرأة إذا تصـدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة, باب: على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف.

2-تخريج الحديث : قام الباحثان بتخريج الحديث من الكتب الستة, مراعياً في ذلك تقديم الصحيحين, ثم بقية السنن الأربعة, حسب الصحة، مقدماً أبا داود، ثم الترمذي، ثم النسائي، ثم ابن ماجه.

3-الحكم على الحديث: بما أن الحديث في صحيح البخاري, فهو حديث صحيح.

4-جمع الفاظ الحديث: وذلك عن طريق جمع الفاظ الحديث في صحيح الجامع للإمام البخاري فقط , ولذا لا نترجم للرواة ولا لغيرهم في هذا البحث.

5-بيان معاني المفردات: وذلك بالاعتماد على كتب غريب الحديث، وكتب اللغة، وكتب الشروح.

6-الإعراب والبيان والبلاغة: يتطرق الباحثان إلى ذكر بلاغة الحديث إن وجد, أو إذا اختلف النحاة في الإعراب لمتن الحديث نبين ذلك , وإلا لا نذكر هذه الفقرة.

7-مجمل بيان الحديث: وذلك بذكر شرح مختصر للحديث النبي (ﷺ) موضوع البحث.

8-فقه الحديث: بيّن فيه الباحثان أهم ما يستنبط من الحديث من أحكام وآداب وتوجيهات، معتمداً في ذلك على ما يفهم من الحديث، وبما أقره أهل العلم في كتب شروح الحديث وغيرها.

9-ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية: وذلك بتحليل نصوص أحاديث الجامع الصحيح, والتعمق في فهمها وإدراك خفاياها, وإخراج القيم الاجتماعية منها, اعتماداً على شروح كتب الحديث من القدماء والمعاصرين, ومن غيرهم.

هيكلية خطة البحث:

تتكون خطة البحث بعد المقدمة من سبعة مباحث وخاتمة، على النحو الاتي:

المبحث الأول : سيرة الإمام البخاري (رحمه الله تعالى).

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه, ونسبه, وكنيته, وولادته, ووفاته (رحمه الله تعالى).

المطلب الثاني: أهمية كتابه(الجامع الصحيح), وأفضلُ وأهم شروح الكتاب.

المطلب الثالث: مفهوم القيم الاجتماعية.

المبحث االثاني: باب صدقة السر.

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع ألفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

المبحث الثالث: باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها.

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع ألفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

المبحث الرابع: باب أجر المرأة إذا تصدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة.

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع ألفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

المبحث الخامس: باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف.

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع ألفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

وأخيراً نسأل الله تعالى أنْ يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم فما كان صائبا فبفضل الله وتوفيقه وما كان غير ذلك فمن الشيطان ومن انفسنا, والله أحمد أنْ هدانا لطلب العلم الشرعي, ونسأله أنْ يفقهنا فيه، وآخر دعوانا أنِ الحمدَّ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: سيرة الإمام البخاري (رحمه الله).

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه, ونسبه, وكنيته.

اسمه: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بَرْدِزْبَه.

وبَرْدِزْبَه هو جده الأكبر وكان رجلاً مجوسيًا أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى, ويمان هذا هو أبو جد عبد الله بن محمد المُسنَدي وسُميَّ بالمُسندي؛ لأنه كان يطلب المسند من حداثته, وعبد الله بن محمد هو ابن جعفر بن يمان البخاري الجعفي, وبَرْدِزْبَه بالفارسية الزراع كذا يقول: أهل

بخارى[iii].

ونسبهُ: الجعفي, نُسبةً إلى يمان الجعفي الذي أسلم على يديه المغيرة جَدّ البخاري، وكان قبلُ مجوسيًّا، فنُسِب إليه نسبة ولاء إسلام.

وأما البخاري: نُسبةً إلى مدينة بُخارى الواقعة في بلاد ما وراء النَّهر، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام [iv].

وكنيتهُ: هو أبو عبدالله بن أبي الحسن، محمد بن إسماعيل , ولم يختلف العلماء في كنيته[v].

وولادته:

ولد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في مدينة بُخارى, في يوم الجمعة بعد صلاتها، لثلاث عشرة ليلةً خلت من شهر شوَّال، سنة أربع وتسعين ومائة، وقد ذكر البخاري أنَّه وجد تاريخ مولده بخطِّ أبيه رحمه الله تعالى[vi].

ووفاته: (رحمه الله تعالى).

وتوفى البخاري رحمه الله تعالى, ليلة السبت, وهي ليلةُ عيد الفطر آنذاك, عند صلاة العشاء ليلة الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر بخُرْتَنْك[vii], سنة ست وخمسين ومئتين عاش اثنتين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوما, جزاه الله عن المسلمين خيرا, وأجزل مثوبته [viii].

المطلب الثاني: أهمية كتابه(الجامع الصحيح), وأفضلُ وأهم شروح

الكتاب.

كتاب, الجامع الصحيح المسند المختصر من أُمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه, مكانة عظيمة, ويرجع هذا إلى المزايا التي تفرد بها الكتاب عن بقية الكتب الأخرى, وذلك على النحو التالي:

1-أجمع المحققون على أن أصح كتاب بعد القرآن: صحيح البخاري! لذا كان واجباً شرعاً على الطالب أن يقرأه قراءة تدبر واستنباط ! ولا يكون هذا التدبر إلا بشرح واف عند شيخ متمكن، أو من خِلال بعض الشروح المعتمدة [ix].

2-جمع الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الجامع الصـــحيح ما تفرق من أحاديث الرسول (ﷺ), الصحيحة في الأمصار المختلفة فلملم شـــتاتها وحقق وحدتها, وأورد أيضـــاً بعض أقوال الصـــحابة والتابعين (رضي الله عنهم).

3-الإمام البخاري رحمه الله محدث فقيه، مطلع على مذاهب الفقهاء، عارف بمآخذهم وحججهم، وكتبهُ تدُل على ذلك، وقد قال نُعيم بن حماد:((البخاري فقيه هذه الأمة)), ولما كان البخاري صاحب حرفة وطبع فقهي فإنه قد صبغ صحيحه بصبغة فقهية، واشتهر عند العامة والخاصة أن فقه البخاري في تراجمه، بل قد أُلفت في فقه تراجم أبوابه كتب على

حيالها، منها: كتاب ابن المنير (المتواري على أبواب البخاري) , وكتاب الشاه ولي الدهلوي (تراجم أبواب البخاري)، و (شرح تراجم أبواب البخاري) للكاندهلوي[x].

4-فتح للمحدثين باب التدقيق في الرواية والاقتصـــار على الأحاديث الصحيحة.

5-سار على منهج علمي سليم فاشترط في الأحاديث التي ينقلها شرط المعاصرة وشرط اللقاء.

6-ومما تميز به البخاري ومسلم عن غيرهما، اشتراطهما ألا يُخرجا في كتابيهما من الحديث إلا ما كان في أعلى درجات الصحة، ومما عُرِفَ رواته بالمبالغة في الحفظ والإتقان، أما غيرهُما فلم يشترط ذلك، فمنهم من اشترط الصحيح دون أن يشترط ما كان في أعلى درجات الصحة كابن خزيمة وابن حبان، ومنهم من جمع الصحيح والحسن من الأحاديث كأصحاب السنن.

7-اكتسب الكتاب شهرة واسعة في حياة الإمام البخاري فروي أنه سمعه منه أكثر من سبعين ألفاً، وامتدت شهرته إلى الزمن المعاصر ولاقى قبولاً واهتماماً فائقين من العلماء فألفت حوله الكتب الكثيرة من شـــروح ومختصـــرات وتعليقات ومســـتدركات ومســـتخرجات وغيرها مما يتعلّق

بعلوم الحديث، حتى نَقلَ بعض المؤرخين أن عدد شــروحه وحدها بلغ أكثر من اثنين وثمانين شرحاً[xi].

8-أخذ الإمام البخاري الحديث النبوي عن كبار المحدثين، ورحلاته الواسعة في طلبه.

9-جهوده المباركة في خدمة الحديث النبوي وعلومه من خلال التصنيف.

أفضلُ وأهم شروح الكتاب.

اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بشرح هذا الكتاب القيم المبارك, ولقد واكبت هذِه العناية والاهتمام من طرف العلماء والباحثين الجامع الصحيح منذ تأليفه، فقد ظهر أول شرح له في منتصف القرن الرابع الهجري وهو المسمى ((أعلام السنن)) للإمام الخطابي المتوفى (388 هـ)، ثم توالت فيما بعد الشروح والحواشي والتعليقات متلاحقة متصلة ودون انقطاع، طوال القرون العشرة التي تلت تأليفه إلي اليوم، حيث لم يتوقف اهتمام العلماء بصحيح البخاري, وقد ظهرت عناية العلماء والدارسين بالجامع الصحيح في هذا العدد الضخم من الكتب المؤلفة حوله شرحًا وتعليقًا وحاشيةً وغيرها، حتى وصلت إلى اثنين وثمانين شرحا [xii].

ثم بعد هذه المقدمات، كان علينا أن نتكلم عن معرفة أفضل شروح صحيح البخاري!

فأقول وما توفيقي إلا بالله:

إن الأفضلية بين شروح صحيح البخاري, تختلف باعتبارات علمية ليس هذا محل ذكرها، لكنها تندرج تحت ثلاثة أقسام باختصار: شرح مختصر، ومتوسط، ومبسوط.

الأول: الشروح المختصرة، وهذا النوع من الشروح لا يمكن ضبطه؛ لكثرته واختلاف مسالك أصحابه، إلا أن أفضل هذه الشروح وأهمها, التوشيح شرح الجامع الصحيح للحافظ السيوطي، لكونه محرراً ومعتصراً؛ حيث أنتقاه السيوطي من شروح كثيرة من أهمها فتح الباري, لابن حجر ، فشرحه هذا يعتبر أفضل المختصرات؛ لكونه أسهل عبارة وأوضح إشارة مع خلاصات علمية ما بين تحريرات حديثية وتقريرات فقهية تفيد المبتدئ والمنتهي على حد سواء.

الثاني: الشروح المتوسطة، وهذا النوع أيضا لا يمكن حصره، بل أخاله من أكثر الكتب التي خدمت صحيح البخاري, شرحاً وتوضيحاً وبياناً وتفسيراً، بل لا أبالغ إذا قلت: إن غالب شروح صحيح البخاري اليوم تدور في فلك هذا النوع من الشروح، أما أفضل شروح هذا النوع فهو: إرشاد الساري لشرح

صحيح البخاري, للشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، وهذا الكتاب من أفضل الشروح وأهمها وأفضلها، بل لا أتحرج إذا قلت: إن هذا الشرح يغني عن غيره ولا يُغني عنه غيره, كما أنه خلاصة الشروح، ونقاوة الروايات، حيث تميز عن غيره بأمور كثيرة منها:

1- أنه اعتمد على أصح فروع النسخة اليونيني , وتعتبر النسخة اليونينية من أعلى وأفضل وأجود نسخ صحيح البخاري، فمن حصَّلها فقد حصَّل غالب روايات صحيح البخاري، لكونها اعتمدت على أربع روايات معتمدة، فهي في حقيقتها ناسخة لكل نسخ البخاري، لكونها أجودها تخريجاً وأضبطها تحريراً وأوثقها روايةً وغير ذلك مما يعرفه عامة أهل العلم.

2- أنه اعتمد في شرحه على أكثر شروح البخاري، وعلى رأسها: فتح الباري, لابن حجر مع اختصار مفيد وتحرير علمي لا تجده عند غيره، بل أخذ من الشروح خلاصتَها ولُبابَها وعيونَها.

3-أن غالب شرحه يدور حول متون الأحاديث دون توسع في الأسانيد.

4- أنه اقتصر على مهمات المسائل وعيون الفوائد ودرر الفرائد، وهذا وغيره مما امتاز به شرحه عن غيره.

الثالث: الشروح المبسوطة، وهذا النوع للأسف قليل جداً! أما قول الشوكاني عن فتح الباري ((لا هجرة بعد الفتح)) [xiii]، فليس على إطلاقه! بل هي كلمة ذهبت مشرقةً حتى حجّرت واسعا وأقفلت الطريق أمام كثير من طلاب العلم، بحيث ركنوا إلى هذه المقولة، وتركوا أكثر شروح صحيح البخاري! هذا إذا علمنا: أن فتح الباري, هو للشروح المتوسطة أقرب منه للشروح المبسوطة !مع كونه لم يَسلم من بعض الاستدراكات العلمية، منها باختصار: أنه مُغرم بالخلافات والاعتراضات التي ربما أفسدت كثيرا من شرح متون الأحاديث، حيث اشتغل ابن حجر (رحمه الله) غالبا بالاعتراضات والردود على المخالفين أكثر منه شرحا وتوضيحا للمتون الحديثية! لذا أضحى شرحهُ أحدَ الشروح التي غلبت عليها الفوائد الحديثية واللطائف الأسنادية أكثر من غيرها، أن القارئ للفتح يجد نفسه سائرا وراء خلافات حديثية ومنازعات فقهية بعيداً عن فهمه لصحيح البخاري, فهماً محرراً مختصراً، بل ربما انتهى من قراءة الفتح وهو لم يفهم منه إلا خلافات واعتراضات أكثر منها فهما لمتون الأحاديث .

أما من الشروح المبسوطة الجيدة فهو : التوضيح شرح الجامع الصحيح, لابن الملقن الشافعي، فهو بحق آيةٌ في الشرح وأعجوبةٌ في الطرح، فمن وقف عليه علم حقيقة الأمر.

وأخيرا, فمن قرأ هذه الشـــروح الثلاثة: فقد أحاط بصـــحيح البخاري, فهماً, وتدبراً , جملةً وتفصيلاً, إلا ما ندر من المسائل المتعلقة باللطائف الإسنادية، وهذا باب واسع لا يجمعه كتاب، ولا يُغلقُ دونه باب[xiv].

المطلب الثالث: مفهوم القيم الاجتماعية

تنبع أهمية القيم لأفراد المجتمع من كونها تحكم حياة الناس, وتوجههم لما فيه صـــلاح حياتهم؛ فهي التي تحدد خيرية الفعل الذي يقوم به الإنســـان من عدم خيريته, وعليه فإن الإنســان الســوي يحرص على تكرار العمل الخير وتجنب العمل الســـيء, ومن هنا نجد أن هذه القيم تســـتحق الدراســـة؛ نظراً لأهميتها الشـــديدة للمجتمع خاصـــة المجتمع المســـلم الذي يســـتمد قيمه من الوحي, والذي يعدّ المصدر الأساس للحكم على القيم التي يتمسك بها أفرادُهُ, وينطلقون في أعمالهم بناءً عليها وحباً ورغبة في خدمة أنفســـهم ومجتمعهم الذي يعيشـــون فيه, ويتلقون هذه القيم من خلال تعاملهم مع أفراده صـــغاراً وكباراً, والقيم هي الإطار المرجعي الذي يحكم علاقات أفراد المجتمع ببعضهم مع البعض, رغم أن القيم أحكام معيارية توجه ســـلوك أفراد المجتمع, إلا أن هناك اختلافاً في مفهوم القيم, فلا يوجد تعريف للقيم متفق عليه, شـــأنه في ذلـك شـــأن العلوم الإنســـانيـة التي يكثر فيهـا الاختلاف على تعريف المصـــطلحات, ولهذا من الصـــعب أن نجد تعريفاً واحداً للقيم يجمع عليه

الباحثون, فقد اختلفت وجهات النظر في تحديد مفهوم القيم من الناحية الاصـــطلاحية, والســـبب في ذلك أن كل باحث ينظر إلى تعريفه من خلال تخصصه وثقافته, فاختلفت المفاهيم باختلاف التخصصات[xv].

المبحث الثاني: باب صدقة السر.

قال الإمام البخاري(رحمه الله) في صحيحه الجامع: **((وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: وَرَجُلٌ تَصَـدَّقَ بِصَـدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِـــمَالُهُ مَا صَـــنَعَتْ يَمِينُهُ))** [xvi] **وَقَوْلِهِ: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}** [xvii]

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع ألفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

تخريج الحديث : أخرجه مسلم[xviii], والترمذي [xix], والنسائي [xx].

جمع الفاظ الحديث: الحديث ورد بلفظ آخر في صحيح الإمام البخاري:

((وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي

أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[xxi].

بيان معاني المفردات:

1- تبدوا الصدقات: تظهروا إعطاءها للمستحقين [xxii].

2- فنعما هي: فنعمت الصفة والخصلة هي أو فنعم شيئا إبداؤها [xxiii].

3- تخفوها: نقيض الإظهار، والخفاء: الغطاء، والخفية: عرين الأسد، لأنه يختفي فيها [xxiv].

مجمل بيان الحديث:

إن إظهار الصدقة أفضل من إخفائها، وقد ذكر أكثر العلماء أن هذا محمول على: إيتاء الزكاة، أي: التصدق بالصدقة الواجبة، فإبداؤها وإظهارها وأداؤها علنا؛ أفضل من أدائها سرا؛ لأنه إقامة فرض من فروض الدين، ولئلا يُتهم المُزكي بمنع الزكاة، وربما يطالب بها بعد إخراجها سرا، كما أن في إعلانه وإظهاره للزكاة ظهور برآءة الذمة، ومجانبة الوقوع في الشبهة.

وإخفاء الصدقة خير من إعلانها، وهو محمول على صدقة التطوع، وذلك أن فعل الخير في الخفاء من علامات الإخلاص في العمل، ويكون أقرب للقبول عند الله، والإسرار بالعمل الصالح أفضل من العلانية، من حيث كونه عبادة فيما بين العبد وربه، لكن الجهر أفضل من فيما يتعلق بشعائر الدين،

من حيث أنه يطلب الجهر بالأذان مثلا، وبإقامة الجماعة، وتأدية الفرض. [xxv].

فقه الحديث:

1- صَّدقة السر مِن أسباب السعادة في الدنيا والاخرة.

2-إطلاق لفظ الصَّدقة يشمل الفرض من الزكاة، والمستحب من مطلق الصدقات.

3-صَّدقة السر سببٌ من أسباب حبِّ الله لك.

4- صَّدقة السر من أسباب دخول الجنَّة, والنَّجاة من حرِّ يوم القيامة.

5-إنّ في الصدقة دواء للأمراض البدنية والقلبية.

5- -صَّدقة السر تجلب البركة والزِّيادة, ويطفئ غضب رب العالمين. [xxvi].

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

1- الصدقة على القريب, واليتيم, والفقير, والمسكين, والجار, وعامة الناس, يورث المحبة والألفة والترابط بين أبناء المجتمع.

2- لعظيم أجر الصدقة ومكانتها في الإسلام، ودورها في التكافل الاجتماعي والتعاون بين الناس فقد أكد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في عدّة أحاديث نبوية شريفة ومنها هذا الحديث.

3- من أهم فوائد إخفاء الصدقة! رفع نفسية الفقير، وإلزام المتصدق جانب التواضع وعدم السعي نحو السمعة والرياء, وهذا من القيم الاجتماعية التي حث الإسلام عليها.

المبحث الثالث: باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها.

قال الإمام البخاري(رحمه الله) في صحيحه الجامع: ((**حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا عَدِيٌّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عِيدٍ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ، ثُمَّ مَالَ عَلَى النِّسَاءِ، وَمَعَهُ بِلاَلٌ فَوَعَظَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقْنَ، فَجَعَلَتِ المَرْأَةُ تُلْقِي القُلْبَ وَالخُرْصَ**)) [xxvii].

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع ألفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, وسبب ورود الحديث, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

تخريج الحديث : أخرجه والنسائي [xxviii].

جمع الفاظ الحديث: الحديث ورد بلفظ آخر في صحيح الإمام البخاري:

((**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَصَلَّى قَبْلَ الخُطْبَةِ، فَرَأَى أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ، فَأَتَاهُنَّ وَمَعَهُ بِلاَلٌ نَاشِرَ ثَوْبِهِ، فَوَعَظَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقْنَ، فَجَعَلَتِ المَرْأَةُ تُلْقِي وَأَشَارَ أَيُّوبُ إِلَى أُذُنِهِ وَإِلَى حَلْقِهِ**))[xxix].

بيان معاني المفردات:

1- القلب : السوار[xxx].

2-الخرص: الحلقة في الأذن [xxxi].

مجمل بيان الحديث:

قول البخاري (رحمه الله) : باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها, قال: الزين بن المنير يجتمع التحريض والشفاعة في أن كلا منهما إيصال الراحة للمحتاج ، ويفترقان في أن التحريض معناه الترغيب بذكر ما في الصدقة من الأجر ، والشفاعة فيها معنى السؤال والتقاضي للإجابة, ويفترقان بأن الشفاعة لا تكون إلا في خير, بخلاف التحريض ، وبأنها قد تكون بغير تحريض [xxxii].

فقه الحديث:

1-مشروعية أمر الإمام الناس بالصدقة.

2-جواز عظة الإمام النساء على حدة.

3- مشروعية الإغلاظ في النصح من قِبل الإمام بما يكون سببا لإزالة الصفة التي تعاب، وأن لا يواجه بذلك الشخص المعين؛ لأن في التعميم تسهيلا على السامع.

4-بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الخلق العظيم والصفح الجميل، والرفق والرأفة.

5-بيان أهمية ونفع الصدقة على الأقرباء وأنها أولى من النفقة على غيرهم[xxxiii].

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

1-حرص الشريعة الإسلامية على تضامن المسلمين وتكافلهم وتعاونهم؛ حتى يشتد بناء الأمة الإسلامية.

2-على الأمراء والعلماء والدعاة الاقتداء بحُسن خلق النبي (صلى الله عليه وسلم) وخاصة في باب الزكاة، وهذه من القيم الاجتماعية .

3-إعانة المحتاج من الأمور التي ينبغي أن يربى عليها المجتمع، وهي غير منحصرة، فقد يحتاج الفقير أو المسكين إلى الإرشادات أو إلى النصح أو الشفاعة له وهكذا.

4-فيه وعظ الإمام، وأصحاب الولايات وكبراء الناس رعاياهم، وتحريضهم على الطاعات وجمع الصدقات عن طريق وسائل الإعلام المختلفة وتوزيعها للمحتاجين.

5-الصدقات تفرح القلب, وتحبب العبد إلى الله، وإلى خلقه، وتستر عليه كل عيب، وتستجلب أدعية الناس، ومحبتهم, وهذه من القيم السامية في الإسلام.

المبحث الرابع: باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد.

قال الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه الجامع: **((حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَصَدَّقَتِ المَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا، وَلِزَوْجِهَا بِمَا كَسَبَ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ))**[xxxiv].

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع الفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم[xxxv], وأبو داود [xxxvi], والترمذي [xxxvii], والنسائي [xxxviii], وابن ماجه [xxxix].

جمع الفاظ الحديث: الحديث ورد بلفظ آخر في صحيح الإمام البخاري:

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَطْعَمَتِ المَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا وَلَهُ مِثْلُهُ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ، لَهُ بِمَا اكْتَسَبَ وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ)) [xl].

بيان معاني المفردات:

1- للخازن: هو الحافظ للطعام المتصدق منه [xli].

مجمل بيان الحديث:

يعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الصدقة ويدعو إليها، ويبين أجر المرأة إذا أنفقت من مال زوجها بإذنه، صراحة أو ضمنا؛ بأن تكون قد علمت رضاه عن إنفاقها، فيبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا أنفقت المرأة وأعطت من طعام بيتها غير مفسدة، ولا قاصدة إتلاف مال زوجها، وإلحاق الضرر به، وأعطت الفقراء والمساكين من ذلك الطعام؛ كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب وسعى من أجل تحصيل الرزق، وللخازن وهو من عهد إليه بحفظ الطعام أجر آخر على الإنفاق من طعام سيده، وكل واحد منهم له أجره، لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا؛ فالزوج مع زوجته لهما الأجر، والسيد مع خازنه لهما الأجر؛ فإما أنهم جميعا متساوون في الأجر، أو أن لكل واحد منهم أجره[xlii].

فقه الحديث:

1-بيان جواز صدقة المرأة من بيت زوجها، وهذا محمول على ما إذا أذن لها الزوج، إما صريحا، أو دلالة.

2- إنه لا يجوز للمرأة إذا أُذن لها بالأخذ من مال زوجها للنفقة أن تأخذ ما خرج عن العادة والعرف.

3-ترغيب المرأة في التصدق من طعام بيتها؛ إذا لم يمانع الزوج أو بما جرى به العرف.

4-المشارك في فعل الطاعة مشارك في الأجر

5-ترغيب الخادم في التصدق من مال سيده إذا أذن له، أو بما جرى به العرف [xliii].

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

1-من القيم الاجتماعية, حث الرجل على أن يسمح لأهل بيته بالتصدق على الفقراء والمساكين؛ لأن له بذلك الأجر والثواب.

2-اعتماد العرف الاجتماعي في الأمور التي ليس فيها تحديد شـــرعي، فقد جعل لها من النفقة الكفاية، وهذا راجع إلى ما كان متعارفا في نفقة مثلها وأولادها.

3-في الحديث فضل الأمانة ، وسخاوة النفس، وطيب النفس في فعل الخير، والإعانة على فعل الخير, هذه كلها من القيم السامية في الإسلام.

المبحث الخامس: باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف.

قال الإمام البخاري (رحمه الله) في صـــحيحه الجامع: ((**حدثنا مســـلم بن إبراهيم، حدثنا شـــعبة، حدثنا ســـعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفســـه ويتصـــدق قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة**))[xliv].

المطلب الأول: تخريج الحديث, وجمع الفاظ الحديث, وبيان معاني المفردات, ومجمل بيان الحديث, وفقه الحديث.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم[xlv], وأبو داود [xlvi], والترمذي [xlvii].

جمع الفاظ الحديث: الحديث ورد بلفظ آخر في صحيح الإمام البخاري:

((حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِـــيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ قَالَ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)) [xlviii].

بيان معاني المفردات:

1-الملهوف: هو المكروب, المظلوم والعاجز المضطر الذي يستغيث بك[xlix].

2- معروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه وكل ما ندب إليه الشرع من وجوه الإحسان وترك ما نهى عنه من القبائح [l].

مجمل بيان الحديث:

أصل الصدقة: ما يُخرجه المرء من ماله متطوعاً به، ولأنَّ الشريعة الإسلامية جاءت باليسر والرحمة بالناس أجمعين، لم يجعل الله الصدقة حكراً على أهل الغنى ومن عنده فضل مال، بل وسع باب الخير والبِرِّ أمام عباده؛ ليشمل كلَّ معروف يبذله المسلم، وفي هذا الحديث يوضح (صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى ويُؤكّدُه؛ حيث يخبرنا أنَّ فعل المعروف صدقة عند الله، يُثيب المؤمن عليه، ويجازيه به وإن قَّل؛ فكل معروفٍ يَصنعه الإنسان من أعمال الخير والبِرِّ له حكم الصدقة في الثواب؛ فإغاثة الملهوف صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة, والكلمة الطيبة صدقة، وقراءة القرآن صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة, ونوافل العبادات البدنية كلّها صدقة [li].

فقه الحديث:

1- الحث على فعل الخير مهما أمكن، وأنه لا ينبغي للمسلم أن يحتقر شيئاً من المعروف.

2-الحديث يدل على أن الصدقة لا تنحصر فيما أخرجه الإنسان من ماله، بل كل شيء يفعله الإنسان أو يقوله من الخير يُكتب له به صدقة.

3- إن الصدقة كما تطلق على إنفاق المال تطلق على جميع أفعال الخير, وكل شيء يفعله المرء أو يقولهُ من الخير يكتب له صدقة.

4-الحث على فعل الخير مهما أمكن.

5-إن من قصد فعل خصلة من خصال الخير فتعسر عليه ذلك فلينتقل إلى فعل غيرها.

6-إن أعمال الخير تنزل منزلة الصدقات في الأجر ولاسيما في حق من لا يقدر عليها.

7-إن الصدقة في حق القادر عليها أفضل من الأعمال القاصرة.

8- في الحديث تسلية للعاجز عن فعل المندوبات إذا كان عجزه عن ذلك عن غير اختيار.

9- فضل التكسب وعمل الإنسان بيده لما فيه من الإغناء عن ذل السؤال، وإفادة الغير.

10- إن خصال الخير تتفاضل وبعضها أولى من بعض.

11- الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

12- حرص الصحابة رضوان الله عليهم على معرفة الحق ومعرفة درجات الخير.

13- إن إمساك المسلم عن الشر صدقة منه على نفسه أو على غيره مع نفسه, وإنه لا أقل من الإمساك عن الشر إن لم يحصل من المسلم فعل الخير مع ذلك[iii].

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث من جانب القيم الاجتماعية.

1- على المسلم أن يجتهد في فعل كل معروف يستطيعه ولا يشق عليه، فبفعل المعروف يطيب عيشه، وتطمئن نفسه، وتتوثق صلته بمن حوله من الناس، وهذا من القيم الاجتماعية السامية.

2- فعل المعروف يؤدّي إلى الألفة وشيوع روح المحبّة في المجتمع.

3-الصدقة باب من أبواب التّكافل الاجتماعيّ.

4-فيه الترغيب في بذل المعروف وكل ما فيه نفع للآخرين.

5-إن الإحسان إلى الغير والشفقة على الخلق متأكد وهو إما بحال حاصل أو ممكن التحصيل أو بغير مال وذلك إما فعل وهو الإعانة، أو قول وهو الأمر بالمعروف، أوترك وهو الإمساك عن الشر مع قصد القربة.

6-الحث على إعانة المحتاج ولاسيما الملهوف.

7- يُسر الشريعة واستيعابها للناس كافة؛ ففعل المعروف وتحصيل الثواب لا يختص بأهل اليسار بل كل مسلم قادر على أن يفعل أنواعًا من المعروف؛ من ذكر وتسبيح

ودعاء، ونصيحة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد ضال، ومواساة محزون إلى غير ذلك من صنوف المعروف.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيرا.

توصل الباحثان من خلال مجريات هذا البحث إلى عدد من النتائج التي من أهمها:

1- تضافرت الأحاديث النبوية الشريفة على بيان أهمية حقوق الاجتماعية لأفراد المجتمع مهما تعددت وتنوعت أجناسهم وأعرافهم, كما إنها ترسخ لهذا الحقوق من خلال قيم اجتماعية تكفل لأفراد المجتمع حقوقهم وتؤمن العيش في مجتمعات, وتحقق له العدالة والمساواة, والعطاء, والكرامة الإنسانية.

2-حرص الرسول(ﷺ) على التقوية الروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي, فيظهر من خلال الأحاديث النبوية الكريمة في (كتاب الزكاة) للإعلاء من قيمة الأخوة الإسلامية والاهتمام باستقراء الأسرة المسلمة والأمر بأداء الحقوق الواجبة تجاههم مما يساهم في زيادة ترابط أفراد المجتمع الإسلامي.

3- للأحاديث أثر كبير في نشـــر القيم الاجتماعية الإســـلامية بين أفراد المجتمع, فلابد أن تقوم وســـائل الإعلام المختلفة بالدور المطلوب منها, لتعزيز قيم العطـاء والوحـدة والإخـاء والمودة بين أفراد المجتمع, كمـا أن بإمكانها أن تســـاهم في تحصـــين مجتمعاتنا من الأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة.

4-أهمية الرجوع إلى أحاديث الرسول (ﷺ) الصـحيحة, لمحاولة استنباط القيم الاجتماعية التي تكفل لمجتمعاتنا الإسـلامية الاسـتقرار والنمو والازدهار, فهو صـلوات الله وسـلامه عليه القدوة التي يجب أن نتأسـى بها ونمشـي على خُطاها لنفلح في الدنيا والآخرة.

5-للقيم لاجتماعية الإسـلامية وظائف متعددة من أهمها: أنها تحفظ للمجتمع تماســـكه الخُلقي والاجتماعي, كما أنها تقي المجتمعات من المشـــكلات والانحرافات الاجتماعية.

وأخيراً فإن الفضل لله وحده الذي أعاننا على إتمام هذا البحث, فإن يكن صواباً فهو بتوفيق الله عز وجل, وإن يكن فيه نقص فهي سنة الله في البشر, والكمال لله وحده, ونسأله جل في علاه أن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم, وأن ينفع به المسلمين, وأن يكون عوناً على تحقيق الرحمة والعطاء والألفة والمودة في مجتمعاتهم, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملخص البحث

اهتم الإسلام بكل ما يُصلح حياة الفرد في دينه ودنياه, وحرص على أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متآزراً تسوده روح التكاتف والعدل والمساواة والإخاء, فنجد أن الإسلام أكد على أن يرسخ في المسلمين أهمية ترابط أفراد المجتمع الإسلامي, وأن المسلم جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع, فينبغي أن يحرص كل مسلم على ما فيه مصلحة أخيه وكأنها مصلحته الخاصة, ولذا فإن الإسلام حرص كل الحرص على وجود قيم اجتماعية كفيلة بحفظ حقوق جميع أفراد المجتمع, وهذه القيم الاجتماعية التي تزخر بها أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) في الجامع الصحيح للإمام البخاري من كتاب (الزكاة) إذ تحافظ هذه القيم على كرامة الإنسان وتُهذب سلوكه, كما نُلفت النظر إلى الدور التي تلعبه القيم الاجتماعية الإسلامية في الارتقاء بالإنسان كأحد أهم مكونات الحضارة الإنسانية, وإذا حدث خروج عنها اختل توازن الفرد وتأثر مادياً واجتماعياً.

الهوامش/ المصادر والمراجع

i) ينظر: **الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**, عبد القادر عودة, الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية IIFS, ط: الخامسة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م, /53 .

ii) **[سورة المائدة، الآية:2]**

1) ينظر: **تاريخ بغداد**, أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي, تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي – بيروت, ط: الأولى، 1422هـ - 2002 م, 322/2, برقم: (374), **وتهذيب الكمال**, يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي, تحقيق : د. بشار عواد معروف, مؤسسة الرسالة – بيروت, ط الأولى ، 1400 – 1980, 438/24, برقم: (5059), **وسير أعلام النبلاء**, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي, تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, 391/12, برقم: (171).

2) ينظر: **معجم البلدان**, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي, دار صادر، بيروت, ط: الثانية، 1995 م, 355/1.

3) ينظر: **الكنى والأسماء**, أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي, تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي, دار ابن حزم - بيروت/ لبنان, ط: الأولى، 1421 هـ - 2000م,137/1, **والأسامي والكنى**, أبو أحمد الحاكم, تحقيق: يوسق بن محمد الدخيل, دار الغرباء الأثرية بالمدينة, ط: الأولى، 1994 م, 269/5.

4) ينظر: **تاريخ دمشق**, أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر, تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, 1415هـ - 1995م, 52/ 53, **وسير أعلام النبلاء , للذهبي**, 383/23, برقم: (171).

5) قرية من قرى سمرقند, ينظر: **تقييد المهمل وتمييز المشكل**, أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجياني, تحقيق: علي بن محمد العمران، ومحمد عزيز شمس, دار عالم الفوائد, ط: الأولى 1421 هـ - 2000 م, 50/1.

6) ينظر: **الأنساب**, عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد, تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره, مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد, ط: الأولى، 1382 هـ - 1962 م ، 291/3, ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان, تحقيق احسان عباس, دار الثقافة, 4/ 190.

7) ينظر: **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**, محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني, دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان, ط أولى: 1356هـ - 1937م, ط ثانية: 1401هـ - 1981م, 1/ 11.

8) ينظر: **المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح**, المهلب بن أبي صفرة التميمي المالكي الأندلسي, تحقيق: أحمد بن فارس السلوم, دار التوحيد، دار أهل السنة – الرياض, ط: الأولى، 1430هـ - 2009 م, 1/ 93, و**تهذيب التهذيب**, لابن حجر, 9/ 51.

9) ينظر: **علوم الحديث ومصطلحه, – عرضٌ ودراسة**, د. صبحي إبراهيم الصالح, دار العلم للملايين، بيروت – لبنان, ط: الخامسة عشر، 1984 م , 397/1.

10) ينظر: **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**, ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري, تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث, دار النوادر، دمشق – سوريا, ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م, 1/ 101.

11) ينظر: **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني, حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق, مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن محمد بن علي الشوكاني اليمني, 1517/3.

12) ينظر: **أهم شروح صحيح البخاري**, ملتقى أهل التفسير, الملتقى العلمي المفتوح, الدكتور ذياب بن سعد الغامدي, نُقل من موقعه, بتصرف.

xv) ينظر: **القيم الاجتماعية المستنبطة من باب تعظيم حرمات المسلمين من كتاب رياض الصالحين وتطبيقاتها التربوية** مشروع بحثي مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة العالمية (الماجستير)في التربية , إعداد الطالب أحمد بن سويعد بن عبد الوهاب القرني, , للعام 1436 -1437هـ, غير منشور, الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة , 1/ 33.

xvi) **أخرجه البخاري في صحيحه**, في كتاب الزكاة, باب باب صدقة السر, 110/2.

xvii) **[سورة البقرة، الآية: 271]**

xviii) ينظر: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي - بيروت, كتاب الزكاة, باب فضل إخفاء الصدقة, 715/2, برقم: (1031).

xix) ينظر: **الجامع الكبير– سنن الترمذي**, محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى, تحقيق: بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي – بيروت, سنة النشر: 1998 م, أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب ما جاء في الحب في الله, 176/4, برقم: (2391).

xx) ينظر: **سنن النسائي**, كتاب آداب القضاة, الإمام العادل, 222/8, برقم: (5380).

xxi) **أخرجه البخاري في صحيحه**, في كتاب الزكاة, باب الصدقة باليمين, 111/2, برقم: (1423).

xxii) ينظر: **معاني القرآن وإعرابه**, إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج, تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب – بيروت, ط: الأولى 1408 هـ - 1988 م, 353/1.

xxiii) ينظر: **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**, شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي, تحقيق: إياد محمد الغوج. الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم, ط: الأولى، 1434 هـ - 2013 م, 535/3.

xxiv) ينظر: **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه, عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية., ط: الأولى، 1430 هـ, 440/4.

xxv) ينظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**, أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, دار المعرفة - بيروت، 1379, رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي, قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب, عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن, 146/2.

xxvi) ينظر: **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**, لابن الملقن 294/10, و**شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**, مُحَمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز الكَرمانيّ، الحنفي تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب, إدارة الثقافة الإسلامية, ط: الأولى، 1433 هـ - 2012 م, 484/2.

xxvii) **أخرجه البخاري في صحيحه الجامع**, في كتاب الزكاة, باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها, 113/2, برقم: (1431).

xxviii) ينظر: **سنن النسائي**, كتاب صلاة العيدين, موعظة الإمام النساء بعد الفراغ من الخطبة وحثهن على الصدقة, 192/3, برقم: (1586).

xxix) **أخرجه البخاري في صحيحه الجامع**, كتاب الزكاة, باب العرض في الزكاة, 116/2, برقم: (1449).

xxx) **ينظر: فقه اللغة وسر العربية**, عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي, تحقيق: عبد الرزاق المهدي, إحياء التراث العربي, ط: الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م, 173/1, **والنهاية في غريب الحديث والأثر**, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير, تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م, 98/4.

xxxi) ينظر: **غريب الحديث**, أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي, تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان, مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن, ط: الأولى، 1384 هـ - 1964 م, 328/4.

xxxii) ينظر: **كوثَر المَعَانِي الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَارِي**, محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي), مؤسسة الرسالة، بيروت, ط: الأولى، 1415 هـ - 1995 م, 300/12.

xxxiii) ينظر: **شرح صحيح البخارى لابن بطال**, ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك , تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم, مكتبة الرشد – السعودية، الرياض, ط: الثانية، 1423هـ - 2003م, 530/7.

xxxiv) **أخرجه البخاري في صحيحه الجامع**, كتاب الزكاة, باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد, 114/2, برقم: 1437.

xxxv) ينظر: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي – بيروت, كتاب الزكاة, باب أجر الخازن الأمين، والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي, 710/2, برقم: (1024).

xxxvi) ينظر: **سنن أبي داود**, أبو داود سليمان بن الأشعث, تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الفكر, كتاب الزكاة, باب المرأة تتصدق من بيت زوجها, 131/2, برقم: (1685).

xxxvii) ينظر: **الجامع الكبير – سنن الترمذي**, محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى, تحقيق: بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي – بيروت, سنة النشر: 1998 م, كتاب الزكاة: باب في نفقة المرأة من بيت زوجها, 51/2, برقم: (672).

xxxviii) ينظر: **سنن النسائي**, كتاب الجنائز, الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة, 65/5, برقم: (2539).

xxxix) ينظر: **سنن ابن ماجه**, ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي كتاب التجارات, باب ما للمرأة من مال زوجها, 769/2, برقم: (2294)

xl) **أخرجه البخاري في صحيحه الجامع**, في كتاب الزكاة, باب أجر المرأة إذا تصدقت، أو أطعمت، من بيت زوجها، غير مفسدة, 114/2, برقم: (1440).

xli) ينظر: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**, أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى, دار إحياء التراث العربي – بيروت, 291/8.

xlii) ينظر: **منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»**, زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي, اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن العازمي, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية, ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م, 513/3.

xliii) ينظر: **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**, أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر, ط: السابعة، 1323 هـ, 28/3.

xliv) **أخرجه البخاري في صحيحه الجامع**, في كتاب الزكاة, باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف, 115/2, برقم: (1445).

xlv) ينظر: **صحيح مسلم**, **كتاب الزكاة**, **باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف**, **697/2**, **برقم**: (**1005**).

xlvi) ينظر: **سنن أبي داود**, كتاب الأدب, باب في المعونة للمسلم, 287/2, برقم: (4947).

xlvii) ينظر: **الجامع سنن الترمذي**, أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر, 414/3, برقم: (1970).

xlviii) **أخرجه البخاري في صحيحه الجامع**, في كتاب الأدب, باب كل معروف صدقة, 8 /11, برقم: (6021).

xlix) ينظر: **المعجم الوسيط**, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, (إبراهيم مصطفى, أحمد الزيات, حامد عبد القادر, محمد النجار), دار الدعوة, 842/2.

l) ينظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**, لابن الأثير الشيباني الجزري, 216/3.

li) ينظر: **موقع الدُرر السنية**, **الموسوعة الحديثية**, المشرف العام: علوي بن عبد القادر السقاف.

lii) ينظر: **عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها**, عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر, الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة, ط: الأولى، 1409هـ, 139/1.